الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1– الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة والحضارة الإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

جدل الفقه والتّصوّف في المدرسة المَدْيَنِيَّة بالمغرب الأوسط (ق 6-8هـ/12-14م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية
تخصص: تاريخ إسلامي

إعداد الطالب
خليل شاعو

إشراف
أ.د شهر الدين قالة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
رضا شعبان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
شهر الدين قالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
عبد الكريم بصديق	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	ممتحنا
عبد اللطيف بعجي	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	ممتحنا
رضا بن النية	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	ممتحنا
مسعود بريكة	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444–1445هـ/ 2023–2024م

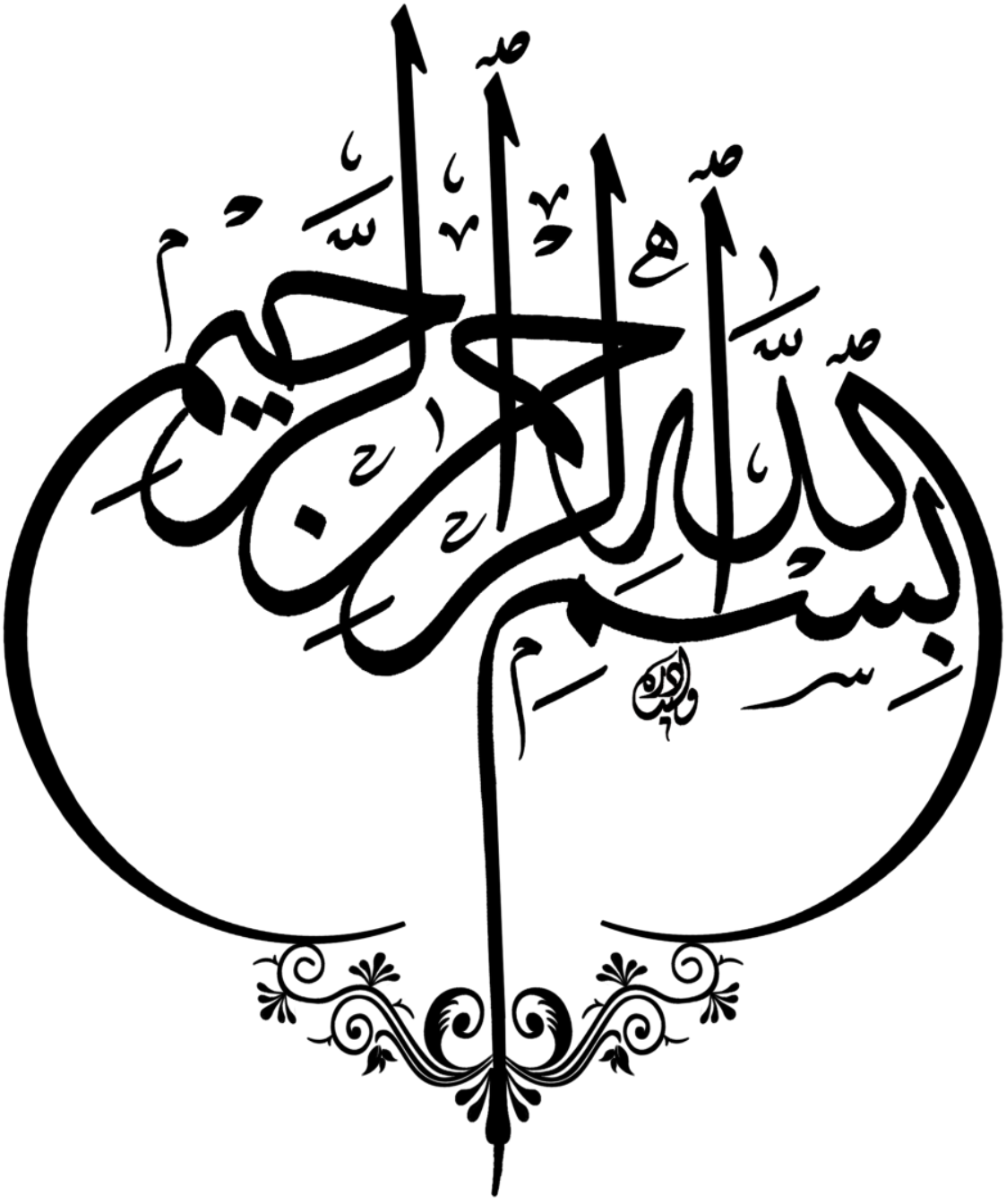
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح الأحبة:

والدي يوسف

أخي خالد

أختي سميّة

رحمهم الله وأسكنهم جنّته

إلى قرة عيني:

يوسف أصيل

أفنان

إيلياء

أفاض الله عليهم بمنّه

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

ومصداقا لقوله ﷺ:"من لم يشكر النَّاسَ لم يشكر اللَّهَ"[الترمذي:1955]، فإنّي أتوجه بجزيل الشكر والامتنان لشرفي الأستاذ الدكتور: شهر الدين قالة، الذي صبر عليّ طيلة إعدادي لهذا البحث، وعلى التوجيهات المعرفية والملاحظات المنهجية التي ساهمت في إخراج هذا البحث بهذه الصّورة.

ثم أزجي الشكر فائقه والثناء أجمّله إلى أستاذي الدكتور لخضر بولطيف؛ الذي أرشدني إلى موضوع هذا البحث، وأرسى أسسه ومعالمه على قواعد الدراسة القيمية، فأمدّني بالمصادر الأساسيّة والظنان الرئيسة للبحث، وعالج كلّ زيغ وانحراف عن إشكالاته.

ومن أستاذيّ الفاضلين؛ إلى كلّ أساتذة الكلّيّة الذين سهروا على تقديم كلّ ما لديهم من علم وفضل وكريم أخلاق، وقاموا بإنشاء تخصّص التّاريخ الإسلامي بالكلّيّة، الذي يعدّ من أكبر مكاسبها، ولكل أساتذة لجنة التكوين في الدكتوراه الذين عملوا على إنجاح المشروع.

وإلى مصر أجمّل شكري لعَلَم من أعلامها، وقامة من قاماتها؛ الدّكتور محمّد حلمي عبد الوهاب الذي فتح عليّ مغاليق المصطلحات الصّوفية، وأمدّني بمؤلّفاته التي حصّلت بها غاية الإفادة، ولم يبخل عليّ بالنّصح والإرشاد والتصحيح والتقويم.

ومن المغرب أتوجّه بالشكر إلى الدكتور عبد الله نجمي الذي تفضل عليّ من وقته بالتّوجيه وأسدى إليّ بإرشادات منهجية مكّنتني من معالجة جزئيات في البحث.

كما لا يفوتني التّوجه بالشّكر إلى الدّكتورين الفاضلين: حميد أجميلي وحميد الفاتحي من المغرب اللذان استقبلانا بجامعة ابن طفيل وفيّآنا بكريم الوفادة والضّيافة.

ومن رحم كلّيتنا التي أنجبت خيرة الطّلبة الزّملاء الأفاضل؛ الدكتور كمال ريجالين صاحب الفضل الكبير في إتمامي لهذا البحث، و د. يوسف مقارمة، و د. بلال بوسنّة، و د. فارس بكيس، الذين لم يدّخروا جهدا في تسهيل ما صعب وتيسير ما تعسّر في إنجازي لهذا البحث.

كما أوجه الشّكر إلى أصدقائي وزملائي في العمل الذين لم يبخلوا عليّ بالتّشجيع والدّعم.

ولم يكن للبحث أن يكتمل دون ذلك الدّعم المعنوي والمادي الذي حظيت به من طرف عائلتي وأسرتي الذين حفّوني باللطف والدّعاء، وأخص بالذكر؛ والدي -رحمه الله-، ووالدتي، وزوجتي أمّ أولادي، وإخوتي، ولا يسع المقام لذكر فضلهم عليّ، فأسأل الله العظيم أن يجزيهم عن ذلك خير الجزاء وجزيل الثّواب.

ختاما أشكر لجنة المناقشة على ما ستقدّمه لي من توجيهات وإرشادات وتصحيحات ورؤى جديدة، تثري بها موضوع البحث وإشكالاته فيحقق بذلك مبتغاه وأهدافه المرجوة.

ولمن أشار عليّ بنصح أو فكرة، إقرارا بفضلهم ودورهم فجزاهم الله خيرا وأعلى مقامهم

والحمد لله أوّلا وآخرا والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله وسلّم.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين؛ الذي نوّر قلوب العارفين فجعلهم مصابيح الهدى، واختصّهم بكرامته فعاشوا في الدّنيا والآخرة سعداء، فهم أئمّة بهم في الدّين يقتدى.

اللهم صلّ على الذّات المحمّدية، اللّطيفة الأحديّة، شمس سماء الأسرار، ومظهر الأنوار، ومركز الجلال، وقطب فلك الجمال؛ اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

شهد حدّا الفقه والتّصوّف في الإسلام عدّة تجاذبات وتفاعلات، فكانا موجِّهين في الكثير من الأحيان لمجريات الوقائع والأحداث، وما ترتّب عنها من آثار على تطوّر الأحداث التّاريخية، وتشكّلات التّاريخ السياسي والاجتماعي والدّيني، إذ لا يزال التاريخ الديني يكتنفه الكثير من الغموض في بعض جزئياته وتفاصيله يحتاج إليها كلّ باحث ومؤرّخ.

والحال هذه؛ فقد عُرفت بلاد المغرب الإسلامي على أنّها **تُنبِتُ الصّالحين كما تُنبِت الأرض الكَلَأ؛**[1] فلا يكاد يخلو موضع إلّا وكان به ضريح أو مقام لوليّ من الأولياء، وهو ما يفسّر تلك المكانة المقدّسة للتّصوّف لدى السّاكنة، علاوة على ذلك فللفقهاء ما للصّوفية من المكانة والحضوّ، ولا غرابة؛ فالفقيه والصّوفي من حملة العلم الشّرعي المفضي إلى منح حامله السّلطة الدّينية، التي تساهم في تأطير الحراك الاجتماعي للغرب الإسلامي.

ضمن هذا السّياق فإنّ بلاد الغرب الإسلامي ازدهرت بها عديد الطّرق والمدارس الصّوفية التي أسهمت في قيادة وتوجيه المجتمع، لعلّ من أبرزها؛ المدرسة المَدْيَنِيَّة لمؤسّسها

---

(1) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، ص 64-65.

الشّيخ أبي مدين شعيب البجائي (ت: 589هـ/ 1193م)، التي استجلبنا إليها بعدها القيمي لمحاولة استشفاف الخطاب الصّوفي للمدرسة المَدْيَنِيَّة، انطلاقا من مرحلة التّأسيس بمجال المغرب الأوسط إلى مرحلة الإمتداد والانتشار بباقي أقطار العالم الإسلامي.

أوّلا: الإشكالية

وإلى ذلك الحين؛ فالمدرسة المَدْيَنِيَّة تعدّ نموذجا واقعيا لدراسة المجالات الفكرية والدينية، فمؤسس الطّريقة الشّيخ القطب أبو مدين شعيب البجائي (ت: 589هـ/ 1193م) يعدّ من بين أكبر أقطاب الصّوفيّة في العالم الإسلامي، بعد الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 561هـ/ 1167م)، هذا الذي يدفع إلى تناول إشكالية: **طبيعة ومستوى الحضور الفقهي والصوفي في المدرسة المدينية خلال الفترة ما بين القرن السادس والثّامن الهجريين/ الثّاني عشر والرّابع عشر الميلاديين.**

إنّ دراسة هذه الإشكالية تعدّ وسيلة لفهم أثر المدرسة المَدْيَنِيَّة على الفقه والتّصوف، ضمن التّقاطعات والتّجاذبات المشكّلة للتّاريخ الدّيني، والاجتماعي، والسّياسي.

والحال هذه؛ فالإجابة الأمثل على الإشكال الأم يقتضي طرح إشكالات فرعية إثراءً للموضوع وإحاطةً بجميع جوانبه:

- هل كان التّصوّف مرتبطا ضرورةً بالفقه؟
- وهل كان لزامًا على الفقيه أن ينخرط في طريقة التّصوّف؟
- وهل كان الغرب الإسلامي بحاجة إلى ترشيد فقهيّ أم علاجٍ روحيّ؟
- وهل شكّل الفقه أرضية للتّصوّف في المدرسة المَدْيَنِيَّة؟ أم أن التّصوف كان المرجعية الثّاوية للفقه؟
- وما مدى حقيقة التّضاد بين الفقهاء والصّوفية بالغرب الإسلامي؟
- إلى أيّ مدى تعكس المدرسة المَدْيَنِيَّة التّضارب أو التّناغم بين الفقهاء والصّوفية؟

- وهل كانت الطّريقة المَدْيَنِيَّة صوفيّة صِرفة، أم أنّها لم تنفك عن المرجعية الفقهية المالكية؟
- ما هي الخلفية الفكرية والمعرفية للطّريقة المَدْيَنِيَّة؟
- هل قدّم التّصوّف المدينيُّ نفسه كعلاجٍ لأزمة فكريّة أم روحيّة؛ يعاني منها المجتمع؟
- ما هي أبرز فروع وامتدادات المدرسة المَدْيَنِيَّة؟ وماهي تجلّيات المسحة الفقهية والنّزعة الصّوفية في أعلامها؟

ثانيا: أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في بحث العلاقة الجدلية بين الفقه والتّصوّف، ضمن إطار تاريخي تفاعلي، انطلاقا من مجال المغرب الأوسط، ونطاق زمانيّ يستغرق ثلاثة قرون من الزّمن، والمدرسة المَدْيَنِيَّة تعدّ النّموذج الأمثل لتشوّف مثل هذه العلاقات، إذ لا يمكن التّغافل عن فعلها وأثرها في توجيه التّاريخ.

ثالثا: الإطار الزّماني والمكاني للدّراسة

- إن طبيعة الدّراسة تتطّلب تحديدا للإطار الزّماني والمكاني لها، **فالزّمان** ينحصر ما بين القرنين السّادس والثّامن الهجريّين/ الثّاني عشر والرّابع عشر الميلاديّين، وهي الفترة التأسيسيّة للمدرسة المَدْيَنِيَّة وبزوغ نجمها على ساحة الحركة الصّوفية الأندلسيّة والمغربيّة والإفريقيّة والمشرقيّة.
- أما **المجال المكاني** فقد قمنا بالإشارة في العنوان إلى المغرب الأوسط بناءً على أنّ المدرسة المَدْيَنِيَّة تأسّست بالمغرب الأوسط –بِجَايَة–؛ المستقرّ النّهائي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، فالبحث لم يتوقّف على حدود مجال المغرب الأوسط، بل شمل باقي أقطار العالم الإسلامي، نظرا لامتدادات المدرسة وانتشارها

الواسع الذي عرفته خلال القرنين السّابع والثّامن الهجريّين/ الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديّين.

رابعا: أسباب اختيار الموضوع

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى:

- أنّ تاريخ المغرب الأوسط يعدّ ميدانا خصبا للدّراسة والبحث، فلم يشبع بحثيّا بعد.
- محاولة ربط التاريخ بالواقع من خلال معالجة مفارقات الحاضر على ضوء خبرات الماضي.
- محاولة إثراء جانب من تاريخ الغرب الإسلامي، الذي كثيرا ما ارتبط بالدّراسات العامّة غير المتخصصّة في التّاريخ الديني والفكري.
- التّحقق من المرويّات التّاريخية بشأن بعض المذاهب والأفكار والمعتقدات الدّينيّة، التي بقيت أسيرة الخرافة والأسطورة، ورهينة الرّوايات المنقبيّة الشّفويّة.

خامسا: أهداف الدّراسة

تهدف الدّراسة إلى بحث العلاقة الجدليّة بين الفقه والتّصوّف، ضمن إطار المدرسة المَدْيَنِيَّة التي تعدّ النّموذج الأمثل لتشوّف مثل هذه العلاقات، إضافة إلى أهداف أخرى يمكن تلخيصها في:

- محاولة مقاربة رصيد التّجربة المَدْيَنِيَّة بين حدّي الفقه والتّصوّف، من حيث إمكانيّة التّضاد والتّكامل.
- الوصول إلى فهم أثر المدرسة المَدْيَنِيَّة على الفقه والتّصوّف، ضمن التّقاطعات والتّجاذبات المشكّلة للتاريخ الديني، والاجتماعي، والسياسي.
- السّعي إلى إثراء جانب من تاريخ المغرب الأوسط، الذي كثيرا ما ارتبط بالدراسات العامة غير المتخصصّة في التّاريخ الديني والفكري.

- السّعي إلى بيان أثر الفقه المالكي في تشكيل الأرضية المؤطّرة للتّصوّف المديني بالغرب الإسلامي.
- التّعرّف على طبيعة التّكوين الفقهي والصّوفي للشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، وأثر ذلك في وضع رؤية لمدرسة صوفيّة مختلفة عن سابقاتها من المدارس.
- التّعرف على امتدادات الطّريقة المَدْيَنِيَّة في أقطار العالم الإسلامي، وأثرها على التّصوّف الإسلامي.
- التّعرف على إسهامات المَدْيَنِيَّة في تحقيق توازن مجتمع الغرب الإسلامي، من حيث الترشيد الفقهي والعلاج الروحي واحتواء أزماته الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.
- بيان حقيقة المرجعيّة الدينيّة لساكنة الغرب الإسلامي، في اعتمادها على الفقه المالكي والتّصوّف الجنيدي.
- الوصول إلى حقيقة العلاقة بين الفقهاء والصّوفية بالغرب الإسلامي.

سادسا: الدّراسات السّابقة

قبل التّطرّق للدراسات السابقة أودّ التنبيه إلى أنّ موضوع البحث قد تمّ تناوله في بحث ماستر خلال السنة الجامعية 2017/2016 بجامعة المسيلة، من طرف الطّالب شعيب زاوي، وبإشراف من الدكتور لخضر بولطيف، وفيما عدا ذلك لم أطّلع –في حدود علمي– على دراسات مماثلة لموضوع دراستي، اللّهم ما تعرّضت له بعض الدّراسات ذات الصّلة بتاريخ التّصوّف في بلاد المغرب:

- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، الجزائر، 1995:

تناولت هذه الدراسة تيار التّصوف الإسلامي في عمومه مع تركيز الباحث على حركة التّصوّف بالمغرب الأوسط ومدينة تلمسان، حيث أكّد الباحث على سيطرت المدينية وقيادتها تيار التّصوّف العملي القائم على التربية وتهذيب السّلوك، ضمن هذا الإطار أبانت الدّراسة على علاقة التّصوف بالفقه لدى أتباع وتلاميذ المدينية خلال الفترة ما بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

- الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ 12 و13 الميلاديين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000:

تعدّ هذه الرّسالة من أبرز الدّراسات التي تناولت الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط، خلال نفس فترة دراستنا – القرن السادس والسابع الهجريين–، واستعرض فيها عوامل ظهور التّصوّف بالمغرب الأوسط، وطبيعة الحركة الصّوفية في العهد المرابطي والموحّدي، وكذا التّيارات الصوفية السّائدة، كما أظهر إسهامات الصوفية في الحياة الاجتماعية، ودورهم في الحياة الفكرية والثّقافية، وقد تطرّق في كل ذلك إلى طبيعة التجربة الصّوفية المدينية المكوّنة من ثلاثية المجاهدات المغربية، والرّوح المشرقية والأندلسية، والبساطة في المنهج التّربوي، مصنّفا إيّاها ضمن تيار التّصوّف السّنّي.

- لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة من القرن 10 إلى القرن 17: الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي**، مركز النشر الجامعي– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بتونس، 2005 م:

تطرّقت الدراسة إلى سيرة أبي مدين ومدرسته الصّوفية، واستعرض فيها الباحث دور شخصية أبي مدين في تكوين وتربية الرجال والتّأسيس لشبكة واسعة من المريدين، وقد سلّط الباحث الضّوء على شخصيّتنا الرئيسة من زمن التّحصيل إلى

زمن الرّحلة وأخيرا زمن الإثمار، أين استطاعت المدينية بسط سلطتها الروحية على بلاد الغرب الإسلامي، وقد بيّن الباحث ضمن جوانب الدّراسة وجزئياتها العلاقة الجدلية بين الفقه المالكي والتّصوّف المديني، وضمن هذا الأمر يأتي الباحث بعد ذلك إلى شبكة التّصوّف الشّاذلي الذي يعدّ امتدادا للمدينية، حيث تناول فيها العلاقة الثلاثية ما بين الأمير والفقيه والولي مع التركيز على هذين الأخيرين.

والملاحظ على هذه الدّراسات العامة حول الحركة الصّوفية بالمغرب الأوسط وبلاد الغرب الإسلامي عموما، أنّها لا تنفكّ إلى التركيز على شخصية أبي مدين ومدرسته الصّوفية، وذلك لحضورهما القوي على السّاحة الفكرية والسّياسية وتأثيرهما الكبير على الأحداث التّاريخية، وإسهاماتهما في تأطير الحياة الاجتماعية والدّينية، وهو الدّاعي الذي نجده في عديد الدّراسات المماثلة، وقد اكتفيت بالإشارة إلى هذه الدّراسات الثّلاث لأنّها تطرّقت في جزئيّاتها إلى ما يرتبط بإشكالية البحث وتساؤلاته الفرعية.

سابعا: المنهج المتّبع

الدّراسة محاولة لمقاربة رصيد التّجربة المَدْيَنِيَّة بين حدّي الفقه والتّصوّف بالمغرب الأوسط، ما يقتضي توظيف المنهج التّاريخي بمختلف آلياته وأدواته، التي تجمع بين نقد الرّوايات وتمحيصها، وتحليل الأخبار وتعليلها، إذ نحن بإزاء تجربة تنطوي على زخم فكري في قالب تاريخي، شهد تفاعل النّص مع العرف، والعقل مع النّقل، والنّظر مع الكشف، ضمن تجربة رائدة تنتمي إلى واقع المغرب الأوسط.

ثامنا: المنهجية المتبعة في البحث

اتبعت في تهميش الدراسة على مجموعة من الخطوات المنهجية وهي كالآتي:

- **الكتب المنشورة:** اسم المؤلِف ولقبه، عنوان الكتاب، التحقيق أو الترجمة أو التعريب (تحقيق: أو ترجمة: أو تعريب:)، دار النشر، الطبعة، مكان النشر، تاريخ

النشر إن وجد، الجزء أو المجلد، الصفحة، أمّا في حال تكرار ذكر الكتاب فأكتفي باسم المؤلف أو اسم الشهرة مع ذكر عنوان الكتاب، ثم المصدر أو المرجع السّابق، ثمّ رقم الصفحة، باستثناء مجيء نفس المرجع لمرتين متتابعتين بالترتيب، فأكتفي بكتابة المرجع نفسه أو المرجع السابق في حال جاء المرجع المذكور في بداية الصفحة.

- **الملتقيات والندوات العلمية:** اسم ولقب المؤلف، عنوان الدراسة، عنوان الملتقى أو الندوة، تاريخ انعقاد الملتقى، المشرف على الملتقى إن وجد، معلومات النشر المتبقية كما هي في الكتب المنشورة.
- **الكتب الجماعية:** اسم ولقب صاحب الدراسة، عنوان الدراسة، عنوان الكتاب الجماعي، المشرف أو منسق الكتاب، معلومات النشر كما سبق ذكرها.
- **المقالات العلمية:** اسم صاحب المقال، عنوان المقال، اسم المجلة، البلد، العدد، سنة الإصدار، الصفحة.
- **الرسائل الجامعية:** ذكر صاحب الرسالة أو الأطروحة، عنوان البحث، نوع البحث، الجامعة التي أنجزت فيها الدراسة، سنة المناقشة، الصفحة.

تاريخ وفاة الأعلام: التاريخ الهجري مع التاريخ الميلادي، مع وضع علامة استفهام في حالة لم يعرف تاريخ الوفاة، مع وضع ترجمة للأعلام المذكورين على حسب حاجة البحث لذلك.

تاسعا: عرض خطة البحث

لدراسة البحث اعتمدت خطّة تحتوي على مقدّمة وأربعة فصولٍ، وفي كلّ فصل مبحثين أو ثلاثة على حسب الحاجة، وفي ختام كلّ مبحث وفصل خلاصة عبارة عن نتائج، وفي نهاية البحث وضعت خاتمة عامة، ومختصر البحث كالتّالي:

- **المقدمة:** وقد جاء فيها؛ التعريف بالموضوع، وطرح الإشكالية، وأهمية الموضوع، والإطار الزّماني والمكاني للدّراسة، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدّراسة، والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، والمنهج المتبع في الدراسة، والمنهجيّة المتّبعة في التهميش والتّوثيق، وعرض خِطّة الموضوع، والصعوبات التي واجهتها في إنجاز البحث، والمستندات الأساسية للبحث.
- **الفصل الأوّل:** وقد عنونته بـ: **البيئة المغربية: الفقه والتصوف أيّة علاقة؟**

تناولت فيه: التأسيس المفاهيمي والدّلالات اللّغوية والاصطلاحية لمفردتي الفقه والتّصوّف، ثمّ عوامل ظهور الفقه المالكي والتّصوّف ومعابر انتقالهما لبلاد الغرب الإسلامي، ثمّ طبيعة البيئة المغربية الحاضنة للحركة الصّوفية خلال القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي، وأهم التّيارات والمدارس الصّوفية خلال تلك الفترة.

- **الفصل الثّاني:** الذي عنونته بـ: **الرجل المؤسس فقيه صوفي أم متصوف فقيه؟**

تناولت فيه: جوانب شخصيّة القطب أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) من النّشأة والتّكوين، ثمّ السّند الجنيدي للشّيخ أبي مدين، وأهم الرّوافد الفقهية والصّوفية للمدرسة المدينية التي شكّلت هذه الشّخصية، وفي الأخير بيّنت أثر المناهل الفقهية والمنازع الصّوفية للشّيخ أبي مدين على المدرسة المدينية وامتداداتها.

- **الفصل الثّالث:** والمعنون بـ: **الامتدادات المغربية والأندلسية للمدرسة المدينية**

وقد تناولت فيه بالدراسة؛ الطّريقة البونية للشّيخ أبي أحمد بن سيدبونه، والطّريقة الماجرية للشّيخ أبي محمّد صالح الماجري، حيث أبنت عن نسبة كلا الطّريقتين للمدرسة المدينية ومدى الحضور الفقهي والصّوفي لديهما.

- **الفصل الرّابع: والمعنون بـ: الامتدادات الإفريقية والمشرقية للمدرسة المدينية**

وفيه واصلت دراسة امتدادات المدينية في إفريقية والمشرق، وقدّمت مثالين عن ذلك تمثّلا في الطّريقة الشّاذلية للشّيخ أبي الحسن الشّاذلي، والطّريقة الأكبرية للشّيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، مع بيان تلك العلاقة الجدلية للفقه والتّصوّف في كلا الطّريقتين.

وفي الأخير ذيّلت البحث بخاتمة اعتبرت فيها نتائج البحث وإجابة عن إشكاليته وتساؤلاتها الفرعية، كما وضعت فهرسة للأعلام والأماكن المذكورة بالبحث، مع ملاحق ذات الصّلة.

عاشراً: صعوبات البحث

لا يخلو بحث أو دراسة من صعوبات وعراقيل تعترض الباحثين في سبيل إنجاز بحوثهم ومعالجة مواضيعهم، ولعلّ ما يمكن إيعازه للصعوبة في هذا البحث:

- عدم إطّلاعي على المادة المصدرية –المخطوطات– بشكل كاف؛ لتعدّد تواجدها في عدّة أماكن داخل الوطن وخارجه.
- استغراق الوقت الطّويل في فهم المصطلحات الصّوفية ذات اللغة الرّمزية، التي تحتاج إلى بحث متعدّد الجوانب لحمل الألفاظ على معانيها الصّحيحة.
- صعوبة الوصول إلى أحكام نهائية في قضايا التّصوّف والمناقب الصّوفية، بسبب تعدّد الرّوايات التّاريخية وتضاربها.

<u>تاسعا: المستندات الأساسية</u>

أوّلا: المصادر المخطوطة والكتب المحققة:

- **كتاب في التّصوّف لأبي عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ (ت: ؟):** الذي قمت باقتنائه من المكتبة الوطنية بالرباط–المغرب، يحتوي على ترجمة نادرة للشّيخ أبي مدين، وتلميذه الشّيخ أبي أحمد بن سيدبونه، وقد أمّدني بمعلومات وافية عن طريقة التربية العملية التي نهجها الشّيخ أبو مدين مع مريديه، وكذا طبيعة الطّريقة البونية

وامتداداتها، يحتوي المخطوط على 532 صفحة، أعمل على تخريجه مطبوعا أو تحقيقه حال توّفر نسخ أخرى له.

- **أبو مدين الغوث ورسالته في العقيدة الشّهيرة بـ:"عقيدة سيدي أبي مدين"**: تحقيق: مرزوق العمري؛ وهو من بين التّحقيقات الحديثة للرّسالة، تحتوي على ثلاث ورقات دافع فيها الشّيخ عن عقيدة التّوحيد على مذهب الأشاعرة، منكرا مذهب التّشبيه والتّجسيم، تناول فيها مبحث الإلهيات بقسميه: قسم الوجود الإلهي، وقسم الأسماء والصّفات، مع تركيز أكثر على القسم الأخير، وقد استفدنا منها في بيان التّوجه الأشعري للشّيخ أبي مدين ضمن المرجعية الفكرية للمغاربة القائمة إضافة لعقد الأشعري على مذهب الإمام مالك، وتصوّف الإمام الجنيد.
- **الجواهر الحسان:** وهي مجموعة أشعار وأزجال في العقيدة والسّلوك وآداب الشّيخ والمريد، والأخلاق، ومواعظ مختلفة، دلّت على قريحة شعرية بثّ فيها تعاليم طريقته الصّوفية.
- **أنس الوحيد ونزهة المريد:** يحتوي على توجيهات وحكم قدّمها للمريدين في بدايات سلوكهم طريق التّصوّف، وهو ما أفادنا في تجلية طبيعة المدرسة المدينية القائمة على الجانب العملي في التّربية والسّلوك.

والجدير بالذّكر أنّ أبا مدين لم يثبت أنّه ألّف كتبا، وما نسب للشّيخ أبي مدين، كُتبَ من قبل تلاميذه الذين قاموا بتسجيل وصاياه وحكمه وأشعاره، فالشّيخ أبو مدين كان يركّز على النّهج العملي في التّربية والسّلوك، ولم يهتم بالتّأليف على غرار من اشتهر بغزارة التّأليف والتّنظير مثل الشّيخ الأكبر.

على كلّ حال فأغلب المؤلّفات المنسوبة إلى أبي مدين بشكليها النثري والشعري؛ قد اعتمدنا عليها في تشكيل نظرة عامة على الطّريقة المدينية وأسسها العملية، ومن خلال ذلك قمنا بموازنة الحضور الفقهي والصّوفي في المدرسة المدينية وامتداداتها.

- **أنس الفقير وعز الحقير،** لأبي العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني: من تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور: ويعتبر أشهر من ترجم لأبي مدين، وقد نقل

ترجمة وافية برواية الشّيخ منقولة عن تلاميذه وأصحابه، ذكر فيه مولده ونشأته ورحلته العلمية وشيوخه وأصحابه وتلاميذه وما نسب إليه من مؤلّفات، ويعد كتاب ابن قنفذ المصدر الأساسي لحياة الشّيخ أبي مدين.

- أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى:**

ويعدّ المعزى ترجمة للشّيخ أبي يعزى ومناقبه، وقد جاء فيه ذكر ترجمة موسّعة لأبي مدين الذي يعد أبرز تلاميذ أبي يعزى، ذكر فيها مسيرة حياته ولقاءه بأبي يعزى، الذي يتفرّد بذكر سند لبس الخرقة لا يتّصل بالإمام الجنيد مباشرة، إضافة إلى سنده المتّصل بالغزالي من طريق الفقيه أبي بكر بن العربي والشّيخ صالح بن حرزهم.

- **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السّبتي** لابن الزّيات: وفيه نجد ترجمة أبي مدين إضافة إلى تراجم أغلب شيوخه وأصحابه وتلامذته، وقد اعتمدنا عليه في غالب البحث.
- **سبك المقال لفكّ العقال** لابن الطّوّاح: وهو من المصادر النّادرة التي أورد فيها المؤلّف تفسيرا لأبي مدين وصفه ببديع الأوصاف وعدّه من نوادر ما جاد به الكلام.
- **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، لأبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي: وفيه يتحدّث الشّيخ ابن ينصارن الماجري عن كرامات الشّيخ أبي محمد صالح الماجري أهمّ تلاميذ أبي مدين شعيب، وامتدادات المدرسة الماجرية.

ثانيا المراجع:

وقد عدنا إلى المراجع التي تتقاطع مع البحث من عدة جوانب فكرية ومنهجية وتاريخية ودينية منها:

- لخضر بولطيف، **الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-**، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، وهران، 2014م.

- محمّد حلمي عبد الوهاب، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، دار أبي رقراق، ط1، الرباط–المغرب، 2019 م.
- نفيسة الذهبي، **أبو محمّد صالح الماجري –الشّيخ والتّجربة–**، مطابع الرباط نت، الرباط–المغرب، 2016 م.
- الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ 12 و13 الميلاديين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000.
- لخضر بولطيف، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 2009.
- لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة من القرن 10 إلى القرن 17: الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي**، مركز النشر الجامعي– كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بتونس، 2005 م.
- إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993 م.
- نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي**، تبر الزمان، تونس، 2004 م.

الفصل الأوّل

البيئة المغربية؛ الفقه والتّصوّف أيّة علاقة؟

المبحث الأول:

الفقه والتصوف ببلاد الغرب الإسلامي

المبحث الثاني:

انتشار التّصوّف بالغرب الإسلامي

المبحث الأول: الفقه والتّصوّف ببلاد الغرب الإسلامي

يتمحور بحثنا حول الجدلية القائمة بين مصطلحي "الفقه" و"التّصوّف" وبناء عليه أسّسنا مطلبين سعينا من خلالهما التّعرّف على مختلف الحيثيات المعرفيّة الخاصّة بهما؛ فتطرقنا في المطلب الأول إلى ماهية الفقه والتصوف، أما الثاني فقد خصّصناه في انتقال الفقه المالكي للغرب الإسلامي وفي المغرب الأوسط تحديداً.

المطلب الأول: التأسيس المفاهيمي للفقه والتصوف

يعدّ بيان المعاني الأساسية لمفردات العنوان–الفقه والتّصوف بالأساس– من أهم مفاتيح الفهم لمضامين الواردة في مختلف محاور للدراسة.

الفرع الأول: الدّلالات اللّغوية والاصطلاحية للمفردة: الفقه

يرد الفقه في الدلالة اللّغوية بمعنى: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لشرفه وفضله على سائر العلوم، وخصّ به علم الشّريعة،[1] فإذا ما كان العلم حاوٍ للفقه والفهم فهو الفقه الأكبر، المسمى بعلم أصول الدين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنه: "اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل" أي فهمه[2]، ويقال فقهت فلانا كذا، وأفقهته أي: فهمته[3]، والفقيه من اتّصف بهذا العلم فيصير بكل هذا مجتهداً[4].

في حين عند انتقالنا إلى اصطلاحات الفقهاء للفظة الفقه فإنّنا نجدهم قد أوردوه على أنّه "**العلم بالأحكام الشرعية، العملية، المكتسبة من أدلتها التفصيلية التي طريقها**

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ج 5، ص 3450.

(2) عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي، ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار التراث العربي، لبنان، (د، ت)، ج 3، ص 465.

(3) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج2، ص23.

(4) محمد بن علي بن القاضي محمد، التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج وآخرون، ط 1، لبنان، 1996م، ج2، ص 1093.

الاجتهاد"[1]، إذ هو من العلوم المدوّنة، والفقيه من اتصف بهذا العلم؛ وهو المجتهد، فلا يمكن أن نتصور فقيهاً غير مجتهد والعكس، فهو جامع لمختلف العلوم الدينية، لذا سمّاه أبو حنيفة (ت: 150هـ/ 767م): **الفقه الأكبر**، وبالتّالي فإنّه يشمل جميع العلوم أو بتعبير آخر هو "معرفة النفس مالها وما عليها"[2].

ومن التعاريف أيضاً ما أورده الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) على أنّه: "علم بالأحكام الشرعية الثّابتة لأفعال المكلفين خاصّة"[3]، وعرّفه الرازي (ت606 هـ/ 1210م) على أنّه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية"[4]، وذلك كما يقول الغزالي حتّى لا يطلق اسم الفقيه على متكلّم وفلسفي ونحوي ومحدّث ومفسّر، بل يختصّ بالعلماء بالأحكام الشّرعية الثابتة للأفعال الإنسانية.

أمّا علم الفقه فهو البحث في المسائل والإفتاء فيها، ففي صدر الإسلام كان يطلق على المشتغلين بهذه المسائل اسم "**القرّاء**" وهم الصحابة رضوان الله عليهم، ثمّ أطلق اسم "**الفقهاء**" فيما بعد على التابعين وتابعيهم، وانقسم الفقه حينئذ إلى طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق ورائدها الإمام أبو حنيفة النعمان (ت: 150هـ/ 767م)، وطريقة أهل الحجاز وهم أهل الحديث ورائدها الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ/ 795م)[5].

---

(1) علي بن محمد الشّريف الجرجاني، **كتاب التّعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1985، ص 175. زين الدين محمد، المناوي، **التوقيف على مهمات التعريف**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص 67. زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، 1991 م، ص 67. القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، الأحمد نكري، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 م، ج 3، ص 29.

(2) محمد بن علي بن القاضي محمد، التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، المصدر السابق، ص 1093.

(3) أبو حامد محمّد بن محمّد، الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق: ناجي السّويد، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ج 1، ص50.

(4) محمد بن عمر بن الحسين الرّازي، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق: طه جابر العلواني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1999 م، ج 1، ص 92.

(5) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الواحد وافي، دار النهضة، ط 7، مصر، 2014م، ج 3، ص 1207.

الفرع الثاني: الدلالات اللّغوية والاصطلاحية للمفردة: التّصوّف

نجد أنّ مصطلح التّصوّف قد تصدّر أكثر المفاهيم المثيرة للجدل بين الباحثين وحتّى بين الصّوفيّة أنفسهم، ولكونه: "ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالبنى الاجتماعية في التّاريخ"[1] فإنّنا نجد تعريفاته تزيد في تقدير بعض المتصوّفة عن الألف تعريف[2]، وقد سئل الشّبلي (ت: 334هـ/946م)[3] لماذا سمّيت الصّوفية بهذا الاسم؟ فقال: "هذا الاسم الذي أطلق عليهم اختلف في أصله ومصدر اشتقاقه"[4].

جاء في لسان العرب أن كلمة "صوف" تطلق على: "الضّأن وما أشبهه وهي للغنم وغيرها"[5] وقال الجوهري (ت: 393هـ/ 1003م): "التّصوّف للشّاة، والصّوفة أخصّ منه"[6]، منه"[6]، فلبس الصّوف كان شعارا للمتنسّكين والمساكين والفقراء، وهذا دأب الأنبياء عليهم السلام، وشعار الأولياء والأصفياء، فكان هذا تمييزا لهم وبه اشتهروا في لباسهم الذي اختصّوا به عن غيرهم.

ونجد في المقابل من وصف الصّوفية بأنّ "أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى

---

(1) علي زيغور، **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم**، دار الطليعة، ط 1، بيروت، لبنان، 1977 م، ص 11-12.

(2) أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السُّهْرَوَرْدي، **عوارف المعارف**، تحقيق: توفيق علي وهبة، أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة المعاصرة، القاهرة، مصر، 2019م، ص 65.

(3) أبو بكر دلف بن جحدر أو جعفر بن يونس الشّبلي، ولد في سامراء سنة:(247هـ/861م)، خراساني الأصل، صحب الجنيد ومن عاصره، والشيخ أبو الحسين النوري (ت: 259هـ/873م)، وصحب الجنيد وطبقته، كان من أتباع مذهب الإمام مالك، وكان واليا لإحدى المدن القريبة من سمرقند، ولكنه تنازل عن الولاية ووهب أمواله ووزّعها على أهل المدينة من الفقراء، كان يقول عن الحلاج: "كنت مع الحلاّج شيئا واحدا، إلا أنّه أعلن وأنا كتمت"، عاش سبعا وثمانين عاما، توفي سنة: (334هـ/946م). ينظر: أبو عبد الرحمن السّلمي، **الطبقات الصّوفيّة**، تحقيق: أحمد الشرباصي، كتاب الشعب، ط 2، 1998م، ص 115.

(4) إحسان إلهي ظهير، **التصوف؛ المنشأ والمصدر**، ط 1، دار السنة، باكستان، 1936م، ص 20.

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، المصدر السابق، ج 4، ص 2527.

(6) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصّحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية**، المصدر السّابق، ص 623.

وكلامهم كلام الخرقى"[1]، غير مرحّبين حتّى ولا موافقين على ترتيبهم في زمرة صفوة الخلق! في حين يرى آخرون أن نسبهم إلى أهل الصّفة، وقيل نسبة إلى الصفوة ممّن خلق الله[2]، وقال أبو نصر سراح الطوسي (ت: 378هـ/ 988 م): "كان في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك، فقيل صوفي"[3]، كما أنّ هناك علاقة بين المصطلح وصفات الصوفية ومدار اشتغالهم واهتمامهم بالجانب الروحي، وهذا ما أشار إليه الإمام القشيري (ت: 465هـ/ 1073م) بقوله: "هو من الصّفاء؛ لأن الصّفاء محمود بكل لسان، وضدّه الكدورة، مذمومة؛ فيقال للرّجل صوفيّ وللجماعة صوفيّة"[4].

فإذا ما نشدنا التّعريف الاصطلاحي للتّصوّف فإنّه يتوجب النّظر في مضانّ أهل الفنّ قبل غيرها من المصادر، ومن بين التعريفات التي تبرز العلاقة التي يبحث الجميع عن تفسيرها وفهمها تعريف الإمام الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) الذي يقول فيه: "التّصوف أن تكون مع الله بلا علاقة"[5]، وهو بذلك يؤكّد أنّ التّصوف هو عمل الروح، وسلوك باطني يبتعد عن الأعمال الظاهرة التي قد يشوبها الرّياء.

ويقول ابن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م): "علم التّصوف؛ اختصّ بطائفة المقبلين على العبادة وعمومه من الصحابة والتابعين"[6]، وهو يعني عزوف الناس عن الدنيا،

---

(1) أبو بكر محمد إسحاق، الكلاباذي، **التعرّف لأهل التصوف**، تحقيق، أحمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م، ص 11-12.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية، **فقه التصوف**، تح: زهير شفيق الكبي، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1993م، ص 11.

(3) إحسان إلهي ظهير، **التصوف؛ المنشأ والمصدر**، المرجع السابق، ص 20.

(4) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: معروف مصطفى، ط 1، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص 279.

(5) إحسان إلهي ظهير، **التصوف؛ المنشأ والمصدر**، المرجع السابق، ص 22-23.

(6) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**، المصدر السابق، ج 3، ص 1314.

والعكوف عن العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها[1].

ويذهب الفقيه سحنون (ت: 256هـ/ 870م) إلى أنّ التّصوّف: "أن تملك شيئا، ولا يملكك شيء"[2]، فالصّوفية والفقهاء الصوفية نجدهم هنا يقرّبون المفهوم الصّوفي من منطلق ذوقي لا يمكن لغيرهم إدراكه عن طريق الحس والمعرفة العقلية.

وقد قيل أنّ تسمية الصّوفي نسبة إلى "الصفّ الأول بين يدي الله عز وجل"[3]، لكن ابن تيمية (ت: 728هـ/ 1328م) لا يتفق مع هذا الرّأي ويعود إلى الأصل اللغوي بقوله: "فلو كان من الصفّ لقيل صفيّ"[4]، وهنا نجد ترجيحاً وتوفيقاً بين الرأيين عند ابن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م) الذي يرجّح أنّ اعتماد الزّهاد في لبسهم على الصّوف سبب إطلاق ذات التّسمية عليهم؛ فالصّوفية "في الغالب المختصون به"[5].

إن هذا الاختلاف في أصل النّسبة والتّسمية حسب رأينا يرجع إلى الخلفيات الفكرية والتاريخية التي يستند إليها الفقيه أو الصّوفي، وهو الأمر الذي يدعونا إلى النّظر في آراء أهل التّصوّف وترجيح تعريفاتهم كونهم أدرى من غيرهم بالموضوع، فنجد الغزالي (ت: 505هـ/ 1112م) يبيّن ذلك الاختلاف ويرى أنّه يعود: "لتنوع وجدانهم (الصّوفية) فنسبوا إلى ظاهر اللّبسة، وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم، وأدعى إلى حصر وصفهم، لأن لبس الصوف كان غالبا على المتقدّمين من سلفهم"[6]، وهذا مذهب سابقيه الطّوسي (ت:378هـ/

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، عين ملية، الجزائر، 2004م، ص 34.

(2) عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشّرقاوي، **حاشية الشّيخ الشّرقاوي على شرح الهدهدي على أمّ البراهين للسنوسي**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2017 م، ص 147.

(3) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، المصدر السابق، ج2، ص 550.

(4) أحمد بن تيمية، **الصوفية والفقراء**، تقديم: محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة–مصر، د ت، ص 12.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**، المصدر السابق، ج 1، ص 462.

(6) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، ط 1، بيروت – لبنان، 2005 م، ج5، ص 91.

988 م) والكلاباذي (ت: 380هـ/ 990م).[1]

أما السّري السّقطي (ت: 257هـ/ 871م) فإنه يضيف على ذلك ويرى أنّ: "المتصوّف اسم لثلاثة معان: فهو الذي لا يطفئ نور معرفته ونور ورعه، ولا يتكلّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنّة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله تعالى"[2]، فالتّصوّف جمع بين ظاهر وباطن الكتاب والسّنّة، ومعانيه جامعة للمعرفة القلبية والمعرفة الحسيّة العقلية، وهذا الاختلاف والتعدّد حول تعريف التّصوّف إنّما يعود إلى اختلاف ذوق القوم وأحوالهم مع الله[3].

ولرفع اللّبس حول مفهوم التّصوّف وظهوره فإننا نستأنس بقول الإمام القشيري (ت: 465هـ/ 1073م) الذي نرى أنّه أدقّ التعاريف وأصوبها للمعنى الحقيقي للتّصوّف، فيقول في الرّسالة: "**اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم الصحابة. ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمّي من صحب الصّحابة التّابعين، ورأوا ذلك أشرف سمة. ثمّ قيل لمن بعدهم: أتباع التّابعين. ثمّ اختلف النّاس وتباينت المراتب، فقيل لخواص النّاس ممّن لهم شدّة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد. ثمّ ظهرت البدع وحصل التّداعي بين الفرق: فكل فريق ادّعوا أنّ فيهم زهدا، فانفرد خواص أهل السنّة، المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة، باسم التّصوف. واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة**"[4].

---

(1) أبو بكر محمد إسحاق الكلاباذي، **التعرّف لأهل التصوف**، المصدر السابق، ص 167.

(2) مصطفى العروسي، **نتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2007 م، ج 1، ص 129.

(3) حسين علي عكاش، **علاقة التوازن والتكامل بين الفقه والتّصوّف**، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، مجلد 1، ديسمبر 2016م، ص 31.

(4) عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، المصدر السابق، ج 1، ص 34.

إنّ ما يهمّنا في كلّ من سبق ذكره من التعريفات هو تطوّر التّصوف من مفاهيم إلى علم، ابتداء من المائة الثانية للهجرة، إذ صار: "نظاما شديدا في العبادة"[1]، وقد انتقينا بعضا من تلك المفاهيم والتصورات حول التّصوف والتي تدور عليها أغلب التعريفات وتتّفق معها، وقد خلصنا مما سبق إلى أن أساس الاختلافات في المفهوم والتصور سببه عدة عوامل منها:

- اختلاف أذواق الصوفية ومشاربها.
- تطور التّصوف ومروره على مراحل مختلفة ومتباينة المواقف منه.
- اختلاف البيئة الحاضنة للتّصوف والصوفية مشرقاً ومغرباً.
- تطور المفهوم لدى الفقهاء وعامة المسلمين زماناً ومكاناً.

الفرع الثالث: علاقة الفقه بالتّصوّف ـ دراسة في مختلف النصوص المعرفية ـ

في سياق حديثنا عن الثّنائية المصطلحية "الفقه والتصوف" نجد أنفسنا في حاجة ماسّة إلى معرفة الرابط بينهما، وفي هذا يقول صاحب كتاب **اللّمع:** "أن الحسن البصري (ت: 110هـ/ 728م) رحمه الله قيل له: فلان فقيه، فقال: هل رأيت فقيها قط؟ إنّما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ليتفقهوا في الدين**﴾ [التوبة: 123]، فالدّين يشمل جميع الأحكام، ظاهرا وباطنا، وعليه فالحسن البصري (ت: 110هـ/ 728م) لا يفرّق هنا بين الفقيه والصّوفي ويرى أنّهما وصف واحد، على الأخذ بالقول أنّ الزهد "ليس عنصرا مادّيّا"[2] وهو أصل للتّصوّف.

وهذا التّداخل بين الفقه والتّصوف، لم يكن يعرف فرقا بينهما في القرون الأولى من ظهور الإسلام، وهو الظاهر بوضوح في كثير من كتب علماء الصوفية، في سياق بيانهم

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 38.

(2) مريم ياسين، **التّصوّف السّنّي دراسة في إحداثيات الإصلاح النّفسي والاجتماعي والسّياسي**، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء–المغرب، 2018 م، ص 90.

لحقيقة التّصوّف، فالجنيد (ت: 298هـ/ 910م) يبيّن أنّ أصل التّصوف وقاعدته الصّلبة هي أصول الدين الإسلامي، فهو "**مقيّد بأصول الكتاب والسنة**"[1] وعليه؛ فعلم التّصوّف يهدف إلى إصلاح الباطن وتطهيره، انطلاقا من ظاهر الفقه الذي يعنى بضبط الجوارح و"تأطير المسلم العادي من كلّ شوائب المجتمع سواء على مستوى العبادات أو على مستوى المعاملات"[2].

فبموازاة ذلك فإنّ هذه القراءة الصوفية العميقة إنّما هي فهم جديد للخطاب الدّيني، حين كان للفقهاء سيطرة وقراءة أحادية له،[3] وتنفي على الصّوفيّة ما ألصق بهم وأنّهم دخلاء على النظام الثقافي الاجتماعي،[4] بغرض تشويه نهجهم وتأليب النّاس عليهم.

وبالعودة إلى أصل المفاهيم اللغوية للفقه فإنه يتحدد لغويا بمعنى: الفهم، والعلم، والفطنة، أما اصطلاحا؛ فهو: **العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية بالاستنباط من المصادر الأساسية؛** القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، أما التّصوّف فله عدّة معان وتعريفات؛ ففي اللّغة: ينسب في مجمله إلى الصّفاء، أمّا في الاصطلاح فهو الإعراض عن الدّنيا والانقطاع إلى الله.

والحال هذه؛ فقد سئل الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) عن التّصوّف فقال: هو الاسم الجامع لعشرة معانٍ وهي:[5]

ـ التّقلّل عن كلّ شيء من الدّنيا عن التّكاثر فيها.

---

(1) ـ عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، المصدر السابق، ج 1، ص 79.

(2) محمّد مزين، **الأدب الفقهي والأزمة، ضمن كتاب: الإسطوغرافيا والأزمة –دراسات في الكتابة التّاريخية والثّقافة**، تنسيق: عبد الأحد السّبتي، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1994 م، ص 63.

(3) حسين مروّة، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية؛ المعتزلة–الأشعرية– المنطق**، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط 2، 2008، مج 2، ص 306–307.

(4) علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، **الصوفية والسوريالية**، دار الساقي، ط1، 1992 م، ص 174–182.

(5) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الفكر، لبروت–لبنان، 1997 م، ج 10، ص 255.

ـ اعتماد القلب على الله عز وجل.

ـ الرّغبة في الطّاعات من التّطوع في وجود العوافي.

ـ الصّبر عن فقد الدّنيا عن الخروج إلى المسألة والشّكوى.

ـ التّمييز في الأخذ عند وجود الشّيء.

ـ الشّغل بالله عزّ وجلّ عن سائر الأشغال.

ـ الذّكر الخفيّ عن جميع الأذكار.

ـ تحقيق الإخلاص في دخول الوسوسة.

ـ اليقين في دخول الشّك.

ـ السّكون إلى الله عزّ وجلّ من الاضطراب والوحشة، فإذا استجمع هذه الخصال استحقّ بها الاسم وإلّا فهو كاذب.

فالتّصوف إذا نمطٌ اختصّ أصحابه الاهتمام "**بعلم الحقيقة**" وبتسمية "**أهل الباطن**"،[1] ولم يكتف المتصوّفة بتجاوز ظاهر الشريعة إلى باطنها، وإنما قاموا بحملة نقد واسعة ضد الفقهاء والمحدّثين والقرّاء،[2] واتّهموا الفقهاء–باعتبارهم ضامني الشّريعة وحماة السّنّة–[3] بالتّخاذل عن القيام بالدّور المنوط بهم، والتّواطؤ مع السّلطة على حساب الدّين،[4]

---

(1) لخضر بولطيف، **جدلية الشريعة والحقيقة وإرهاصات الطريقة في التجربة الصوفية المغربية**، ضمن أعمال الندوة الدولية: عبد السلام بن مشيش من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، المغرب، 2016م، ص 110.

(2) محمد حلمي عبد الوهاب، **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت–لبنان، (ط1)، 2009، ص 130.

(3) محمّد الشّريف، **قضايا في تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات الجمعية المغربية الأندلسية، ط 2، تطوان–المغرب، 2016، ص 36.

(4) هذه الاختلافات ما بين الفقهاء والصّوفية تمثيل السّلطة الدّينية والانتقادات المتبادلة حسب أحد الباحثين ما هي "**إلّا صراع مصالح بين مجموعتين تتنافسان على الأولوية في الميدان السّياسي وعلى نيل رضا السّلطان**"، والملاحظ أنّ هذا الكلام ربما يصدق فيمن يدّعي الانتساب إلى الفقه والتّصوّف أو ما يصطلح عليهم بعلماء البلاط. ينظر: محمّد الشّريف، **قضايا في تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات الجمعية المغربية الأندلسية، ط 2، تطوان–المغرب، 2016م، ص 37.

كما أنّهم رفضوا خضوعهم لرغبات السلطان "متّهمين إياهم بفرط انحياشهم إلى الحكام"[1]، ومنه قول أبي مدين شعيب (ت 589هـ/1193م) للفقيه أبي عبد الحق (ت: 581هـ/ 1185م): "**لو كنت تستعين بالله، لما استعنت بالسلطان والوزير**"[2].

وقد انتبه الصّوفية إلى هذا النّهج القائم على ثنائية الظاهر والباطن، الذي تمكّنوا من خلاله تجاوز هذه العلاقة المشبوهة بين بعض الفقهاء والسلطة، والتحالف مع عامة الشعب، وهو ما يدلّ على دهاء الصّوفيّة بحيث أمكنهم من عدم الوقوع في ذلك الصراع، الذي أودى بالعديد منهم إلى الإنكار والإشخاص والتنكيل والقتل.[3]

بناء على ما سبق يمكن القول أنّه توجد علاقة تكاملية تناسبية بين الفقه والتّصوف، فهما وجهان لعملة واحدة؛ وجهها الأول الفقه والثّاني التّصوف، فإذا تمزقت ذهبا معا، وإذا حُفظت بقيا معا، فلا تصوّف إلّا بفقه ولا فقه إلّا بتصوّف،[4] والحال هذه فإنّ الفرق في كون التّصوف غير مختص بمذهب فقهي معين لا نقول التّصوّف الحنبلي أو التّصوّف المالكي، بل نقول تصوّفاً إسلاميًّا، على عكس الفقه فإنّنا نقول فقها حنبليّا وفقها مالكيّا وغير ذلك.

وقبل التّطرق لانتشار التصوف بالغرب الإسلامي نودّ عرض انتقال الفقه المالكي تحديدا لبلاد المغرب وانتشاره.

المطلب الثاني: انتقال الفقه المالكي لبلاد الغرب الإسلامي

---

(1) لخضر بولطيف، **جدلية الشريعة والحقيقة وإرهاصات الطريقة في التجربة الصوفية المغربية**، المرجع السابق، ص 111.

(2) أبو العباس أحمد بن أبي القاسم، التادلي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1996م، ص 145.

(3) من بين المتصوّفة الذين كانوا ضحايا لهذا الصراع؛ ابن العريف وابن برّجان وابن قسي، وممّن أريد بهم شرّا أبو يعزى وأبو مدين.

(4) أبو العباس أحمد زروق، **قواعد التصوّف**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت–لبنان، 2005 م، ص 22.

تجدر الإشارة إلى أنّ الغرب الإسلامي في هذه الدراسة نقصد به أقطار المغرب الثلاثة إضافة للأندلس، وهكذا نخرج من جدل التصنيفات والتقسيمات المختلفة الّتي يتبناها مختلف الباحثين في دراساتهم وبحوثهم.

الفرع الأوّل: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي؛ الأطراف الفاعلة والسياقات المختلفة

في أعقاب انتقال المذهب المالكي لبلاد الغرب فإنّ كتب التاريخ تؤكّد أنّ هذا الأمر كان بالتزامن مع ظهوره بالمشرق بزمن ليس بالبعيد، فالمغاربة قبل تبنّيهم المذهب المالكي كان المذهب الحنفي هو المعتمد عندهم، إلى أن دخل علي بن زياد (ت: 183هـ/ 799م)، وابن أشرس، والبهلول بن راشد (ت: 183هـ/ 799م)، وبعدهم أسد بن الفرات (ت: 154هـ/ 771م)، وأبو شقران بن علي القيرواني (ت: 176هـ/ 792م)، وابن فروخ الفاسي القيرواني (ت: 176هـ/ 792م) وغيرهم، بمذهب الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ)،[1] وهؤلاء كلّهم تتلمذوا للإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ) وأخذوا عنه مباشرة،[2] فكان لهم الفضل في نشر المذهب بين الناس.

هذا ما يؤكّد انتشار المذهب المالكي خلال القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث الهجري، فكان تلامذة الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ) من المغاربة لهم الفضل في نقله إلى بلاد المغرب وبثّه في أوساط الساكنة، وكان أشهرهم على الإطلاق علي بن زياد القيرواني (ت: 183هـ/ 799م).

ويذهب القاضي عياض (ت: 544هـ/ 1149م) إلى فضل سحنون (ت: 256هـ/

(1) أحمد الريسوني، **الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2018م، ص 56.

(2) أبو الفضل عياض بن موسى، عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ج1، ص25.

870م) في إرساء قواعد المذهب ببلاد المغرب وجمع أهله على مذهب الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ)، فيقول: "ولم يزل المذهب المالكي يفشو إلى أن جاء سحنون (ت: 256هـ/ 870م) فغلب في أيامه وقضى على المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[1]، فالملاحظ تمسّك المغاربة وتعصبهم لمذهب الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ)، ومن بين أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض أهل شنقيط في القول بعدم جواز تقليد غير مذهب الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ):[2]

وأهل المغرب عليهم يمنع غير الإمام مالك أن يتبعوا

لفقد غيـــره وكـــل خـــارج عن نهجه فهو من الخوارج

ولمّا كان مذهب الإمام مالك (ت: 179هـ/ 796هـ) هو المعتمد عند المغاربة كان لزاما اعتناؤهم بكتب المذهب واجتهادهم في نشر فقهه وإثرائه، فلم يكتف المغاربة باحتضان المذهب وحسب؛ إذ أقدموا على التوسع في مسائله اجتهادا، وشرحا لأصوله والعناية بشيوخه وإجلالهم، ومن ذلك ما لقيته كتب المالكية من اهتمام كبير من قبل المغاربة ككتاب **الموطأ** للإمام مالك (ت: 179هـ/ 795م)، و**التلقين** لعبد الوهاب البغدادي (ت:422هـ/ 1031م)، و**الواضحة** لابن حبيب (238هـ/ 853م)، و**العتيبة** للعتبي (ت: 255هـ/ 869م)، و**الأسدية** التي جمعها أسد بن الفرات، و**المدونة** لأوسعيد سحنون بن سعيد (ت: 256هـ/ 870م).[3]

ومن نافلة القول أنّ مذهب الإمام مالك "قدّر له أن ينتشر في هذه الرّبوع ويقاوم الزّمان"

---

(1) أبو الفضل عياض بن موسى، عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، المصدر السابق، ص24.

(2) الخليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م، ص 23.

(3) عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة مشرقة من التاريخ الجزائري**، سوزلر للنشر، (ط2)، القاهرة، مصر، 1991، ص 258.

لأسباب عديدة منها:[1]

- دعم جهاز الحكم للمذهب.
- تدريس مؤلّفات المالكية.
- عدم اعتراض المذهب على التّشريع العرفي (المحافظة على خصوصية المجتمعات الرّيفية البربرية).
- مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج.
- رحلات المغاربة للحجاز.
- تمسكه بالسنة ومحاربته للبدعة وتشبثه بآثار الصحابة.
- ملائمة المذهب لطبيعة الناس.
- استقرار الإمام مالك بمدينة الرسول ﷺ، فلم يعرف عنه أنه غادرها طيلة حياته.

وهو ما لا يدع مجالا للشّك أنّ المذهب المالكي كان "يغطي منذ العصر الوسيط بلاد الغرب الإسلامي"[2]، وهي الأسباب ذاتها التي جعلت ساكنة البلاد المغاربية متمسّكة به في هذا العصر.

الفرع الثّاني: المدرسة المغربيّة المالكيّة وأهمّ أعلامها

تلقّت كتب المذهب المالكي فائق العناية من المغاربة، ولم يكن ذلك مقصورا على الفقهاء والعلماء فحسب، بل تعدى ذلك إلى عامة المجتمع المغربي، قال طاهر أبو سكينة: "سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضرير بالثغر يقول: حضرت هارون بن النضر الريغي في قراءة كتاب البخاري والموطأ وغيرهما عليه، وكان يتكلم على معاني الحديث؛ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ورأيته يقرأ التلقين لعبد الله البغدادي في مذهب الإمام

(1) ينظر: علاوة عمارة، **دراسات في التّاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 2017 م، ص 127-135. عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرّباط، 2018 م، ص 28.

(2) الصّبحي بن منصور، **الموجز في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية التّونسية**، مجمّع الأطرش، ط 1، تونس، 2018 م، ص 115.

مالك (ت: 179هـ/ 796هـ) من حفظه، كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب ويحضر عنده دوما مائة طالب لقراءة المدونة وغيرها من كتب المذهب عليه"[1].

وعلى هذا التّجلي يُفسَّر تجذر وانتشار المذهب المالكي بين أوساط ساكنة بلاد المغرب، وتمسكهم بآراء مالك واحتضانهم لفقهه، ولم يكن هذا الأمر مقصورا على عامة المغاربة فحسب بل تعداه إلى دواليب الدولة، فأضحى المذهب الرسمي واحدا من معالمها وأساسا من أسس الوحدة فيها، وهو الأمر الذي أضفى نوعا من الثبات الفكري والعقدي في الدولة[2].

كما أنّ الفقيه سحنون (ت: 256هـ/ 870م) ومؤلَّفه "**المدونة**" كان لهما دور بارز في حضور المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، فمن خلال مدونته "كان يسعى وراء آراء مالك وفقهه. فهو يفتتح جل الفقرات الواردة فيها بالعبارة التالية: (ما قول مالك؟ ...)"[3].

ضمن هذا السّياق فقد تلقّى الفقه على يد علي بن زياد (ت: 183هـ/ 799م) الذي وضع اللّبنة الأولى لمدرسة مالك بن أنس، " فهو الذي أدخل مذهبه هذه الديار المغربية وعرّف به وشرحه للناس وبين قواعده حتى اقتنعت به الأفكار ولم يجتذبها إليه بسلطان ولا نفوذ"[4]، وهو ما يفسر الإقبال الشعبي على المذهب وتمسك الناس به.

ثمّ إنّ المغاربة قاموا بتأسيس مدارس خاصة بهم وكان لكل قطر شيخه وفقيهه المعتدّ به؛ ويشار بهم إلى الشيخ ابن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ/ 996م)، وابن الفاسي، وابن اللباد (ت: 333هـ/ 944م)، والباجي (ت: 474هـ/ 1082م)، واللخمي (ت: 478هـ/

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة، الجزائر، 2010 م، ج1، ص 378.

(2) عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة مشرقة من التاريخ الجزائري**، المرجع السابق، ص 257.

(3) نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي**، تبر الزمان، تونس، 2004 م، ص 27.

(4) **موطأ الإمام مالك برواية بن زياد**، تحقيق: محمد النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1980، ص 39.

1085م)، وابن محرز (ت: 450هـ/ 1058م)، وابن عبد البرّ (ت: 463هـ/ 1071م)، وابن رشد (ت: 520هـ/ 1126م)، وابن العربي (ت: 543هـ/ 1148م)، والقاضي سند (المخزومي) (ت: 541هـ/ 1147م)، وابن شبلون (ت: 390هـ/ 989م)، وابن شعبان (ت: 355هـ/ 966م). فكل هؤلاء الأعلام كان لهم من التلامذة والمريدين ما يشفع لهم بالعناية بتراثهم واجتهادهم الفقهي، الأمر الذي يحيل إلى كثرة مدارس المالكية وتنوعها ببلاد المغرب.[1]

إنّ هذا التّعدد والتّنوع الذي عرفه الغرب الإسلامي لجهابذة الفقه المالكي فتح مجالاً واسعاً أمام ظهور مدرسة مالكية مغربية، متميزة عمّا عرفه المشرق الإسلامي من مدارس، حتّى إنّها خالفت أقوال مالك في العديد من القضايا والنّوازل، فقد كانت رائدة تأليفا ورأيا ومشيخة.

وفي الأحوال كلّها تعتبر هذه المدرسة بحقّ "نتاجا لمدارس المالكية الثلاث (المدنية، المصرية، العراقية)"[2]، فالمذهب المالكي أينما وُجد تجده متكيّفا مع طبيعة المجتمع والبيئة الاجتماعية التي انتشر فيها، متماشيا مع خاصّية الشّريعة الإسلامية التي تمتاز باليسر والمرونة بحسب الزّمان والمكان.

ورغم مرور المدرسة الفقهية ببعض مراحل ظهر فيها نوابغ من العلماء كالباجي (ت: 474هـ/ 1082م) وابن محمد الأصيلي (ت: 392هـ/ 1001م)، فقد مرّت بظروف متقلّبة من النّهضة على يد علي بن زياد (ت: 183هـ/ 799م)، إلى الازدهار في عهد سحنون (ت: 256هـ/ 870م)، ثمّ مرحلة الفتنة التي أتت على كثير من فقهاء المالكية بقرطبة، وإلى النّكبة والحصار التي مُنع فيها الفقهاء أيّام دولة بني عبيد من الفتوى بمذهب مالك، فلم يجد

---

(1) معظم الأعلام ستأتي ترجمتهم فيما يلي من مواضيع ذات الصّلة بهم.

(2) محمد المختار المامي، **المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته)**، مركز زايد للتراث والتّاريخ، ط 1، الإمارات، 2002 م، ص 76.

الفقهاء من ملاذ سوى التّصوف في ظلّ هذا الحصار، هروبا من التّضييق وتحقيقا للغاية المرجوّة في هداية النّاس والدّعوة إلى الله.

وقد كان لذلك نتائج في استقرار المذهب وبقاءه ببلاد المغرب ومن ذلك ظهور شخصية يحي بن يحي الليثي (ت: 234هـ/ 848م)، الذي كان له بالغ الأثر في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب والأندلس، فهو صاحب الشرح الشهير والنادر للموطأ، وأحد أعمدة المذهب والشخصية الأساسية في انتشاره، وتغيير موقف السلطة من المذهب المالكي وتبنّيها له[1].

وعلى أهميّة ذلك فأشهر أعلام الفقه المالكي بالغرب الإسلامي هم:

1- **علي بن زياد (ت 183هـ/ 799م):** هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي، الثقة الحافظ الأمين المرجوع إليه قال سفيان وغيره هو من عبس، وقيل أصله من العجم، ولد بطرابلس، ثم سكن بتونس، روى عن مالك "الموطأ"، وكتباً سمعها منه في البيوع والنكاح والطلاق. وهو أول من أدخل "الموطأ" و"جامع سفيان" المغرب، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وهو مؤسس المدرسة التونسية، ويعود إليه الفضل في تكوين المالكية بإفريقية، كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد (ت: 183هـ/ 799م) ليخبرهم بالصواب، وكان خير أهل إفريقية في الضبط للعلم[2].

من أشهر شيوخه: الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ/ 796م)، وسفيان الثوري (ت: 161هـ/ 778م)، والليث بن سعد (ت: 175هـ/ 791م)، وابن لهيعة (ت: 174هـ/

(1) عبد السلام غرميني، **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1420هـ/2000م، ص 30.

(2) محمد بن محمد بن عمر ابن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010 م، ج 1، ص 91.

790م).[1]

من أبرز تلامذته: سحنون (ت: 256هـ/ 870م)، وأسد بن الفرات بن سنان (ت: 213هـ/ 828م) صاحب الأسدية، وهما اللذان كان لهما الأثر الأكبر في تدوين الفقه المالكي في كتابيهما (المدونة) و (الأسدية)، والبهلول بن راشد (ت: 183هـ/ 799م)، وشجرة بن عيسى المعافري (ت: 292هـ/ 905م).[2]

2- البهلول بن راشد (ت: 183هـ/ 799م): أبو عمر البهلول بن راشد القيرواني، الجامع بين العلم والعمل، مع الورع والصلاح، والدين المتين وإجابة الدعاء، كان ثقة مأموناً، أحد أوتاد المغرب، سمع مالكاً، والثوري (ت: 161هـ/778م)، والليث، وعبد الرحمن بن زياد، وأبا الحسن بن زياد، وموسى بن علي بن رباح، وروى عن القعنبي، وعنه سحنون (ت: 256هـ/ 870م)، ويحيى بن سلام، وجماعة.[3]

3- عبد الرحيم بن أشرس (ت: ؟): عبد الرحيم بن أشرس المغربي التونسي وقيل: اسمه العباس وقيل عبد الرحمن، وكان يكنى أبا مسعود، هو أنصاري من العرب، كان حافظاً، ثقة، فاضل، كان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سمع من مالك وعبد الله العمري، وروى عنه بن القاسم وابن وهب.[4]

4- عبد الله بن غانم (ت: 190هـ/ 805م): أبو محمَّد عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل الرُّعَيْني القيرواني: قاضي إفريقية وفقيهها المشهور بالعلم والصلاح الثقة الأمين. روى عن مالك ووقع ذكره في المدونة، وسمع من عبد الرحمن بن أنعم (ت: 161هـ/778م)

---

(1) محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المصدر السّابق، ج 1، ص 91.

(2) المصدر نفسه، ص 91.

(3) المصدر نفسه، ص 92.

(4) إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار التراث للطبع والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2005م، ج 2، ص3.

والثوري (ت: 161هـ/778م)، جمع ما سمعه من الإمام مالك بن أنس في كتاب سمي "ديوان ابن غانم"، وهو من أقران ابن أبي حازم (ت: 184هـ/ 798م) ونظرائه، دخل الشام والعراق في طلب العلم. وولاه هارون الرشيد (ت: 193هـ/ 809م) قضاء إفريقية سنة (171هـ/ 788م) فاستمر قاضيا إلى أن مات في القيروان.[1]

5- **أبو بكر اللباد (ت: 333هـ):** أبو بكر محمّد بن محمد بن وشاح يعرف بابن اللباد القيرواني الإمام الجليل القدر علما ودينا، الحافظ المبرز، الزّاهد، المتقن، التّقيّ، المجاب الدعوة، شيخ المالكية في وقته بالقيروان، جدّه مولى موسى بن نصير، من شيوخه؛ يحي بن عمرو البغامي، وحمديس القطّان، وأبو عمران البغدادي، ومحمّد بن المنذر، ومن تلاميذه؛ ابن أبي زيد، والقابسي، ودارس بن إسماعيل، وابن المنتاب، ألّف كتاب الطّهارة، وكتاب عصمة الأنبياء، وكتاب فضائل مالك، وكتاب الآثار، وكتاب الحكاية في عشرة أجزاء، وكتابا في فضائل مكّة، توفي في صفر سنة: 333هـ/ 944م.[2]

6- **أبو بكر محمّد بن المؤدب (ت: 345هـ/ 956م):** المعروف بابن الصّوّاف الإمام العالم المشهور بالفضل والصّلاح والعبادة، سمع من يحي بن عمر وأحمد بن زيد وغيرهما، وعنه أخذ ابن اللّباد وابن زياد وجماعة.[3]

7- **ابن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ/ 996م):** أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، إمام المالكية في وقته، وقدوتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، حاز رئاسة الدّين والدّنيا، واسع العلم، كثير الحفظ والرّواية، أخذ عن أبي بكر بن اللباد، ومحمد بن مسرور الحجام، والقطّان، والإبياني، وزياد بن موسى، وسعدون الخولاني، وأخذ عنه أبو بكر بن عبد

---

(1) . محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المصدر السّابق، ج 1، ص 92.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 126. محمد بن الحسن الحجوي الثّعالبي، **الفكر السّامي في تاريخ الفقه المالكي**، تحقيق: أيمن صالح عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007 م، ج 2، ص 130.

(3) محمّد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المصدر السّابق، ج 1، ص 126.

الرحمن، وأبو القاسم البرادعي، واللّبيدي، وأبو عبد الله الخوّاص، وأبو محمّد مكي المقري، من تآليفه: كتاب النوادر والزيادات على ما في المدونة، وكتاب تهذيب العتبية، وكتاب المعرفة واليقين، وكتاب الرسالة، وكتاب الاقتداء بمذهب مالك وغيرها.[1]

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، **الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، المصدر السابق، ص 427-430.

المبحث الثاني

انتشار التّصوّف بالغرب الإسلامي

المطلب الأوّل: ظهور التّصوّف ومعابر انتقاله إلى بلاد المغرب الإسلامي

المطلب الثّاني: تيارات ومدارس التّصوّف بالغرب الإسلامي.

المطلب الأوّل: ظهور التّصوّف ومعابر انتقاله إلى بلاد المغرب الإسلامي

لقد كان موضوع انتقال التّصوّف إلى بلاد المغرب الإسلامي محلّ جدل بين عديد المؤرّخين والباحثين، ولعلّ هذا الاختلاف راجع في الأساس إلى جدل التّصوّف في حدّ ذاته؛ تعريفاً وماهيةً، نشأةً وتطوراً، أقطاباً وطرقاً، مدارساً ومناهجاً، ثمّ إنّ القول بقناة واحدة كانت لوحدها ناقلةً للتصوف إلى بلاد المغرب قولٌ خطأ، بل عديد الروافد هي من مكّنت لهذا التّصوف بالانتقال إلى هذا المجال.

من الباحثين الّذين أخذوا مأخذ الرافد الواحد في ظهور التّصوف ببلاد المغرب الإسلامي الهادي روجي إدريس، مُرجعاً هذا الظهور إلى النّهضة المالكية في القيروان منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي إبّان مواجهتها للطرف الشيعي[1]، في حين اختصر برنشفيك روبال ظهور التصوف في هذا المجال للتأثير المشرقي على المغربي، أمّا جاك كريت فقد جعل من نتاج انتشار فكر أبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1160م) في مختلف البقاع والأصقاع السبب الرئيس في الظّهور والانتشار، واعتبر ليفي بروفنسال تأثير المعتقدات الوثنية على البربر وتزايد حركات الجهاد ضدّ الاسترداد المسيحي من أبرز عوامل ظهور وتوطن التصوف ببلاد المغرب الإسلامي.[2]

أمّا بالرجوع إلى أولى النواة في غرس القيم الأخلاقية الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي فمردها الأول بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز والّتي كانت مكونة من عشر فقهاء علّموا أهل البلاد الحلال والحرام وهذبوا السلوك وقوّموا الأخلاق؛ وهنا الحديث عن موهب بن يحيى المعافري (ت: ؟) الّذي سكن القيروان،[3] وحبان بن أبي جبلة (ت: 122هـ/

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص46.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) موهب بن حي المعافري، تابعي صخب ابن العباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة، توفي بالقيروان. يراجع: أبو بكر بن عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق: رشيد البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1983م، 110/1.

739م)،[1] وإسماعيل بن عبيد الله الأعور (132هـ/ 749م)،[2] وإسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار (107هـ/ 724م)،[3] وطلق بن حبان،[4] وبكر بن سوادة (ت: 128هـ/ 745م)،[5] وعبد الرحمان بن رافع التنوخي (ت: 113هـ/ 730م)،[6] وموسى بن نصير، وعبد الله بن يزيد (100هـ/ 717م)،[7] وسعيد بن مسعود التجيبي،[8] وأبو سعد بن جعثل بن بن هاعان.[9]

(1) حبان بن جبلة القرشي المصري، تابعي روى عن مجموعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص (ت: 122هـ/ 739م). المصدر نفسه، ص111.

(2) إسماعيل بن عبيد الله بن الأعور القرشي: هو أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأعور القرشي المخزومي، ولّاه عمر بن عبد العزيز إفريقية سنة 100هـ/ 717م، كان من أهل الدين والزهد، توفي بالقيروان 132هـ/ 749م. المصدر نفسه، ص115.

(3) إسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار الملقب بتاجر الله، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم ومن بينهم عبد الله بن عباس، قيل أنّه بنى مسجد الزيتونة سنة 71هـ/ 690م، توفي سنة (107هـ/ 724م)، سمي بتاجر الله لأنّ ثلث كسبه يصرفه في وجوه الخير. المصدر نفسه، ص 117.

(4) طلق بن حيان ويقال له ابن جعبان الفارسي كان فقيها عالما، وروى عن مجموعة من الصحابة. نفس المصدر، ص117.

(5) أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذمي المصري، الفقيه التابعي، روى عن عبد الله بن عمر وعمر بن العاص وسعيد بن المسيب، سكن القيروان، ت128هـ/ 745م. المصدر نفسه، ص112.

(6) أبو الجهم بن عبد الرحمان بن رافع التنوخي (ت: 113هـ/ 730م): روى عن عمر بن العاص، توفي بالقيروان. المصدر نفسه، ص110.

(7) هو أبو عبد الله عبد الرحمان، شهد فتح الأندلس، سكن القيروان، وتوفي سنة (100هـ/ 717م). المصدر نفسه، ص ص 99.

(8) هو أبو مسعود سعد بن مسعود التجبي الكندي المصري، صاحب جماعة من الصحابة وروى عنهم، اشتهر بالدين والعقل، وقلّة الهيبة للملوك، سكن القيروان وتوفي بها. أبو بكر المالكي، **رياض النفوس**، المصدر السّابق، ص 102.

(9) هو سعيد بن جعثل بن هاعان بن عمير بن اليتوب، وهو من التابعين، كان من أهل الدين والزهد. المصدر نفسه، ص102.

الفرع الأوّل: ظهور التّصوّف بظهور الشخصيات المتصوّفة الزّاهدة

إنّ الحديث عن زمن الظّهور الأول للتّصوف في البلاد المغربية من الصعب بمكان، ولعلّ ما يرشدنا إلى ملامح هذا الظهور هو الأطراف الفاعلة في هذه المنظومة الصوفية، أو بتعبير أدق هم المتصوفة والزهاد الأوائل.

برز العديد من الصالحين في الديار المغربية فاتّخذوا الزهد منهجاً في حياتهم، كما عُرفوا باجتهاد لا نظير له في العبادة، راغبين في الآخرة زاهدين عن الدنيا ورغدها، قائمين على كتاب الله قراءة ومدارسة وامتثالاً، كثيري البكاء عند سماع القرآن، فشُهد لهم بالمقامات العالية، ومن هنا يمكن القول أنّ حركة التصوف لم تقتصر على المشرق فحسب، بل شملت حتّى المغرب الإسلامي،[1] ولعلّ ما يوجهنا إليه الأستاذ الطاهر بونابي غاية في الأهمية بأنّ أغلب مصادر التصوف تُرجع الظهور الأول للصوفية إلى قبل اكتمال المائة الثانية للهجرة،[2] ولعلّ سمة الزهد والورع كانتا أبرز ما لوحظ في الشخصيات المتصوفة.[3]

من الشخصيات الّتي علا اسمها في سماء التصوف ببلاد المغرب الإسلامي في بدايات ظهوره:

1-**رباح بن يزيد اللخمي المكنّى بأبي يزيد (ت172هـ/788م):**[4] عُرف عنه الصلاح والفضل والزهد متعبداً ثقة مستجاب الدعوة، منقطع إلى الله بالعبادة، كثير البكاء على الفقراء خاصة زمن الشتاء وما يحلّ بهم، ناصحاً ولاة الأمر فمن مآثره أنّه راسل

---

(1) الطاهر مختار فيلالي، **نشأة الصوفية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الكرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، (ط1)، 1976م، ص11.

(2) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 36.

(3) الطاهر مختار فيلالي، **نشأة الصوفية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 11.

(4) محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المالكي، **طبقات علماء أفريقية وتونس**، تح: حسن موسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ص 118-126.

البهلول بن راشد يقول له: "واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته فإنّه الشفاء والرحمة للمؤمنين"[1].

2-**عبد الخالق المعروف بالقباب المكنى بأبي خالد:**[2] من أصحاب البهلول بن راشد،[3] والّذي كان من المجتهدين في العبادة، يغلب عليه الخوف من الله عزّ وجل، وفي ترجمته يقول أبو العرب "ما علمت أنّه روي عنه علم غير مناقبه وفضله"[4].

3-**عبد الملك بن أبي كريمة (ت204هـ/819م):** عُرف باستجابة الدعوة وقيام اللّيل كله، فإذا أقبل عليه السحر دعا الله بصوت محزون، وكان مولى لإسماعيل بن عبيد تاجر الله.[5]

4-**حمدون بن عبد الله العسال المكنى بأبي عبد الله (ت 244هـ/858م):** كان من المجتهدين في العبادة، من أهل الفضل والدين والصدقة والاجتهاد في العبادة.[6]

5-**مطروح بن قيس المكنى بأبي الخياط** (ت 246هـ/860م) كان فاضلا جليلاً مشهورا بالعبادة.[7]

6-**عبد الرحيم بن عبد ربه المريعي** (ت 247هـ/861م) من الصالحين الثقات، كان زاهداً من أهل التقوى والصلاح وإجابة الدعوة، سمع من سحنون بن سعيد وأسد بن

---

(1) محمّد المالكي، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، المصدر السابق، ج1، ص 300-312.

(2) المصدر نفسه، ص 306.

(3) محمد بن أحمد المغربي الإفريقي أبو العرب، **طبقات علماء إفريقيا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 140-144.

(4) المصدر نفسه، ص 142.

(5) المصدر نفسه، ص 140.

(6) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تصحيح وتعليق: إبراهيم شيوخ، القاهرة، مصر، 1968م، 106/2 . 108.

(7) محمّد المالكي، **طبقات علماء أفريقية وتونس**، المصدر السابق، ج1، ص 408-410.

فرات، كثير التهجد، قال فيه المالكي: " كان من أهل الزهد والاجتهاد واشتهر بالاستجابة، وكان سحنون يقصده كثيراً، وقصده ابنه من بعده".[1]

7-**إبراهيم بن الحسن بن محمد القصري المكنى بأبي إسحاق** (ت 334هـ/945م) عدّ في زمانه من أهل العلم والقرآن والاجتهاد، زاهد مؤدب قال فيه المالكي: "كثير النياحة والبكاء إذا جنّ اللّيل، مستجاب الدعاء".[2]

8-**حجاج بن أبي يعقوب السري** (ت 349هـ/960م) عرف بعديد الكرامات، وهو مستجاب الدعوة، رحل من القيروان إلى مصر ومات بها[3].

نتيجة لذلك فقد عرفت هذه الثّلة بالصلاح والإصلاح متفرغين لذكر الله وعبادته، كما عُدّوا من أوائل الناشرين للزهد والتصوف في المجال المغاربي، تبعا لذلك والحال هذه فظهور التّصوّف وانتقاله إلى بلاد المغارب لم يكن بمنأى عن إرهاصات البدايات الأولى لظهوره بالمشرق.

الفرع الثاني: طرق انتشار التصوف في مجال المغرب الإسلامي

تعدّدت طرق انتشار التصوف في بلاد الغرب الإسلامي، فلم يقتصر على طريق واحد كما أسلفنا الذكر في الفرع السابق، وإجمالاً يمكن إرجاع طرق انتشاره إلى أربعة عوامل غاية في الأهمية.

أولا: العامل الديني

إنّ الحديث عن العامل الديني في موضوع انتشار التصوف ببلاد الغرب الإسلامي حديث عن دورين لعبهما الزهاد أولاً ومنشئ الرُبط ثانياً.

1 ـ دور الزهاد في نشأة التصوف وانتشاره:

---

(1) أبو الفضل بن موسى اليحصبي القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1965م، ج 1، 198.

(2) المصدر نفسه، ج 5، ص 147.

(3) محمّد المالكي، **طبقات علماء أفريقية وتونس**، المصدر السابق، ج 1، ص 418-419.

لقد كان للفعاليات البشرية الزاهدة الدور الريادي في تحقيق معاني التصوف من خلال قطع سواد اللّيل في قراءة القرآن وصوم الدّهر والأكل مرّة واحدة في الأسبوع شهر رمضان، والعيش عزّاباً، ولعلّ هذه الأمور كانت أبرز ما تأثر به المجتمع لما وجدوه فيها من عيش متواضع، واتصال بالخالق،[1] وكان هذا أيضاً من خلال دعوة الزهاد للتمسك بهذا المنهج، فأصبح لهم مريدون وأتباع.[2]

2 ـ دور الرباط في انتشار التصوف:

لم تكن الرّباطات مجرّد ثغور عمرانية هندسية للجهاد وصدّ هجمات العدو، بل اتُّخذت مكان للعبادة والزّهد والخلوة،[3] ولعلّ أواخر عصر الموحّدين فقد الرباط دوره العسكري، فأصبح بناءاً صغيرا يعتكف فيه الشّيخ الصّوفي وحوله المريدون، يراقبهم في أورادهم ومجاهداتهم الّتي تقضي بهم إلى التّجرد من الدّنيا وملذّاتها.[4]

ثانياً: العامل السّياسي

صحيح أنّ الوعاء السّياسي القائم على ثلاث دعامات؛ دعامة العصبية القبلية، ودعامة العقيدة، والدعامة التجارية[5]، لم يكن في جميع أحواله حاضنًا متينًا للتّصوف، ولكن

---

(1) محمد البركات البيلي، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1992م، ص37.

(2) أنخل جنثالث بالتثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ص326.

(3) الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م)**، ترجمة: جمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م، ص304.

(4) محمد الأمين بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، 1986م، ص282. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 58-59.

(5) يراجع: عبد الرحمن ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، المصدر السّابق، ص 203. محمد القبلي، **حول تاريخ المجتمع المغربي -الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل-**، دار توبقال، المغرب، ص 71. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 101-102.

ما شهده التّصوف في بعض السّياقات التّاريخية جعله يزيد انتشاراً وتوطّنًا في بلاد الغرب الإسلامي بصفة عامّة، وهذا الّذي سنلاحظه في نماذج هذه الدّول.

1 ـ التّصوف وسياسة الدّولة الحمّاديّة:

لقد كان السّاسة الحمّاديّون غير متزمّتين مع أهل الرّبط والزّهد، بل يُكِنُّون لهم جُمّ الاحترام ولا يتدخّلون في شؤونهم،[1] ولعلّ ما زاد من هذا الوُدِّ انعزال الصُّوفيَّة عن الميدان السِّياسي تاركين المجال للفقهاء الّذين احتكروا المناصب القضائية والعسكرية العليا.[2]

2 ـ التّصوف وسياسة الدّولة المرابطيّة:

من أوصاف المفكر الأمريكي "ديل إيكلمان" للحكام المرابطين أنّهم الجامعون "بين سياسة العقلاء وتقوى الزّهاد"،[3] فقد كان الأمراء على درجة عالية من الزّهد، حيث التزم يوسف بن تاشفين[4] طريقة في العبادة محتواها الإقبال على الصّلاة والدّعاء والاستخارة مع الخوف من الخالق والتّقشّف في المأكل والملبس، صوّاماً قوّاماً، وهذا دَيْدَن ابنه كذلك؛ حتّى قيل أنّه أقرب إلى الزّهّاد منه إلى الملوك، وهذا الإقبال من الأمراء على الزّهد شجّع العامّة في نهج هذا المسلك وهجران الدّنيا وزينتها.[5]

3 ـ التّصوف وسياسة الدّولة الموحديّة:

---

(1) وهذا ما يلاحظ في عدم ملاحقة الحماديين لابن تومرت وهو في رابطة ملالة. عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت–لبنان، 2002 م، ج 1، ص 467.

(2) المصدر نفسه، ج 6، ص 363.

(3) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص86.

(4) يعدّ يوسف بن تاشفين أول أمراء الدولة المرابطية، قدمه ابن عمه أبو بكر بن عمر لخلافته، فبنى مدينة مراكش وعرف بعديد الفضائل، توفي في محرم سنة (500هـ/1106م) يراجع: علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972 م، ص 156.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المصدر السابق، ج 6، ص 363.

حاول الموحّدون إزالة بعض القيود المرابطيّة التي حاولت القضاء على للتيّار الصّوفي ببلاد الغرب الإسلامي خاصّة بعد حرقهم لكتاب **إحياء علوم الدين** للإمام الغزالي (ت505هـ/ 1111م)، ثمّ إنّ طبيعة الفكر التّومرتي المنسجم - إلى حدٍّ ما-[1] مع نمطية التّدين الصّوفي فسح المجال للصّوفية والتّصوّف للتّوغل أكثر في الوسط الاجتماعي،[2] والقيام بنشاطات كانت سبباً في التفاف العامّة حولهم،[3] وهذا الذي دفع بالسّلطة الموحّديّة للاعتراف الضّمني بهذه الشريحة،[4] ويظهر ذلك بجلاء حين تدريسهم للتراث الكتابي الصّوفي كالرسالة القشيرية والإحياء في مختلف المؤسسات التعليمية والمجالس الفكرية.[5]

---

(1) على الرغم أنّ ابن تومرت يميل إلى الزهد والتّصوف في طبيعة عيشه، لكن أسلوبه في الدّعوة والأمر بالمعروف كان قاسيّاً عنيفاً، ليس بمحبّب عند عامة النّاس، وهذا الذي دفعهم في بعض الأحيان للاندماج في التيّار الصوفي. يراجع: يوسف عابد، **الموحدين في بلاد المغرب (515 _595هـ/1120 _1199م) دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2006م، ص138.

(2) لم يكن التواجد الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي مقترنا بظهور دولة الموحدين، وهذا لعدّة عوامل، من بينها: اندلاع الحروب الصليبية شرقا وغربا، وأهمّها حركة الاسترداد الإسبانية وما نتج عنها من هجرة الأندلسيين إلى مختلف مناطق الشمال الإفريقي، وكان من هؤلاء المهاجرين الفقهاء والأدباء، والصوفية. يراجع: الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص45 . 101.

(3) كتزويج العرائس، ورعاية الأيتام، وإغناء المعوزين، وما زاد من حبّ العامة لهم هي أخبار الخوارق والكرامات، وقصص استجابات الدعاء للأولياء. يراجع: أبو يعقوب يوسف ابن الزيات، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد فؤاد، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط 2، 1997م، ص452 . 461.

(4) لم تكن العلاقة الموحّدية الصّوفية في وُدٍّ دائم، بل شهدت نزاعات وتجاذبات، وهذا لخلفيات ودوافع سياسية أو عقدية. يراجع: مصطفى مغزاوي، **التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي (6_8هـ/11_13م)**، إشراف: خالد كبير علال، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012/2011م، ص445-518.

(5) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002 م، ج 2، ص 384.

لقد كانت الحقبة الموحّديّة من أزهى فترات الصّوفية في بلاد المغرب بحيث حازت مكانة لم يسبق لنظيراتها المذهبية الأخرى أن حازتها، فبرز فيها العديد من الأولياء كابن ميمون بن يعزى الهسكوري (ت 572هـ/1177م) وأبي مدين شعيب (ت595هـ/1198م)، وأبي العبّاس السبتي (ت601هـ/1204م).

وعلى الرّغم من ذلك فقد عرفت في فترات منها إشخاص بعض رجال التّصوّف كأبي يعزى والطّلب في أثر أبي مدين، فهي تتوجّس خيفة من تنامي شعبية رجال التّصوّف، وتتهيّب خروج الأمر عن السّيطرة، كما مرّت عليه الدّولة المرابطيّة من ثورة المريدين، وكما استغلّ المهدي بن تومرت الشّرعية الدّينية لإسقاط الحكم المرابطي.

ثالثاً: العامل الاقتصادي في انتشار التصوف

لعب الجانب الاقتصادي دورا مهماً في نشأة التصوف؛ فعامل الفقر، والآفات الاجتماعية الأخلاقية، والرحلات العلمية كان لها ما كان في اختراق التّصوف الوسط الاجتماعي وحتّى الهرم السياسي.

1 ـ الفقر وأثره في ظهور التصوف:

ما يقف عليه الباحث وهو في الحفر عن جذور التصوف وأسباب انتشاره يجد أنّ ملامح التّصوف الأولى تمجّد الفقر وتعتبره الخطوة الأولى للولوج إلى عالم التصوف، فصار الفقر شرطاً أساسياً وعلامة إخلاص على التجرد من الدنيا وسفاسفها،[1] كما كان هذا دافع لأولى الفاقة والحاجة للولوج إلى هذا العالم، بل وكان كبار الصوفية يسمون أنفسهم بالفقراء.[2]

2 ـ الآفات الاجتماعية:

(1) أحمد بن أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1970م، ص64.

(2) المصدر نفسه، ص121.

بتطور المدن في بلاد الغرب الإسلامي ظهرت عديد الآفات الاجتماعية كتعاطي الخمر والسرقة والقمار والزنا[1]، فصار أهل المدن "أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة بدواعيه حتى بين الأقارب والأرحام"[2]، وهذا الّذي أدى إلى ظهور التصوف كنقيض يسعى إلى العفة وزرع الحياء، والزهد في شهوات البطن، والارتقاء بالإنسان من الخطايا والمعاصي إلى الأخلاق الفاضلة.[3]

3 ـ الرّحلات العلمية:

أدّت هذه الرحلات في مجملها إلى الاحتكاك بكبار صوفية المشرق والأندلس مما بلور الأفكار أكثر ممّا كانت عليه؛ ومن هذه الرحلات نذكر: ابن مسرّة إلى القيروان ثمّ إلى الحج حيث التقى بأبي سعيد بن عربي وتأثر به غاية التّأثّر.[4]

المطلب الثّاني: تيارات ومدارس التّصوّف بالغرب الإسلامي

تجلّت إلى السّاحة الصّوفية مدارس أطّرت الحركة الصوفية بالغرب الإسلامي، ومن أكبر المدارس الصوفية التي وفدت على بلاد الغرب الإسلامي نجد المدرسة الغزالية، وأوّل من أدخل تعاليم الإحياء هو الشّيخ صالح ابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)، ومن خلاله

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المصدر السابق، ص192.

(2) المصدر نفسه، ص85.

(3) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص100.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المصدر السابق، ج 6، ص 362. أنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، المرجع السابق، ص 328.

وضع البذور الأولى لتشكيل مدرسة مغربية في إطار تعاليم الإحياء، كان أبرز أعلامها الشّيخ أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)[1].

ولعلّ ممّا يمكن ملاحظته على تطوّر التّصوّف وانتشاره هي تلك المفارقة المتمثّلة في حجم الإقبال الذي عرفه من قِبَل ساكنة بلاد الغرب الإسلامي، على الرّغم من نشأته وظهوره ببلاد المشرق، وهي الحقيقة التي لا مراء فيها؛ فقد كان لمتصوّفة بلاد الغرب الإسلامي بالغ الأثر في ازدهار التّصوّف وابتعاثه من جديد، فهل يمكننا القول أنّ **شمس التّصوّف قد أشرقت بالمشرق حتى تدفء المغرب؟**

الفرع الأوّل: المرحلة الفردية لتصوّف الغرب الإسلامي ما قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

قبل بزوغ نجم الغزالي وتبلور الهويّة الجديدة للتّصوّف المغربي فإنّه من الأهميّة بمكان عدم إغفال المراحل التي مرّ بها، ويمكننا اعتبار مرحلتين متمايزتين مرّ بهما وهما: المرحلة الفردية المقتصرة على الرّباطات والخناقات ما قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي،[2] والمرحلة الجماعية ما بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والتي انطلقت من نظام الزاوية على شكل مدارس وتيّارات فكرية صوفية.

عرفت الحركة الصّوفيّة ببلاد الغرب الإسلامي بعض التّجارب الفرديّة التي ظهرت بداية بالأندلس، مارسه الخاصة من الفقهاء والعلماء في البيئة الحضرية، كما انفرد بعض الصوفية في خناقات ورباطات نائية عن أعين السلطان والعامة من النّاس.

---

(1) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 15/9م**، دار الرّشاد الحديثة، ط 1، الدّار البيضاء–المغرب، 2000 م، ج 3، ص 20.

(2) يرى إبراهيم القادري بوتشيش في هذه التّجارب الفردية، على الرّغم من تباين اتّجاهات وتيّارات المتصوّفة إلّا أّن لديهم قواسم مشتركة تمثّلت في: 1–الموقع الاجتماعي المتواضع (حرفيّون، رعاة، مزارعون ...). 2– كثرة العبادة والتّهجد ومجاهدة النفس. 3– المسلك التّقشفي والابتعاد عن ملذّات الدنيا. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع–الذهنيات–الأولياء)**، المرجع السابق، ص 125–182.

فبقي التّصوّف الممارس في تلك الفترة بقسميه:[1] التّصوّف **السّني**،[2] والتّصوّف **الفلسفي**،[3] بعيدا عن التّنظيم والتّأطير الجماعي، القائم على تكوين التّلاميذ والمريدين والأتباع، ونجد خلال هذه المرحلة عدّة اتجاهات من أبرزها:

أ- اتجاه الوعظ والتذكير:

وقد انتهج أصحابه الوعظ والتذكير، والزهد وترك الدنيا، والتشدّد على أهل البدع، ومن أبرز أعلام هذا الاتجاه: أبو عبد الحق الإشبيلي (ت: 581هـ/ 1189م).[4]

ب-اتجاه المجاهدات النفسية والزهد:

ويتزعّمه كلّ من: أحمد بن عبد الملك بن عميرة (ت 577 هـ/ 1182م)، الذي كان إمام في طريقة التّصوّف، وأحمد بن عمر بن افرند (ت561هـ/1166م)، وقد كان متقلّلا من

---

(1) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، المرجع السّابق، ص 386. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 102-159. الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط ق 8-9 هـ/14 – 15م**، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008 م-2009 م، ص 73-99. إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)**، المرجع السّابق، ص 125-182.

(2) يمتاز التّصوّف السّنّي بالأبعاد العملية التربوية البعيدة عن النّزعة الفلسفية، وهو تصوّف العامة المرتبط بكثرة العبادات والمجاهدات. ينظر: عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، المرجع السّابق، ص 385-387.

(3) هو تصوّف الخاصّة الذي نحى أصحابه الاشتغال بوحدة الوجود والانقطاع عن الحياة العملية، وذلك لنزوعهم إلى الكشف ومعرفة الله بكل عاطفة وخيال، والميل للعلوم الباطنية، مع الزهد والتقشف وتبني أفكار الغزالي، إضافة إلى ميزة معارضة السلطة والميل إلى المالكية، ومن أعلامهم: أبو العباس بن العريف (ت535هـ/1140م)، ابن برجان (ت536هـ/1141م)، ابن قسي (ت546هـ/1151م)، أبو بكر الميورقي، وعبد الله الشريف الشامي، وتقي الدين الموصلي، وإبراهيم بن الخطيب البجائي. ينظر: عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، المرجع السّابق، ص 384. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 143.

(4) المرجع نفسه، ص 103-104.

الدّنيا، وعبد الله بن الصقر الأنصاري، الذي كان مائلا إلى التصوف وقراءة كتب الزهد والرقائق.[1]

ت –اتجاه المجاهدة الفعلية (المرابطة والجهاد):

ومن أعلامه: أبو علي الصدفي (ت: 514هـ/ 1120م)، وواجَّاجْ بن زْلُّو (ت445هـ/1053م) كان نهجهما قائما على اقتفاء أثر السلف الصالح، ورفض مبدأ المجاهدة النفسية، بالمقابل اتّجهوا إلى العمل المرابطة بالثغور والجهاد، ومحاربة البدع.[2]

ت-الاتجاه المعتدل:

ومن أعلامه: ابن العريف (ت: 535هـ/ 1141م)، وأبو الحكم بن برجان (ت: 536هـ/1141م)، وابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)، وقد كانوا في تصوّفهم بمنتهى الفضل والدين، منقطعين إلى الخير، محقّقين في علم الكلام والتّصوف، مع زهدهم واجتهادهم في العبادة، إضافة إلى أنّ ثلاثتهم يجنحون إلى الباطنية.[3]

الفرع الثاني: واقع الحركة الصّوفية ببلاد الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق ص 109

(2) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، ت: أحمد التوفيق، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، ط 2، 1997، ص: 89–92.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع–الذهنيات–الأولياء)**، المصدر السّابق، ص 132.

تعدّ الحركة الصوفية بالغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، نتيجة حتمية لتلك "التّحوّلات والتّحدّيات الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة"[1]، كما يمكن القول أنّ التّصوّف يتواجد حيث لا توجد إغراءات مادية وشهوانية؛ فتارة يكون مزدهرا في البيئة المتفسخّة ومرّة في الوسط المتقشّف، وأحيانا ظاهرة شعبية وتارة يجلب إليه عمالقة الفكر.

وإنّنا نجد هذا التّباين بين الباحثين في سبب ظهور وانتشار التّصوف في الغرب الإسلامي، ومع ذلك فإنّ ما يتّفقون عليه هو أنّه لا يمكن حصرها في عامل واحد فقط، فكما يعزو القادري بوتشيش سبب انتشار التّصوّف وظهوره إلى معاناة المجتمع الإسلامي **الأزمة**[2]، ممّا يدحض حسبه رأي الباحثين الغربيين[3] في تجزأتهم لأسباب ظهورها.[4] فجذورها تعود للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بدءا من عبد الله بن نصر القرطبي (ت: 315 هـ/ 927 م)، ومحمد بن عبد الله بن مسرة (ت: 319هـ/ 913م) بالأندلس، ليتوسع هذا النّشاط فيما بعد إلى بقيّة أقطار بلاد المغرب، وبالخصوص حواضر فاس وتلمسان وبجاية والقيروان.[5]

---

(1) أحمد الريسوني، **الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2018، ص 103.

(2) الأزمة مسّت جميع مناحي الحياة؛ الدّينيّة، والفقهيّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة، وتعدّ الكرامة حسب القادري بوتشيش: "أداة لمعالجة الأزمة التي يعاني منها المجتمع". يراجع: إبراهيم القادري بوتشيش، **واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات**، ضمن كتاب: **الإسطوغرافيا والأزمة –دراسات في الكتابة التّاريخية والثّقافة**، تنسيق: عبد الأحد السّبتي، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1994 م، ص 29.

(3) أنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، المرجع السابق، ص 326. الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، المرجع السّابق، ص 308.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة في بعض قضايا التاريخ والمجتمع**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994، ص 106 وما بعدها.

(5) أنجيل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، المرجع السابق، ص 326.

ضمن هذا السّياق فعدم استقرار شيوخ التّصوّف خلال القرنين الثّالث والرّابع بهذه الأقطار قد يكون بسبب عدم تبلور الفكر الصّوفي بالصّورة التي يمكن من خلالها تعليم النّاس بالرّباطات والزّوايا، وكما أسلفنا في المبحث الأوّل فقد كانت ممارسة التّصوّف خلال تلك الفترة تنحصر على الأفراد دون المؤسّسات، وقد ساهمت في ذلك عدّة عوامل لعلّ أهمّها العامل السّياسي وتباين طبيعة الحكم المرابطي والموحّدي، هذا الأخير الذي فتح المجال أمام الصّوفية وأفكارهم التي أسهمت في تأطير المجتمع بصورة أو بأخرى.

ومن هذا يتّضح أنّ هناك علاقة تطوّرية للظّاهرة الصّوفية وتفاعلها بين كل التّركيبة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة. فقد كان للزّوايا والرّباطات الدّور البارز والمحوري في عملية الإدماج بين البادية والمدينة، وكسر الحدود الجّغرافية وتثبيت سلطة المتصوّفة الدّينيّة على المجتمع.

وتجدر الإشارة هنا إلى عامل جد مهم ساهم في التّطور الحاصل في نمط التّجربة الصّوفية، قد تجلّى في الرحلات العلمية التي قام بها علماء مغاربة إلى المشرق[1]، ومن أشهرهم صالح بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)[2]، فكان لها دور فاعل في التّجربة الصوفية المغربية، وهو ما جعل مصنّفات متصوّفة المشارقة تغزو السّاحة المغربية، الأمر

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993 م، ص 129. نقلا عن: علال الفاسي، **التصوف الإسلامي في المغرب**، مجلة الثقافة المغربية، ع 1، يناير – فبراير 1970، ص 40.

(2) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمّد ابن عبد الله بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م): ولد بفاس ونشأ بها، وكان فيها من كبار الفقهاء، وكان زاهدا في الدّنيا سالكا سبيل أهل التّصوّف، ذو كرامات وفراسات، وكان والده من كبار الصّالحين وكذلك أخوه، ارتحل إلى المشرق ولازم إمامة مسجد الشّام سنين عدة، أين التقى الإمام أبو حامد الغزالي، وكانت وفاته رحمه الله في عام تسعة وخمسين وخمسمائة ودفن خارج باب الفتوح من أبواب فاس. ينظر: أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 12-13.

الذي جعل الفكر الصّوفي المشرقي يدرّس ببلاد المغرب،[1]، فيمكن القول أنّ التّصوّف المشرقي أثّر في المغاربة وحوّل تجاربهم الفردية إلى الشّكل الجماعي من خلال ظهور تيارات ومدارس متعدّدة.

وقد كان التقاء المغاربة بالغزالي وأخذ التّصوف عنه كبير الأثر، إذ أنّ **كتاب إحياء علوم الدين** يمثّل طرحا جديدا في التّصوّف،[2] وقد وجد قَبولا واسعا لدى المغاربة وانتشارا كبيرا، جعل من الغزالي يعتزم الرّحلة إلى المغرب سنة (499هـ/ 1105م) وزيارة الأمير يوسف بن تاشفين (ت: 500هـ/ 1106م)، إلّا أنّ وفاة الأمير دعته إلى العدول عن ذلك والرّجوع إلى بلاده.[3]

وعليه فاللّافت أن التّراث الصّوفي علت مكانته **بالإحياء**، لما جاء فيه من تأصيل لمدرسة الغزالي الصّوفيّة،[4] التي كان لها تأثير كبير على السّاحة الدّينيّة الإسلاميّة عموما فقها وتصوّفا،[5] وقد كان للغزالي دور في تأسيس قواعد التّصوّف المغربي من جديد، ومن أشهر من اعتمد أفكار الغزالي ببجاية؛ العالم حسن بن علي المسيلي (ت: 570هـ/ 1172م)، الذي كتب مؤلفا بعنوان: **التّفكّر فيما تشتمل عليه السّور والآيات من الغايات،**

---

(1) يراجع: علال الفاسي، **التّصوّف الإسلامي في المغرب الإسلامي**، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط 2، المغرب، 2014 م، ص 39.

(2) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 9هـ/15م**، المرجع السابق، ص 19.

(3) أبو حامد الغزالي، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، تحقيق: أحمد السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1411هـ/1991 م، ص 13.

(4) سيأتي بيان معالم هذه المدرسة في الفصل الثّاني.

(5) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 9/15م**، المرجع السّابق، ص 19.

وقد كثر تداول هذا المؤلف لقيمته ونفيس عباراته في ذلك العصر، حتّى قيل أنّ كلام مؤلفه: "**أحسن من كلام الغزالي وأسلم، وأنّه دلّ على إحاطته بعلوم المعقول والمنقول**"[1].

ومحصّلة ذلك أنّ كتاب الإحياء وتعاليم الغزالي أصبحت الملاذ الآمن لمختلف الهزّات التي أصابت المجتمع الإسلامي، فلم تدع لهم مكانا إلاّ اللّجوء إلى إصلاح الجانب الروحي، والهروب من تقلّبات الحياة السّياسية وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية والمذهبية.[2]

الفرع الثّالث: مرحلة الطرق والمدارس الصوفية بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

وهي المرحلة التي شهدت الحدّ الفاصل ما بين التّصوف العشوائي والتّصوّف الطرقي، الذي انتقل فيه التّصوف من الخاصّة إلى العامّة، ومن الحواضر إلى البوادي، ومن التعقيد إلى البساطة، بفعل ذلك الإقبال على التّصوّف واللّجوء إلى المتصوّفة من قبل مجتمع الغرب الإسلامي.

وقد ساعد ذلك على ظهور مدارس صوفية قامت بمهام التربية والتعليم وتكوين التلاميذ والمريدين، الذين أخذوا على شيوخ المتصوّفة سلوكهم وأدبهم وعلمهم، فكان لكلّ شيخ طريقته ونهجه الخاص به، يتمسّك متصوّفة هذه المرحلة بالتزام القرآن والسنة والتركيز على التّصوّف العملي البعيد عن التنظير، وأشهر هذه المدارس هي: المدرسة الغزالية، والمدرسة المدينية، والمدرسة الماجريّة، والمدرسة الشّاذلية.

---

(1) أبو العبّاس أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، المصدر السابق، ص 33-34.

(2) ينظر: عبد السلام غرميني، **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، المرجع السّابق، ص 24.

أ- المدرسة الغزاليّة:

يعدّ المغاربة من أشهر أتباع التّصوّف الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م)، وهم الذين تبنّوا أفكاره فكانت أغلب الطّرق الصّوفيّة المغربية تابعة لها، ومنها المدينية التي ينتسب إليها أبو مدين من عدّة طرق سيأتي ذكرها في الفصل الثّاني، وكان أتباع الغزالي يركّزون على تزكية النفس، والقيام بالصلاة والخلوة والذكر، ومن أبرز أعلامهم: أبو محمّد صالح بن حرزهم (ت: ق 6هـ/ 12م)، وابن أخيه أبو الحسن علي بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)، أبو يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م)، أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1192م)، عبد السلام التونسي (ت: 512هـ/ 1117م)، أبو عبد الله محمد الهواري (ت: ق6هـ/12م)، محمد بن سعادة المرسي (ت: 565هـ/ 1172م)،[1] ومن أهم شيوخ أبي مدين (ت 589هـ/ 1193م) الذين أخذ عنهم التّصوّف الغزالي:

1-أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م):

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمّد ابن عبد الله بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م): ولد بفاس ونشأ بها، وكان فيها من كبار الفقهاء، يتّصل نسبه إلى الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه، في سلسلة من ثلاثة عشر اسما، وكانت وفاته رحمه الله في عام تسعة وخمسين وخمسمائة ودفن خارج باب الفتوح من أبواب فاس.[2]

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 116-118.

(2) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 12.

لازمه الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وقرأ عليه رعاية المحاسبي وفهّمها له، وهو أوّل شيخ يثبت كلامه في صدر أبي مدين، كما قرأ عليه كتاب الإحياء، الذي يعتبر همزة الوصل بينه وبين الشّيخ الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م).[1]

وقد أخذ التّصوّف من طريق عمّه أبي محمّد صالح بن محمّد بن عبد الله بن حرزهم (ت: ق 6هـ/ 12م)، الذي ارتحل إلى المشرق ولازم إمامة مسجد الشّام سنين عدة، أين التقى بالغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) وأخذ عنه ثمّ عاد إلى بلاده، ويعدّ أوّل من أدخل تعاليم الغزالي إلى المغرب.[2]

2- الشّيخ أبو يعزى (ت: 572هـ/ 1177م): هو يلنور (آل النّور) بن عبد الرحمن بن أبي بكر أو يلنور بن ميمون الإيلاني وكنيته أبو يعزى، أصله من أغمات أيلان أو من بني صبيح من هسكورة، من أشهر شيوخ أبي مدين الذين أخذ عنهم التّصوّف، وقد كان أميّا لا يقرأ إلاّ أنّه كان أعجوبة الزّمان، بلغ من مقامات اليقين مقاما لا يبلغه الأفراد العارفين، ونقلت كراماته نقل تواتر، أما عن مجاهداته فقليل من بلغ درجتها من مثل؛ عبد القادر الجيلاني، وسهل بن عبد الله، وأبو الخير المباحي، وأبو عبد الله الهزميري، وأبو زيد، وأبو مدين شعيب؛ أشهر من أخذ عنه وأخصّهم إليه، أخذ التّصوّف الغزالي عن طريق صحبته وخدمته للشّيخ أبي محمّد صالح بن حرزهم (ت: ق6هـ/ 12م).[3]

ب- المدرسة المدينية:

---

(1) المصدر نفسه، ص 13.

(2) أبو يعقوب يوسف التادلي ابن الزيات، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، المصدر السّابق، ص 94 . 95.

(3) أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشّيخ أخبار أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 64-69.

أسّس الشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/1192م) ببجاية بالمغرب الأوسط، وقد استلهم أتباعه تعاليم المدينية، واجتهدوا فيها حتّى أضحى منهم الشّيوخ والأقطاب، وامتاز هذا الاتجاه بتغيير معنى الزهد والتقشف السطحي، وحصر الزهد في تطهير القلب، وإنكار الكرامة الحسية، وقد أصبح المغرب الأوسط بفضل المدينية مركز التّصوف الإسلامي خلال القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي.[1]

وينقسم المدينيون إلى مجموعات منها: من أخذت آراء الشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)،[2] ومجموعة خدمت أبا مدين في حياته ثمّ قامت بنشر تعاليمه العملية من بعده،[3] ومجموعة عاد أصحابها إلى مواطنهم الأصلية وقاموا بنشر تعاليمه،[4] ومجموعة رابعة عاصرت أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وتأثر أصحابها بتعاليم المدينيّة[5].

ومن أبرز أعلام هذه المدرسة: أبو عبد الله القلعي (ت: 628هـ/1233م)، أبو منصور الملياني، محمد بن إبراهيم الأنصاري، أبو علي حسن الغافقي، بلال بن عبد الله الحبشي (ت: 590هـ/ 1196م)، عبد الرحمن المقري، عبد الله بن مرزوق (ت: 681هـ/ 1287م)، يعقوب بن عمران البويوسفي، أبو محمد عبد السلام بن مشيش (ت: 622هـ/1225م)، أبو محمد الصالح الماجري (ت: 631هـ/1234م) ، أبو سعيد الباجي (ت628هـ/1230م)، وابن سيدبونه (624هـ/1226م)، والشيخ الأكبر محي الدين بن

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 130.

(2) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 125.

(3) المرجع نفسه، ص 126-128.

(4) المرجع نفسه، ص 128.

(5) المرجع نفسه، ص 103-104.

العربي (ت: 638هـ/ 1240م)، والدّهماني (ت: 621هـ/ 1223م)، والتباسّي (ت: 642هـ/1244م)، والمهدوي (ت621هـ/1224).[1]

ج-المدرسة الماجرية:

برزت المدرسة الماجرية من رحم المدينية، فقد كان أبو محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) من بين أقرب وأشهر تلاميذ القطب أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، وتلميذه عبد الرزاق الجزولي (ت: ؟)، ولها من الأتباع والمريدين الظاهري الكرامات الوارثين مقامات الولاية، حتّى أنّ الماجريّة فرضت وجودها على السّاحة الصوفية لأقطار بلاد الغرب الإسلامي قرونا عديدة، وهم تلاميذ وأتباع الشيخ أبي محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)، شديدو التأثّر بالغزالية والمدينية في نمط التعاليم والنظام التربوي، فكانت الطريقة الماجرية امتدادا للمدينية بالمغرب الأقصى والغرب الإسلامي عموما، ومن أبرز أعلامها: أبو الربيع سليمان المسيلي، أبو عبد الله محمد الكلاوي، أبو الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي، والحاج سليمان بن أبي بكر بن أبي عمر المسيلي، وأبو عبد الله صالح البجائي، وأبو محمّد الحسين بن محمّد صالح، والمسعود بن عبد الرّحمن حفيد سيدي محمّد صالح، وأبو الحسن سيدي علي بن محمّد حفيد سيدي محمّد صالح.[2]

د -المدرسة الشّاذلية:

من بين أهم الطرق الصوفية التي شهدها الغرب الإسلامي ما بعد القرن (6هـ/12م) والتي انبثقت عن المدرسة المديّنية وذاع صيتها مشرقا ومغربا، ويعدّ مؤسّسها القطب أبو الحسن الشاذلي (ت: 656هـ/ 1261م) التلميذ الأوحد للقطب عبد السلام بن مشيش، تلميذ

---

(1) المرجع نفسه، ص 128-129.

(2) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تخريج: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م، ص 106-118.

القطب أبي مدين شعيب (589هـ/ 1192م)، لهذا فأتباع الشّاذلية شديدو التّأثر بالمدينية في نمط التعاليم والنظام التربوي، القائم على تنقية القلب الذي هو أساس الزهد، وإنكار الكرامات الحسية، والتشبّث بالمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، والتركيز على الأذكار والأدعية، ومن أعلام هذا الاتّجاه: أبو الحسن الشاذلي (ت: 656هـ/ 1261م) وأصحابه الأربعون،[1] وأبو إسحاق إبراهيم الزواوي (ت: 686هـ/ 1292م)، وأبو عبد الله البجائي، وأبو الحسن الزواوي.

خلاصة:

نتيجة لما سبق ذكره في هذا المبحث يمكن القول أنّ الغرب الإسلامي قد انتظم في تيارات واتجاهات صوفية طيلة الفترة ما بين القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي والقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تبلورت بالمدارس الصوفية الكبرى، والتي تمثّلت في مدرسة التّصوّف العملي،[2] ومدرسة أبي حامد الغزالي، ومدرسة التّصوف الفلسفي الأندلسي، ومدرسة أبي مدين شعيب. فكان لكلّ منها مرجعيتها الفكرية وممارساتها العملية، فضلا لأثرها على مجتمع بلاد الغرب الإسلامي، سياسيا وثقافيا ودينيا واجتماعيا.

وعلى كلّ حال، وهو ما يمكن ملاحظته في طبيعة التّصوّف الجنيدي الذي يتّصل به سند الإمام الغزالي والمعتمد عند المغاربة، البعيد عن الشطح والمسائل الفلسفية المتأثرة بالتراث اليوناني، واعتبارا لذلك فالتّصوّف المغربي أصبح لديه هويّة ومرجعية جنيدية سلوكا وتصوّفا.

---

(1) سيأتي ذكر أصحاب الشاذلي وتلاميذه الأربعين في الفصل الرابع.

(2) استطاع التّصوّف المغربي أن يتميّز عن التّصوّف الأندلسي بالطّابع العملي الذي يميل إلى المجاهدات النّفسية والزّهد والبعد عن النّزعة الفلسفية الباطنيّة. ينظر: زاير أبو الدهاج، **العقيدة والدولة في المغرب الوسيط –فلسفة السلطة وحركة التاريخ–**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان–الجزائر، 2012–2013، ص 214–215.

وحيث يتّفق كثير من الباحثين على أن "المدْيَنِيَّة" هي خلاصة جامعة للحركة الصوفية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، بحيث قام الشيخ القطب أبو مدين شعيب بتبسيطها، ما أمكن شريحة العامة من فهم أحوال التصوف والانخراط فيه، فانتقل من خاصّة الخاصّة إلى عامة الناس والانتشار في البوادي والأرياف.

وعليه نحاول في الفصول الموالية تقديم عرض عام حول الطريقة المدينية، التي أرسى أسسها الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1192م) بمدينة بجاية عاصمة المغرب الأوسط، ونتناول بالدراسة جدلية العلاقة بين الفقه والتّصوف ضمن تكوين الرّجل المؤسّس، ونتبع ذلك في الفصلين الآخرين من خلال البحث في الإطار العام للمدرسة، وهو ما نحاول تجليته وفحصه في امتداداتها الأندلسية والمغربية والإفريقية والمشرقية.

الفصل الثّاني

الرجل المؤسس فقيه صوفي أم متصوف فقيه؟

المبحث الأوّل:

شيخ الشّيوخ: الغوث أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المبحث الثاني:

الروافد الفقهية والصوفية لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المبحث الثالث:

أثر المناهل الفقهية والمنازع الصوفية لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في تأسيس المدرسة المدينية

المبحث الأوّل

شيخ الشّيوخ الغوث أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الأوّل: نشأة وتكوين أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الثّاني: السّند الجنيدي لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الأوّل: نشأة وتكوين أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

يعدّ كتاب **أنس الفقير وعزّ الحقير لابن قنفذ القسنطيني** أشهر من ترجم لحياة أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، ونجد أغلب المصادر نقلت عن ابن قنفذ تلك السيرة، وقد ذكر في الكتاب نشأته، وشيوخه، وأقرانه، وتلاميذه، واستقراره ببجاية ووفاته بتلمسان.

الفرع الأوّل: نشأة ووفاة أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري **الأندلسيّ** مولدًا[1] ونشأةً؛ فهو من حصن قطنيانة بالأندلس.

والمغربيّ تكوينًا[2]؛ أين جلس لطلب العلم.

والبجائيّ شيخًا[1]؛ فقد سطع نجمه بعاصمة المغرب الأوسط؛ بجاية.

---

(1) اتّفق المؤرخون على أنّه ولد بالأندلس، واختلفوا في تاريخ مولده؛ فقد قيل سنة: 520هـ/ 1126م، وقيل سنة: 514هـ/ 1120م، وقيل سنة: 512هـ/ 1118م، وقيل سنة: 510هـ/ 1116م، وقيل سنة: 509هـ/ 1115م، وقيل سنة: 508هـ/ 1114م، وقيل سنة: 505هـ/ 1111م، وقيل سنة: 503هـ/ 1109م، وقد كان هذا التّضارب نتيجة للتضارب في سنّ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وتاريخ وفاته، فهناك من قال أنّه توفي على خمس وثمانين سنة خلت، وبين من قال أنّه ناهز الثمانين من عمره. ينظر: أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق: علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط –المغرب، 1996م، ص 138. أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، ط 2، 1997م، ص 319. أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتّاني وآخران، دار الثّقافة، الدار البيضاء–المغرب، 2004م، ج1، ص 417. عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة–مصر، 2005م، ج1، ص 274.

(2) بحكم انتقاله إلى فاس حيث قرأ ودرس بجامع القرويين، وجلس عند مشايخها وسلك طريق القوم هنالك، فقرأ على يد أبي الحسن علي بن خلف بن غالب (ت: 568هـ/ 1171م)، وعلى يد أبي الحسن بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)، وأخذ طريقة التّصوّف على يد أبي عبد الله الدّقاّق السجلماسي (ت: أواخر ق 6هـ/ 12م)، وأبي الحسن السّلوي، ليختتم هذه المرحلة بلبس الخرقة [صحبة واقتداء] من أبي يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م). وهي المرحلة التي دامت تقريبا عشرون سنة من حياته.

والتّلمسانيّ قطبًا ووفاةً[2]؛ فقبره هنالك يزار.

كانت هذه مراحل حياة أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، فأصله من حصن قنطيانة[3] من عمل إشبيلية[4] بالأندلس، وهي الفترة التي قضى فيها أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) طفولته وفتوّته بالأندلس، وقد حدّث عن نفسه فقال: "**كنت يتيما بالأندلس فجعلني إخوتي راعيا لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلّي أو يقرأ، أعجبني ودنوت منه وأجد في نفسي غمّا؛ لا أحفظ شيئا من القرآن، ولا أعرف كيف أصلّي، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلّم القرآن والصّلاة** "[5].

والظاهر أنّ أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193) قد سلك نهج الأنبياء والصّالحين، فكانت حياته شبيهة بحياتهم؛ يتيما فقيرا راعيا للغنم، فقد كان غمّ الجهل الذي يجابهه بعزيمة حب التّعلّم دافعا له لاقتحام المجهول والهجرة إلى البلاد البعيدة، ففرّ من واقعه البئيس وركب

---

(1) اتّخذ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) بجاية مستقرًّا له بعد إذن شيخه أبي يعزى (ت: 572هـ/ 1177م) في الخروج من فاس والرّحلة إلى الحجّ، من ثمّ لقاؤه بالشيخ عبد القادر الجيلاني (561هـ/ 1165م) بمكة المكرّمة وفيها ألبسه خرقة التّصوّف، ليعود أدراجه ويستقرّ ببجاية مدّة تزيد عن الثلاثين سنة، وفيها ظهرت بركاته وفاضت علومه، وكثر تلاميذه ومريدوه فلقّب بشيخ الشيوخ، والولي الشّهير ذي الكرامات، حيث ذاع صيته وزادت شهرته.

(2) كانت وفاة أبو مدين بتلمسان ودفن بناحية العبّاد، التي أضحت مزارا يحجّ إليه النّاس من كلّ مكان، فقد حضرته الوفاة بهذا المكان، وهو في طريقه إلى مرّاكش قادما من بجاية إثر طلبه من قبل الخليفة الموحّدي، وقبل أن يغرغر بثلاث ساعات نال الشيخ أبو مدين القطبيّة، فكان قطب زمانه وولي كلّ وليّ، وكانت وفاته سنة: 589هـ/ 1193م على ما نرجّحه في هذا البحث، فكما كان الاختلاف في تحديد سنة الميلاد اختلف كذلك في سنة وفاته؛ فقيل سنة: 588هـ/ 1192م، وقيل سنة: 589هـ/1193م، وقيل سنة: 590هـ/ 1194م، وقيل على الأشهر سنة: 594هـ/ 1197م.

(3) قنطيانة: مدينة جبلية في موقع مشرف فوق سدّ روماني على نهر الوادي الكبير، على بعد عشرة أميال أو ما يقارب ذلك صعودا من إشبيلية. ينظر: أبو عبد الله محمد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشّريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة–مصر، 2002 م، مج 1، ص 256.

(4) إشبيلية: مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة على نهر قرطبة، بها أسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسير وجلّ تجارتهم بالزّيت، وبينها وبين الجزيرة الخضراء خمسة أيّام (ثمانون ميلا). ينظر: المصدر نفسه، ص 249.

(5) أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 138.

البحر عزما على دفع ظلمة الجهل واستجلاب نور العلم، والتّوجه للعبادة وحياة الزهد والتنسّك، ليكون له عهد جديد بمرحلة جديدة بالعدوة المقابلة للأندلس.

وضمن هذا السّياق فالذي جعل بلاد المغرب محجّا لطلاب العلم والعلماء هي حالة اللّاستقرار التي كانت تعيشها الأندلس، جرّاء حروب الاسترداد واعتداءات النّصارى المستمرّة على ثغور المسلمين، وهو ما حذا بالأندلسيين للهجرة والهروب إلى حواضر المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، ومن بينهم أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)[1]، الذي عبر إلى طنجة[2] ثمّ إلى سبتة[3] أين عمل في بادئ الأمر أجيرا للصّيّادين، ويقول عن ذلك أنه انتقل إلى: "**ساحل البحر فإذا بخيمة وإذا برجل خرج إليّ منها، وظنّ أنّي هربت من النّصارى فرمى بمسمار في رأس قصبة في البحر، فأخرج لي حوتا وشواه لي فأكلته، فكان كلّما**

(1) لعلّ من بين الأسباب التي جعلت أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) يختار بجاية مستقرّا له بعد خروجه من فاس، هو تواجد جالية أندلسية كبيرة مقيمة بها، ما سهّل عليه الاندماج السّريع مع سكّانها لوجود توافق وترحاب من طرفهم، ففي أعقاب رحلته إلى المشرق تعرّف على حاضرة بجاية التي يقول فيها "تعين على طلب الحلال"، إذ كانت بجاية (النّاصرية) عاصمة بلاد المغرب الأوسط العلمية منذ تأسيسها على يد النّاصر بن علا النّاس سنة 461هـ/ 1064م واتخاذها عاصمة للدّولة الحمّادية، وقد حافظت بجاية على دورها الرّيادي العلمي والثّقافي خلال الفترتين المرابطية والموحّدية، ما أمكن طلاب العلم والعلماء والمهجّرين من بلاد الأندلس إلى الاستقرار بها، فهي البلد الآمن الذي به كل متطلبات الحياة والعيش الرّغيد.

(2) مدينة طنجة تبعد عن عاصمة المغرب بحوالي 250 كم، وهي على جبل مطلّ على البحر، وهي مدينة حسنة لها أسواق وصنّاع، وبها إنشاء المراكب وبها إقلاع وحط، وهي أرض متّصلة بالبر فيها مزارع وغلّات وسكانها برابر ينسبون إلى صنهاجة. ينظر: أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المصدر السّابق، 529-531.

(3) مدينة سبتة سمّيت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة والبحر يطيف بها من جميع جهاتها إلا من ناحية المغرب، وهي تقابل الجزيرة الخضراء في عدوة الأندلس، هي سبعة جبال صغار، متّصلة بعضها ببعض، معمورة طولها نحو ميل، يتّصل بها جبل موسى وتجاوره جنّات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة. ومن سبتة إلى فاس ثمانية أيّام. ينظر: المصدر نفسه، ص 528-529.

جعت فعل معي ذلك، ثمّ قال لي: يا هذا أراك تروم أمرا، إنّ الله لا يعبد بالجهل، اذهب إلى الحاضرة كي تتعلّم دينك"[1].

ثمّ عاد أدراجه إلى إشبيلية[2] حسب رواية صاحبه أبي علي حسن الغافقي الصّوّاف (ت: أواخر ق 6هـ/ 12م)[3] قبل التّوجّه إلى مرّاكش، فمرّ خلالها بشريش[4] ومنها إلى الجزيرة الخضراء[5] ثمّ إلى سبتة مرّة أخرى، دون أن يعطينا تفاصيل هذه الرّحلة، إن كانت للتّجهّز لرحلة مرّاكش الشّاقّة؟ أم كانت للبحث عن شيخ يعلّمه دينه دون أن يجده هناك؟[6]

---

(1) أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 139.

(2) في الأحوال كلّها يمكن القول أنّ أبا مدين خرج من الأندلس حاصلا على أبجديات القراءة والكتابة دون الفقه وعلوم القرآن، فرغبته التي صرّح بها قبل ذلك ولهفته لتعلّم الصّلاة وقراءة القرآن إنّما كانت لجهله بالفقه، وهو ما سوف يحصّله بجامع القرويين بفاس. عن عودته إلى إشبيلية. ينظر: أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 140.

(3) حسن بن محمّد بن الفتح الغافقي المعروف بالصّواف (ت: أواخر ق 6هـ/ 12م): من كبار أصحاب أبي مدين، لازمه نحوا من ثلاثين سنة وحضر احتضاره بالعبّاد. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 214.

(4) شريش: مدينة متوسّطة حصينة، مسوّرة الجنبات، حسنة الجهات، وقد أطافت بها الكروم الكثيرة، وشجر الزيتون والتّين والحنطة بها ممكنة وأسعارها موافقة، وهي على مرحلتان من مدينة إشبيلية. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، **المصدر السّابق**، ص 441.

(5) الجزيرة الخضراء أوّل مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام وذلك في سنة تسعين من الهجرة، وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين، ومعه طارق بن عبد الله بن ونموا الزّناتي ومعه قبائل البربر، فكانت هذه الجزيرة أوّل مدينة افتتحت في ذلك الوقت، ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة إشبيلية خمسة أيّام، ولهما طريقان: طريق البر وطريق البحر. ينظر: المصدر نفسه، ص 539-541.

(6) ينظر: أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 140.

وأيّا كانت الطرق فمدينة مرّاكش عاصمة الدولة الموحّديّة هي وجهته ويقول عن ذلك: "**دخلت مدينة سلا[1] ثمّ مراكش[2] فأدخلني الأندلسيّون الذين كانوا بها في جملة الأجناد وكتبوني في ديوانهم، فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطوني منه إلّا القليل، فقال لي بعض النّصحاء: إن أردت أن تتفرّغ لدينك فعليك بمدينة فاس**"[3]، واستنادا على هذا يتّضح لنا أنّ أبا مدين كان يطلب التّفقّه في الدّين ويبحث عمّن يعلّمه ذلك، وكان توجّهه إلى مراكش ظنّا منه أنّ بها ما يريد، لكن عاصمة الدّولة السّياسيّة كان يتجنّبها الفقهاء والصّلحاء اتّقاء لسطوة السلطان وجبروته وانقباضا عنه.

وعلى النقيض من ذلك كانت مدينة فاس مدينة للعلم والعلماء والصّلحاء، فكانت تلك وجهة لمرحلة جديدة في حياة أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، مرحلة طلب العلم والنّبوغ، فعن ذلك يقول: "**توجّهت إليها ولزمت جامعها [يعني جامع القرويّين] وتعلّمت الوضوء والصّلاة، وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكّرين**"[4]، والجدير بالانتباه إليه هنا أنّ ما سافر لأجله أبو مدين قد وجده أخيرا بفاس، وهو التّفقّه في الدّين فبدأ بتعلّم الوضوء (الطّهارة)؛ أوّل باب من أبواب الفقه ثمّ الصّلاة (باب العبادات)؛ ثاني الأبواب الفقهية.

ونكاد نجزم أنّ أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م) لم يكن له تطلّع لتلقّي التّصوّف، إلّا بعد جلوسه إلى **حلق الفقهاء والمذكّرين**، ثمّ إنّه لم يفهم تلك اللغة الصّوفية إلّا بعد أن

---

(1) مدينة سلا على ضفة البحر، كانت في القديم مدينة شالة، منيعة من جانب البحر، وهي مدينة حسنة حصينة، لها أسواق، وتجارات، وسعة أموال، ترسو المراكب على ضفة نهر أسمير الذي يتّصل بالمدينة، ومن مدينة سلا إلى مدينة فاس أربعة مراحل. ينظر: أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السّابق، ص 238-239.

(2) مدينة مرّاكش عاصمة الخلافة الموحّدية، ومن قبلها كانت عاصمة مولة المرابطين الذين قاموا ببنائها حوالي سنة: 462هـ/ 1070م، فعدّت من أجمل المدن في وقتها، حاليا تعدّ ثالث مدينة بالمغرب تبعد عن مدينة الرباط بـ 327كم. ينظر: أبو عبد الله محمّد ابن بطّوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وغرائب الأمصار**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ط 1، 1987، ج 1، ص 285-286.

(3) أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 139.

(4) المصدر نفسه، ص 139.

فهّمها له الشّيخ علي ابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1164م)،[1] وهذا أمر مهمّ في بيان تدرّج أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في تلقّي علوم الشّريعة قبل علوم الحقيقة، وهو ما سوف نتبيّنه في المطلب الثّاني، على كلّ حال فهذه المرحلة التي دامت قرابة ستّة عشر سنة من حياة أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) كانت بغاية الإفادة والتّحصيل، التقى بها بالفقهاء والمحدّثين والعلماء والمتصوّفة، وأخذ فيها من علوم الشّريعة والحقيقة، وتعرّف على نفائس الكتب ورقائقها، لينال بها مرامه ومراده.

وفاته

كما اُختُلِف في تاريخ الميلاد اُختُلِف في تحديد تاريخ وفاة القطب أبي مدين شعيب (589 هـ/ 1191م) بين سنوات: 588هـ/ 1192م،[2] و589هـ/ 1193م،[3] و590هـ/ 1194م، و1192هـ/ 1195م، و594هـ/ 1197م،[4] ويعدّ التاريخ الأخير هو الأشهر والأكثر اعتمادا عند المؤرّخين، لكن بالنّظر إلى تحقيق أحد الباحثين المتأخرين الذي ذهب

---

(1) كان كلام الشّيخ ابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1164م) يثبت في صدر الشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) فيحفظه ولا ينسى منه شيء على النقيض من ذلك بالنّسبة لبقيّة الشّيوخ. ينظر: أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 12.

(2) ذكره صاحب التّشوّف والصومعي في المعزى احتمالا ثانيا بعد اعتماد عام أربعة وتسعين وخمسمائة اختيارا أوّلا. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 319. أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 138.

(3) أبو بكر محيي الدين بن العربي، **الفتوحات المكية**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/1999م، بيروت–لبنان، ج 4، ص 145.

(4) كان هذا التاريخ هو المرجح عند صاحب التّشوّف. ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 319.

إلى ترجيح تاريخ 589هـ/ 1193م،[1] فإنّنا نعتمد على التاريخ السالف الذكر تاريخا لوفاة القطب أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، وهو ما نراه الأقرب للصواب.

وعن ظروف الوفاة ومكانها فقد كانت بعد استدعاء الشّيخ من طرف يعقوب المنصور الموحّدي (596هـ/ 1199م) إلى العاصمة مراكش، بعد أن ذاع صيته وكثر أتباعه وفرض سلطته الروحية في الأوساط الاجتماعية، ما أدّى بالسّلطة السياسية آنذاك التوجّس منه خيفة وحذرا، وفي محاولة لاحتواء الوضع أمر الخليفة بإشخاصه في الحال، فطلب من أمير بجاية أن يحسن وفادته وتذليل مشقّة السّفر عنه، وفي أثناء الطريق فاضت روحه رضي الله عنه قريبا من تلمسان بالمكان المسمّى "يسّر" وينقل إلى ضاحية العبّاد ليدفن هناك.[2]

وقد ظهرت كرامات الشّيخ قبل وفاته رضي الله عنه وبعد وفاته:

أولاها: أنّه أخبر تلاميذه بوفاته قبل وصوله إلى مراكش، بعد أن شاهد الخوف على وجوه المريدين.[3]

ثانيها: أنّه تقطّب قبل أن يغرغر رضي الله عنه بثلاث ساعات، وكان آخر كلامه "الله الحق، الله الحق"، والقطبية في المفهوم الصّوفيّ هي مرتبة منتهى الولاية في ذلك الزمان، والقطب هو ولي الأولياء في زمانه.[4]

---

(1) ينظر: أحمد شفيق رشدي، أبو مدين، **شيخ الشيوخ: حياته، وأصحابه وآثاره**، مجلة الحضارة الخضراء، العلوم العربية، إسبانيا، 2015 م، ع 1، ص 17-20.

(2) مجهول، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص23.

(3) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 319.

(4) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 16.

ثالثها: أنّ أبا علي عمر بن العباس المعروف بالحبّاك (ت: 613هـ / 1216 م) كان من أغنياء تلمسان وأثريائها؛ شاهد موكب جنازة أبي مدين شعيب فأدرك عزة الصوفية ومكانتهم، فهجر حياة التّرف وعاش حياة الزّهد والتّصوف من حينه.[1]

الفرع الثّاني: تكوين أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

كانت المرحلة الفاسيّة من حياة أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) مرحلة التّلقّي والتّعلم والتّفقّه في الدّين؛ فهي غايته وهدفه الذي خرج لأجلها من الأندلس، لكنّه لم يتوقف عند هذا الحدّ بعدما ألف الجلوس للفقهاء، فقد جاوز ذلك إلى الاستفادة من حلق المذكّرين والعارفين، فنال من فنون العلوم، وفتوح العارفين، ولقي "بفاس من الأشياخ والأخيار والفضلاء "[2].

وزاد اهتمام أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) بالجلوس عند أكابر العلماء وسادات التّصوّف وأساطينه، إلى أن حصل على تكوين علمي ومعرفي في جميع أنواع العلوم الإسلامية من فقه، وحديث، وتفسير، وعلوم قرآن، وتصوّف، أهّله إلى الالتحاق بطريق أكابر القوم ومشايخه.

وتبعا لذلك فإنّ جامع القرويّين ومجالس العلماء فيه؛ كان مأوى للطّالب أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، حيث "**سار إليها مجلسا بعد مجلس**"[3]، ليتعلّم بها أحكام الوضوء والصّلاة (الفقه)، ويعمل بما تعلّمه **من آية أو حديث** (علوم القرآن والحديث)، وبقي مقيما

---

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 114.

(2) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 14.

(3) المصدر نفسه، ص 12.

بفاس التي اتّخذ بها **مأوى خال** خارج المدينة (الخلوة والانقطاع)؛ تؤنسه فيه الحيوانات والوحوش.[1]

وكان مرّة على مرّة يزور الشّيخ أبا يعزى (ت: 572هـ/ 1176م) بجبل إيروجان[2]، لينال من بركاته ويشهد عجائب كراماته، إضافة إلى أنّه كان يكثر التّردّد على مجلس أبي الحسن بن حرزهم (ت: 559هـ / 1163م)، إلى أن "فتح الله عليه بالمواهب العليّة والأسرار الرّبّانيّة"[3]، فكان نتاج المرحلة الفاسيّة بالنّسبة لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) حصوله على علوم الشّريعة وعلوم الحقيقة، وهو ما التزم به في طريقته وحرص على التّوفيق بينهما عند أتباعه ومريديه.

ليس غريبا إذن والحال هذه؛ أن تذكر المصادر أنّ أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م) "**كان زاهدا، فاضلا عارفا بالله تعالى، خاض من الأحوال بحارا، ونال من المعارف أسرارا، وخصوصا مقام التوكّل لا يشقّ فيه غباره، ولا تجهل آثاره، وكان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفاف إلى الله تعالى حتى ختم الله له بذلك**"[4].

ضمن هذا السّياق فقد آلت إلى أبي مدين مشيخة التّصوّف بالغرب الإسلامي، وكان شيخا في الفقه وقطبا في التّصوّف، الأمر الذي يدعونا إلى البحث عن فحوى ومضامين الكتب التي درسها، وما مدى تمكن شيوخه من تلك العلوم والمعارف؟ وأيّ فقه وأيّ تصوّف اغترف منه وذاق أحواله؟ هذا ما نحاول التّطرّق له في المطلب الموالي.

---

(1) يقول أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م): "كنت إذا جلست بذلك المكان تأتيني غزالة تأوي إليّ تشمّني من قرني إلى قدمي وتؤنسني ... وكانت في طريقي عمارة فيها جملة كلاب ما رأيت أذى منهم قط ...". ينظر: أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 14.

(2) جبل يقع ببلدة تاغية شمال مدينة فاس بالمغرب الأقصى.

(3) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 16.

(4) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السابق، ص 319. أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعزّ الحقير**، المصدر السّابق، ص11.

المطلب الثّاني: السّند الجنيدي لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)

يتّصل السّند الصّوفي لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) بالإمام أبي القاسم الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) عبر عديد السّلاسل والمشايخ الذين اغترف منهم وأخذ عنهم خرقة التّصوّف، الأمر الذي يدعونا للتّعرّف على هذه الشّخصيّة الفذّة التي تركت بصمتها على التّصوّف الإسلامي مشرقا ومغربا.

الفرع الأوّل: الإمام أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت: 298هـ/ 910م)

هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي القواريري الخزاز، أبو القاسم، سيد من سادات الصّوفيّة، وعلم من أعلامهم، أمّا مولده ونشأته ووفاته فببغداد، اشتهر بصحبة خاله السرّي السّقطي (ت: 251هـ/ 865م)[1]، والحارث المحاسبي (ت: 243هـ/ 857م)[2]، درس الفقه على أبي ثور (ت: 240هـ/ 854م)[3]، أحد تلامذة الإمام الشافعي (ت: 204هـ/ 820م).

ويذكر أنه: "كان قد سمع الحديث عن الكثير من الشيوخ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق من الذّكاء وصواب الجوابات في فنون العلم مالم ير في زمانه مثله عند أحد قرنائه، ولا ممن هو أرفع سنّا منه، ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر،

---

(1) أبو الحسن السرّي بن المغلس السّقطي (ت: 251هـ/ 865م)؛ خال أبو القاسم وأستاذه، صحب معروف الكرخي، وهو إمام البغداديين وشيخهم في الورع والأحوال السّنيّة وعلم التّوحيد، وهو أوّل من تكلّم فيه ببغداد. عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، المصدر السّابق، ص 136-138.

(2) هو أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبي (ت: 243هـ/ 857م) من كبار علماء القوم ومشايخ علوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات، صاحب كتاب الرعاية والتّصانيف المشهورة، أصله من البصرة ممّا اشتهر من كلامه أنّه: "من صحّح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيّن الله تعالى ظاهره بالمجاهدة واتّباع السّنّة". ينظر: المصدر نفسه، ص 138-139.

(3) إبراهيم بن خالد بن اليمان أبو ثور الكلبي الفقيه، أحد الأئمّة المجتهدين، كان من أئمّة الدّنيا، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "أعرفه منذ خمسين سنة، وهو عندي في صلاح الثّوري"، مات سنة أربعين ومائتين. ينظر: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 126.

في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها"[1]، فقد حصّل الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) الفقه والحديث على يد أبي ثور (ت: 240هـ/ 854م)، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنة، وجلس للتدريس وهو لم يبلغ الثلاثين،[2] "فهو النبع الذي يتدفق رحيقه من عرش الإيمان"[3]، فقد كان يتبعه رجال التّصوّف في كل مكان، وله من الأتباع والمريدين الكثير الكثير وليس أدلّ على ذلك ما شهده تاريخ التّصوّف من اجتماع أغلب الطرق والأسانيد إليه.

فالإمام الجنيد يعدّ من كبار الصّوفية الذين "أخذوا على عاتقهم مسؤولية بيان العلم الصّوفي للنّاس، وتقريب المجاهدات البدنية والرياضات النّفسيّة .. ثمّ تأصيلهما على الكتاب والسّنّة"[4]

وضمن هذا السّياق فهو إمام ضرب بعلمه وحاله وسلوكه أروع المثل، وقدّم من جوهر صوفيّته وتحققه أنصع البراهين وأقوى الحجج على أنّ التّصوّف يمثّل أعلى قمّة في الإسلام،[5] فقيل عنه: "كان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدوّن"[6]،

---

(1) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السّلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت–لبنان، 2001 م، ج 8، ص 179.

(2) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1419هـ/1998م، ج 1، ص 347.

(3) طه عبد الباقي سرور، **من أعلام التصوف الإسلامي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ج2، ص 123.

(4) محمد حلمي عبد الوهّاب، **الأخلاق العملية عند صوفية القرنين الثّاني والثّالث الهجريين –قراءة أخلاقية–**، دار المنهاج، السعودية، دار طوق النجاة، لبنان، ط 1، 2020 م، ص 437–438.

(5) ربيعة سحنون وطارق العلمي، **منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط –المغرب، ط 1، 1433هـ/2012م، ص 56.

(6) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان**، المصدر السابق، ج 1، ص 346.

ونقل البغدادي عن أحد الصالحين أنه قال: "لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد"[1].

فقد غلب على النهج الجنيدي الطابع السّني والأخلاقي، البعيد عن المسلك الإشراقي المتّسم بالتطرف، سواء في باب الأخلاق، أو في باب المعرفة، أو في باب المعاملات والتكاليف الشرعية[2]، فكان أساس اعتماده في طريقة التّصوّف هو الكتاب والسنّة واتّباع الشّريعة، مبتعدا عن الابتداع والخوض في الأحوال الإشراقيّة، يقول عن ذلك: "الطّريق إلى الله عزّ وجلّ مسدود على خلقه، إلّا المقتفين آثار رسول الله ﷺ، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21]"[3]، ويشترط على الشيخ المقتدى به أن "يحفظ الحديث ويكتبه ويحفظ الكتاب العزيز ويتفقّه في الدّين ومصطلح الصّوفيّة وإلّا لا يقتدى به"[4].

ومن أقواله[5]:

قال عن **الزّهد:** خلوّ القلب ممّا خلت منه اليد، واستصغار الدّنيا، ومحو آثارها من القلب.

وقال في **الخوف:** توقّع العقوبة مع مجاري الأنفاس.

وقال في **الخشوع:** تذلّل القلوب لعلّام الغيوب.

---

(1) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السّلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، المصدر السابق، ج 8، ص174.

(2) ربيعة سحنون وطارق العلمي، **منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط–المغرب، ط 1، 1433هـ/2012م، ص 56.

(3) أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السّبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، ط 1، مصر، 1964م، ج 2، ص 263. سعاد الحكيم، **تاج العارفين الجنيد البغدادي**، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط 3، 2007م، ص 152.

(4) محمد بن يحي التاذفي الحلبي، **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، المصدر السّابق، ص 14.

(5) أبو نصر تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، المصدر السّابق، ج 2، ص 264–266.

وقال في **التّواضع**: خفض الجناح، ولين الجانب.

وقال في **اليقين**: ارتفاع الرّيب في مشهد الغيب، وهو استقرار العلم الذي لا يتقلّب ولا يحول ولا يتغيّر في القلب.

وقال في **الصّبر**: تجرّع المرارة من غير تعبيس.

وقال في **الإخلاص**: سرّ بين الله وعبده، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفده، ولا هوى فيميله.

وقال في **الحياء**: رؤية الآلاء، ورؤية التّقصير، يتولّد منهما حالة تسمّى الحياء.

وقال في **الشّكر**: ألا ترى نفسك أهلا للنّعمة.

الفرع الثّاني: سلسلة السند الجنيدي

يتّصل سند الإمام الجنيد برسول الله ﷺ وفق السّلسلة التالية:

- رسول الله ﷺ *—> علي بن أبي طالب رضي الله عنه *—> الحسن بن علي رضي الله عنهما *—> الحسن البصري *—> حبيب العجمي *—> داود الطّائي *—> معروف الكرخي *—> سري السّقطي *—> الإمام الجنيد.

ثمّ إنّ الشّيخ أبا مدين يتّصل بالسّند الجنيدي من ثلاث طرق؛ السّند القادري، والسّند المغربي من طريق الشّيخ أبي يعزى وأبي عبد الله الدّقاق، والسّلسلة الغزالية من طريق ابن حرزهم:

1-السّند المغربي للشّيخ أبي مدين من طريق الشّيخ أبي يعزى:[1]

رسول الله ﷺ * —> علي بن أبي طالب رضي الله عنه * —> الحسن بن علي رضي الله عنهما * —> الحسن البصري * —> حبيب العجمي * —> داود الطّائي * —> معروف الكرخي * —> سري السّقطي * —> أبو الحسن النّوري (صحب الإمام الجنيد) * —> أبو بشر الجوهري * —> أبو الفضل بن أبي بشر الجوهري * —> عبد الجليل بن ويحلان * —> أبو ينور الدّكالي * —> أبو شعيب أيّوب السّارية * —> أبو يعزى * —> أبو مدين شعيب.

2-السّند الغزالي للشّيخ أبي مدين من طريق ابن حرزهم:

- أبو طالب المكي * —> أبو المعالي الجويني * —> أبو حامد الغزالي * —> أبو بكر بن العربي * —> أبو الحسن بن حرزهم * —> أبو مدين شعيب

3-السّند القادري المباشر:

- الإمام الجنيد* ـــــ> أبو بكر الشّبلي * ـــــ> أبو الفضل عبد الواحد التّميمي * ـــــ> أبو الفرج الطرسوسي * ـــــ> أبو الحسن علي بن محمد القرشي * ـــــ> أبو سعيد المبارك المخرمي * ـــــ> عبد القادر الجيلاني * ـــــ> أبو مدين شعيب.

نتيجة لذلك وبالعودة إلى روافد أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) الصّوفية المغربية نجد أنّ له سندين أخذ عنهما الخرقة الصّوفية من **طريق الصّحبة والاقتداء** من وهي:

يتبيّن أن التّصوّف المديني بكلّ روافده ينبع من طريقة أبي القاسم الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) بكلّ تفرّعاتها المشرقية والمغربية، فالمدينيّة إذا تجتمع عندها أغلب تلك الفروع الجنيدية.

(1) أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 72-73.

ومن خلال تفحّصنا لسند أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) نجد اجتماع ثلاثة روافد نهل منها: بدءا **بالرّافد المغربي:** من طريق الشيخ أبي يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م)، والشّيخ أبي عبد الله الدّقاق (ت: أواخر ق6هـ/ 12م). ثمّ **الرّافد القادري:** حين التقى أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) بالشيخ عبد القادر الجيلاني (561هـ/ 1165م) في رحلة الحجّ، وألبسه خرقة التّصوّف بمكّة المكرّمة، ثمّ **الرّافد الغزالي:** من طريق الشّيخ أبي الحسن علي بن حرزهم (ت: 569هـ/ 1173م)، وهذا ما سنحاول بيانه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني

الروافد الفقهية والصوفية لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الأوّل: الرافد الغزالي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الثّاني: الرافد المغربي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الثالث: الرافد القادري للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الأوّل: الرافد الغزالي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

الفرع الأول: الشيخ أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م)

هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[1] الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م)[2]، المعروف بأبي حامد نسبة إلى ابن له، والملقب بحجّة الإسلام لذوده عن حياض العقيدة الإسلامية بفكره وقلمه.[3]

ولد بمدينة طوس من إقليم خراسان عام 450هـ/ 1059م، وكان والده يشتغل بغزل الصّوف، فلما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق متصوّف هو الفقيه الشيخ أحمد بن محمد الرازكاني، الذي عنى بتعليم محمد الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) وأخيه أحمد وتفقيههما الفقه الشافعي وأصوله[4].

وبعد تحصيله على الفقه ببلدته سافر إلى جرجان، فأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي (ت: 450هـ/ 1058م)، ثمّ رجع إلى طوس، فمكث فيها ثلاث سنين يشتغل بما كان قد حصّله من العلم.[5]

لينتقل بعدها إلى نيسابور، ليلازم إمام الحرمين ضياء الدين الجويني (ت: 478هـ/ 1085م)، وجدّ واجتهد حتى برع في الفقه الشافعي، وأصول الفقه، وأصول الدين، والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة.[6]

---

(1) نسبة إلى طوس؛ مدينة من أعمال خراسان، فتحها المسلمون سنة 28هـ/ 649م، وبها قبر الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت: 193هـ/ 809م).

(2) نسبة إلى بلدة غزالة قرب طوس، وقيل: نسبة إلى عمل والده غزل الصوف فتشدّد الزاي.

(3) أبو حامد الغزالي، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، تحقيق: أحمد السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1411هـ/1991 م، ص 11.

(4) أبو نصر تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، المصدر السّابق، ج 6، ص 193.

(5) أبو حامد الغزالي، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، المصدر السّابق، ص 11.

(6) عبد الفتاح بركة، **الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته**، منشورات جامعة قطر، قطر، 1406هـ، ص 119.

وفي سنة 478هـ/1085م خرج من نيسابور بعد وفاة شيخه الجويني (ت: 478هـ/ 1085م)، إلى المعسكر الذي كان فيه نظام الملك (ت: 485هـ/ 1094م) وزير السلطان السلجوقي، وظلّ يختلف إلى مجلسه، ويسهم في مختلف المناظرات بآرائه وأفكاره، حتى تأكد الوزير من تألقه على كثير من علماء عصره، بعلمه وخبرته الواسعة، فأسند له التدريس في المدرسة النظامية ببغداد،[1] استطاع في مهمته الجديدة كمربّ مسؤول عن تعليم عدد هائل من الطلاب، أن يؤكد جدارته واقتداره لثناء الناس وإعجابهم،[2] وقد شاهد الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) أحداثا خطيرة في هذه الحقبة، منها:

مقتل نظام الملك _ الوزير السلجوقي _ سنة: 485هـ/ 1094م، ومنها موت السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان (ت: 485هـ/ 1094م) في العام نفسه، ومنها وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله سنة 487 هـ/ 1094 م، كما شاهد حفل تنصيب الخليفة المستظهر بالله (ت: 512هـ/ 1118م).[3]

كل هذه الأحداث دفعت الغزالي لأن يترك المنصب الكبير وهو التدريس في المدرسة النظامية، ويفارق بغداد، ويتوجه إلى الشام سنة: 488هـ/ 1095م.[4]

يقول الغزالي في ذلك: "فلم أزل أتفكر في الأمر مدة، وأنا بعد على مقام الاختيار، أصمم العزم على الخروج من بغداد، وأصل العزم يوما، وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى، فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة، ستة أشهر، أولها رجب 488هـ، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، ثمّ لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي

---

(1) أبو حامد الغزالي، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، المصدر السابق، ص 13.

(2) أحمد السّلاوي، **علم الكلام ونظريات الغزالي**، المعهد التربوي الوطني، الرباط – المغرب، 1403 هـ، ص 2-3.

(3) فائز علي الحاج، **من أعلام التربية العربية الإسلامية _ أبو حامد الغزالي _**، ج 3، مطبوعات مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1409هـ، ص 31.

(4) خالد معاذ، **دمشق أيام الغزالي**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق – سوريا، د.ت، ص 479-489.

يجيب المضطر إذا دعاه، وأظهرت عزم الخروج إلى مكّة، وأنا أدبّر في نفسي سفر الشام"[1].

وفي الشام عاش عيشة الزهاد في مئذنة جامع دمشق الأموي، وقد عرفت بالمئذنة الغزالية، وبعد مرور سنتين رحل إلى بيت المقدس، وكان كثير الاعتكاف في مسجد قبة الصخرة.[2]

وبعد ذلك سافر إلى مكّة فأدى فريضة الحج، ثمّ حدث أن تردّد صداه في بلاد المغرب ولقي إقبالا على كتابه الإحياء، اعتزم الرّحلة إلى المغرب سنة: (499هـ/ 1105م) قاصدا زيارة الأمير يوسف بن تاشفين (ت: 500هـ/ 1106م)، إلا أنه لما وصل الإسكندرية علم بوفاته فقفل راجعا إلى نيسابور.[3]

وظلّ في مدينة نيسابور مدّة من الزّمن، ثمّ عاد بعدها إلى طوس، ثمّ دعاه ضياء الملك بن نظام الملك (ت: 543هـ/ 1149م) فتولّى المدرسة النظّامية سنة: 504هـ/ 1110م للتّدريس في بغداد، فاعتذر عن ذلك، وقد بنى بجوار داره مدرسة للفقهاء، ومأوى للسّالكين، وفاضت روحه في الرابع عشر من جمادى الثانية سنة (505هـ/ 1111م)، مخلّفا حوالي ثلاثمائة كتاب في مختلف العلوم والفنون.[4]

والنّاظر لحياة الغزالي يجدها مليئة بالأحداث والمشاق، الأمر الذي أمكنه من تشكيل شخصية قوية نفسيا وعقليا، تجلّت مع "ثقل التّجربة الشّخصيّة وواقعها"[5]، وجعلته مهيّئا

---

(1) أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال**، تحقيق: جميل صليبا و كامل عياد، دار الأندلس، ط 7، بيروت–لبنان، 1967 م، ص 124–125.

(2) أبو حامد الغزالي، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، المصدر السابق، ص 13.

(3) المصدر نفسه، ص 14.

(4) المصدر نفسه، ص 14.

(5) دانكن بلاك ماكدونالد، **تطوّر الدّولة والفقه والكلام في الإسلام**، ترجمة: محمّد سعد كامل، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط 1، بيروت–لبنان، 2018 م، ص 214.

لاكتساب عديد العلوم والفنون، فيقول عن ذلك: "**لم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ أقتحم لجة البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطانته، ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلما إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سرّ صفوته، ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقا معطلا إلا وأتحسس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته**"[1].

ضمن هذا السّياق يمكن القول أنّ الغزالي اكتسب رصيدا معرفيا كافيا، واطّلاعا واسعا على كلّ الآراء والمذاهب والأفكار المتناقضة، من خلال دراسته دراسة مكثّفة ومعمّقة، ألهمته بعد ذلك إلى تقديم فكر جامع لما وافق الكتاب والسّنة، كما يشهد له بذلك جمهور العلماء، علاوة على ذلك فقد حظي فكره بالقبول في الأوساط الإسلامية في كثير من المراحل التاريخية، اللهم ما تعرّض له من إنكار فيما يمكن إيعازه إلى سوء فهم من قبل الفقهاء.[2]

---

(1) أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال**، المصدر السّابق، ص 80-81. والحاصل أنّه استقرّ إلى علم التّصوّف وآوى إليه بعد أن سبر أغوار علم الكلام وعلم الفلسفة ومذهب أهل التّعليم (القائلين بوجوب المعلّم المعصوم للوصول إلى الحقّ). ينظر: دانكن بلاك ماكدونالد، **تطوّر الدّولة والفقه والكلام في الإسلام**، المصدر السّابق، ص 217-222.

(2) لمزيد من الاطلاع حول حادثة إحراق كتب الغزالي يمكن العودة إلى دراسة: لخضر بولطيف، **الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-**، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، وهران، 2014 م، ص 24 وما بعدها.

وفي أعقاب ذلك لعلّ أشهر ما أنتجه الغزالي من المؤلفات التي لخّص فيها كل ذلك الإنتاج الوفير كتاب **إحياء علوم الدين**؛ الذي خلص فيه إلى أنّ التّصوف هو منتهى ما يصل فيه الإنسان في طريق قربه من الله عزّ وجلّ، فأثنى بذلك على الصّوفية وامتدحهم، وأن سيرتهم أحسن السّير، وطريقهم أصوب الطّرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

وكتاب الإحياء الذي هو موضوع دراستنا والمتعلّق بالتّصوف، فهو الكتاب الذي تلقّفه صوفيّة المغرب بشغف؛ فكان هو الرّكيزة الأولى عندهم في هذا الميدان، إذ طبع المدرسة الصّوفية المغربية بطابعه الخاص، وكان أشهر أساطين التّصوف المغربي متأثّرين به، آخذين عنه مفاهيمه للتّصوف والحياة، ويعدّ الشيخ أبو مدين أبرز ناهل من تصوف الغزالي وإحيائه، فيقول فيهما: "وطالعت كتب التّذكير فما رأيت كالإحياء للغزالي"[1].

الفرع الثّاني: كتاب الإحياء

قام الإمام الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) بتأليف الإحياء بعد أن عرف حياة النّسك والخلوة، وبعد أن تنقّل وطاف الكثير من البلدان والأمصار، وزار بيت الله الحرام وبيت المقدس والشام، وبعد عودته إلى بغداد، فهو ثمرة ما خلص إليه وما حصّله من المعارف والعلوم والفنون.

وقد قدّم للكتاب بكلام في فضل العلم والتعليم، وأربعة أقسام سمّاها أربعة أرباع هي:[2]

1 – ربع العبادات: ويشتمل على عشرة كتب؛ كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام،

(1) أبو العباس بن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 21.

(2) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، المصدر السابق، ص 09.

وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في أوقاتها.[1]

وقد نبّه الغزالي على أنّ ما تمّ ذكره في هذا الربع هي ما أُهْمِل عن ذكره في فنّ الفقهيات من خفايا آداب العبادات، ودقائق سننها وأسرار معانيها.

2 – ربع العادات: ويشتمل على عشرة كتب التي لا يستغني عنها متديّن، وقد ذكر فيها أسرار المعاملات الجارية بين الخلق، وهي:

كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصّحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السّفر، وكتاب السّماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة، وكتاب أخلاق النّبوة.[2]

3– ربع المهلكات: يشتمل على عشرة كتب ذكر فيها كلّ خلق مذموم ورد في القرآن الكريم ودعا إلى اجتنابه. وهي:

كتاب شرح فيه عجائب القلب، وكتاب رياض النّفس، وكتاب آفات شهوتي البطن والفرج، وكتاب آفات اللّسان، وكتاب آفات النّضب والحقد والحسد، وكتاب ذمّ الدّنيا، وكتاب ذمّ المال والبخل، وكتاب ذمّ الجاه والرّياء، وكتاب ذمّ الكبر والعجب، وكتاب ذمّ الغرور.[3]

4– ربع المنجيات: ويشتمل على عشرة كتب وهي:

---

(1) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، المصدر السابق، ص 9.

(2) المصدر نفسه، ص 09.

(3) المصدر نفسه، ص 09.

كتاب التّوبة، وكتاب الصّبر، وكتاب الشّكر، وكتاب الخوف، وكتاب الرّجاء، وكتاب الفقر والزّهد، وكتاب التّوحيد والتّوكل، وكتاب المحبّة والشّوق، وكتاب الأنس والرّضا، وكتاب النّية والصّدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التّفكر، وكتاب ذكر الموت. وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقرّبين والصدّيقين التي يتقرب السيد من رب العالمين.[1]

ويمكن القول أنّ في "الإحياء بحوثا شهيّة في علم المكاشفة وعلم المعاملة"[2]، إضافة إلى الآداب وعلوم التّربية وكل ما يتعلّق بحياة الإنسان ودينه، وما لا نجده عند كبار الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء.

وقد قيل: "من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء"[3]، عبارة لها أبعاد تدلل على محتوى الإحياء الفريد؛ فكتاب **إحياء علوم الدين** للإمام أبي حامد الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) قد جمع فيه بين الفلسفة، والمنطق، والفقه، والأصول، والتصوف. وهو عمدة في أبوابه ومؤلفاته؛ حتى أنه قيل: "لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء أغنى عما ذهب"[4]، فقد أثر به على العالم الإسلامي وطبعه بطابع خاص، فكان فاصلا بين مرحلتين متمايزتين لتطوّر علم التّصوّف.

فقد انتقل التّصوّف بعده إلى علم قائم بذاته، بعد ما شهده العالم الإسلاميّ من فوضى ومآسي كان ضحيّتها صوفيّة المشرق، إذ تسبّب في ذلك جهل النّاس بالتّصوّف وأحواله، والزّهد وأذواقه، وتمّ التّضحية بقاماته وأصفياءه، ما كان العالم الإسلامي يشهدها

---

(1) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، المصدر السابق، ص 09.

(2) المصدر نفسه، ص 28.

(3) خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط 7، بيروت – لبنان، 1986 م، ج 6، ص 312.

(4) خليفة حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ص 23.

بظهور الإحياء، ويذكر باحث أنّه تمّ تشجيع حركة التّصوّف في العهد المرينيّ؛ كمراجعة جذريّة للسّياسة الموحّديّة وحتّى للموقف المرابطي، وفيما يخصّ هذا الكتاب (**الإحياء**) "فقد أصبح من مقرّرات التّدريس بالقرويّين في أيّامهم (بنو مرين)"[1].

وقد كان للإحياء مكانة عند ابن مرزوق (ت: 781هـ/ 1282م)؛ فمن أطرف ما ورد في التّعلّق بـ(الإحياء) وتعظيمه أنّ "ابن مرزوق الجد (ت: 781هـ/ 1282م) ختمه في المحراب النبويّ بمكّة"[2]، وينقل ابن عطاء الله السّكندري (ت: 709هـ/ 1309م) عن الإمام الشّاذليّ (ت: 656هـ/ 1261م) أنّ "كتاب الإحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور"[3]، وفي هذا الكلام دلالة على أن الإحياء حاول أن يقرب التّصوّف إلى العقل. وفي الجانب المقابل فقوت القلوب يخاطب الحسّ الرّوحي.[4]

كلّ هذه المكانة الّتي نالها الإحياء جعلت منه المرجع الأساسيّ لصوفيّة بلاد المغرب، نظرا لبساطة تقديمه لعلم التّصوّف أو لنقل مزاوجته بين الفقه والتّصوّف، خاصّة بإعطائه تفسيرا جديدا للعبادات والنّظر في أسرارها وحكمها حسب مفاهيمه الصّوفيّة، وقد كان طلبة العلم يقبلون عليه، حتّى أنّه بلغ ذروة انتشاره ببجاية وتلمسان وسبتة وفاس، فيما بين القرنين السّابع والثّامن الهجريّين/ الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديّين.[5]

فهو عند الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) آخر ما توصل إليه بعد إتقانه للفقه، والمنطق، والفلسفة، فغدا إذّاك يتذوّق أسرارها بالأحوال الصّوفية ومساقات التّصوف، ولأن

---

(1) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9هـ/ 15م)**، المرجع السابق، ص 22.

(2) المرجع نفسه، ص 22.

(3) ابن عطاء الله السكندري، **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط3، دار المعارف، القاهرة–مصر، 2006، ص47، ص 103.

(4) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9هـ/ 15م)**، المرجع السّابق، ص 21.

(5) المرجع نفسه، ص 19–22.

الإحياء خالف تعاطي الفقهاء مع المسائل الفقهية وذهب إلى تفسير العبادات تفسيرا صوفيا، فقد كان للفقهاء موقف مناهض لما ورد فيه ، على الرأي القائل أنّه يدعو إلى الاهتمام بالعالم الآخر على حساب الحياة الدّنيا، فهو ينتج أجيالا من الكسالى إلاّ من العبّاد والزّهاد، مضعّفا بذلك حماس الشّباب في تحمل مسؤولياته في مجالات الحياة،[1] فلم يجدوا سوى الوشاية على كتاب الإحياء أمام السّلطان، أدّت في محاولات عديدة لإحراقه[2].

ويجدر التذكير هنا أنّ التّصوّف المغربي والمديني بالخصوص؛ قد استنشق روح التّصوّف من الإمام الغزالي وكتابه الإحياء، المعتمد على الكتاب والسّنة، وأصول الفقه، وأصول الدين، فحياة الإمام الغزالي مشبعة علما، وفقها، وفهما رصينا لجملة من الفنون والعلوم، فقد جال العديد من البلدان والأصقاع، طالبا العلم النافع، باحثا عن الحقيقة، وكتابه _الإحياء_؛ هو ثمرة هذه الحياة وزبدة الفهم والعلم، وهو تجديد لعلوم الدين والحياة، ونور أضاء العالم الإسلامي وأحياه، فلا غرابة أن نرى الغرب الإسلامي يشرق بنور "المدينية"؛ مبتعثا إشراقا جديدا من الغرب الإسلامي، امتدادا وإمدادا واجتهادا، ألمع به أحوال التصوف وأذواقه، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في الفصول اللاحقة.

المطلب الثّاني: الرافد المغربي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

إنّنا نعتبر أنّ التّصوّف المغربي ما هو إلّا مزيج من التّصوّف الأندلسي والمشرقي، فقد كان متصوّفة المغرب تلاميذ لأساطين التّصوّف الأندلسي من أمثال ابن العريف وابن برجان وابن قسّي، إضافة إلى أثر التّصوّف المشرقي إلى بلاد الغرب الإسلامي، ويظهر ذلك في اعتماد المغاربة على كتاب الرسالة للقشيري والرّعاية للمحاسبي، إضافة إلى احتضانهم لكتاب الإحياء وأفكار الغزالي، وتبعا لذلك يقودنا البحث حول تلك العلاقة ما بين

(1) إبراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9هـ/ 15م)**، المرجع السّابق، ص 20.

(2) لخضر بولطيف، **الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي –مقاربات منهجية–**، المرجع السّابق، ص 24 وما بعدها.

المدرسة المدينية والمدرستين المشرقية والأندلسية، وفي أعقاب ذلك يتوجّب علينا التّعرّف على شيوخ أبي مدين شعيب المغاربة.

الفرع الأول: الشّيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمّد ابن عبد الله بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م): ولد بفاس ونشأ بها، وكان فيها من كبار الفقهاء، يتّصل نسبه إلى الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه، في سلسلة من ثلاثة عشر اسما، وكانت وفاته رحمه الله في عام تسعة وخمسين وخمسمائة ودفن خارج باب الفتوح من أبواب فاس.[1]

لازمه الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وقرأ عليه رعاية المحاسبي وفهّمها له، وهو أوّل شيخ يثبت كلامه في صدر أبي مدين،[(2)] كما قرأ عليه كتاب الإحياء، الذي يعتبر همزة الوصل بينه وبين الشّيخ الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م)، يقول الشّيخ أبو الحسن بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م) عن الإحياء: "اعتكفت على قراءة إحياء علوم الدّين في بيت مدّة من عام، فجرّدت المسائل التي تنتقد عليه، وعزمت على حرق الكتاب، فلمّا نمت رأيت قائلا يقول: جرّدوه واضربوه حدّ الفرية، فضربت ثمانين سوطا، فلمّا استيقظت، جعلت أقلّب ظهري فوجدت به ألما شديدا من ذلك الضّرب، فتبت إلى الله تعالى ممّا اعتقدت، ثمّ بعد ذلك تأملت المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسّنّة"[3] .

ضمن ذات السّياق فابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م) من تلاميذ أساطين التّصوّف الأندلسي كابن العريف (ت: 536هـ/ 1141م) وأبو الحكم ابن برجان (ت: 536هـ

---

(1) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي** ، المصدر السّابق، ص 168-169 .

(2) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 12.

(3) المصدر نفسه، ص 12.

/1141م) وابن قسّي (ت546هـ/1151م)، وهو بذلك واسطة بين أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) والتّصوّف الأندلسي.

وتبعا لذلك فالشّيخ ابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م) أحد أهمّ شيوخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) الذين أخذ عنهم الفقه والتّصوّف فقد كان حافظا للفقه زاهدا في الدّنيا، سالكا في التّصوّف سبيل أهل الملامتيّة[1]، كما اشتهر بكرامات في صورة رؤى صادقة، وقد شهد له الفقهاء والعلماء بالصّلاح، علاوة على ذلك فقد أخذ الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) عن شيخه ابن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م) خرقة التّصوّف وفق سند الإمام الجنيد (ت: 298هـ/ 910م):

- **أبو طالب المكي * —> أبو المعالي الجويني * —> أبو حامد الغزالي * —> أبو بكر بن العربي * —> أبو الحسن بن حرزهم * —> أبو مدين شعيب.**

الفرع الثّاني: الشّيخ أبو يعزى (ت: 572هـ/ 1177م)

الشّيخ أبو يعزى أشهر من أخذ عنه أبو مدين وأخصّهم إليه، هو يلنور (آل النّور) بن عبد الرحمن بن أبي بكر أو يلنور بن ميمون الإيلاني وكنيته أبو يعزى، أصله من أغمات أيلان أو من بني صبيح من هسكورة، كان أميّا لا يقرأ إلاّ أنّه كان أعجوبة الزّمان، بلغ من مقامات اليقين مقاما لا يبلغه الأفراد العارفين، أما عن مجاهداته فقليل من بلغ درجتها من مثل؛ عبد القادر الجيلاني، وسهل بن عبد الله، وأبو الخير المباحي، وأبو عبد الله الهزميري، وأبو زيد، وأبو مدين شعيب.[2]

---

(1) من الملامة؛ والملامتية هم الذين "أظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم". ينظر: علي سامي النّشّار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الزهد والتّصوف في القرنين الأوّل والثّاني الهجريين**، دار المعارف، ط 8، القاهرة–مصر، ج 3، ص 566.

(2) أحمد التّادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشّيخ أخبار أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 64–69.

نهل الشّيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) التّصوّف من الشّيخ أبي يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م) إذ كان كثير التردّد عليه وزيارته بجبل إيروجان جنوب فاس، حتّى أذن له بالخروج من فاس والسّير في رحلة الحجّ، وأنبأه بما يعترضه في رحلته من اعتراض الأسد له ولقائه بثلاثة لصوص فيعضهم، ثمّ يعود ويستقرّ ببجاية، وهذا من كرامات الشّيخ أبي يعزى فقد "نقلت كراماته نقل التّواتر؛ حدّث عن البحر ولا حرج"[1].

وممّا شهد من كرامات الشّيخ أبي يعزى (ت: 572هـ/ 1177م) فقد كانت شديدة الأثر على أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، فيروي لنا أوّل مارآه: "في **أول زيارتي له رأيت جماعة تحدثوا عن كراماته ونووا زيارته، فذهبت معهم إليه، فلما وصلنا أقبل على القوم دوني، وأحضر الطعام فمنعني من الأكل معهم، فإذا حضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقول في نفسي: هؤلاء من هذه العدوة أقبل عليهم وأنا أندلسي، فأقمت كذلك ثلاثة أيام وقد أجهد فيّ الجوع والذّل، ثمّ قلت في نفسي: إذا قام الشّيخ من مكانه أمرّغ وجهي في ذلك المكان، فقام ومرّغت وجهي، فلمّا رفعت رأسي لم أبصر شيئا، فمسح بيده على عيني، فعاد بصري، ثمّ مسح على صدري وقال للحاضرين: هذا يكون منه كذا وكذا**"[2]

---

(1) تحدّث أبو مدين عن كرامات أبي يعزى فيقول: "رأيت أخبار الصّالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا، فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، وينبغي أن تكتب بالذّهب" ينظر: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 15-16، 21 .

(2) فسّر ابن العربي (ت: 638هـ/ 1240م) هذه الكرامة على أنّ "موسى لما جاء من عند ربّه كساه الله نورا على وجهه، يعرف به صدق ما ادّعاه، فما رآه أحد إلا عمي من شدّة نوره، فكان يتبرقع حتّى لا يتأذّى النّاظر إلى وجهه عند رؤيته، وكان شيخنا أبا يعزى بالمغرب موسوي الورث، فأعطاه الله هذه الكرامة، فكان ما يرى أحد وجهه إلّا عمي، فيمسح الرّائي إليه وجهه بثوب ممّا هو عليه فيردّ الله عليه بصره، وممّن رآه فعمي شيخنا أبو مدين-رحمة الله تعالى عليهما-حين رحل إليه، فمسح عينيه بالثّوب الذي على أبي يعزى (ت: 572هـ/ 1177م)، فردّ الله عليه بصره"، هذا التفسير من ابن عربي نجد له مثالا في قصّة يوسف مع والده يعقوب عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿93﴾ ﴾ [يوسف: 93]، ثمّ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: 96]، وقد ذكر ابن العربي (ت: 638هـ/ 1240م) أنّ هذا الخرق للعادة؛ متكرر بين الأولياء والصّالحين، "وكان في زماني وما رأيته، لما كنت

تبعا لذلك فالمدرسة اليعزوية تمتاز بمجاهدة النفس والتقشف في المأكل والملبس، والاعتماد على الذكر والأوراد، والكتاب والسنة منهجها، وطريقة الجنيد والغزالي سلوكها، وقد أخذ عنها أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) بعضا من تلك التّعاليم، وهي المدرسة التي ختم بها الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) تلقيه لعلم التّصوف المغربي، حين أجازه الشّيخ أبو يعزى (ت: 572هـ/ 1177م) للتدريس والتّعليم وشهد له بالمشيخة والوصول، ليأذن له بالخروج إلى الحجّ والاستقرار ببجاية.[1]

بموازاة ذلك فقد لبس أبو مدين خرقة التّصوّف من شيخه أبي يعزى بسنده من طريق أبي الحسن النوري صاحب الإمام الجنيد:

رسول الله ﷺ * —> علي بن أبي طالب رضي الله عنه * —> الحسن بن علي رضي الله عنهما * —> الحسن البصري * —> حبيب العجمي * —> داود الطّائي * —> معروف الكرخي * —> سري السّقطي * —> أبو الحسن النّوري (صحب الإمام الجنيد) * —> أبو بشر الجوهري * —> أبو الفضل بن أبي بشر الجوهري * —> عبد الجليل بن ويحلان * —> أبو ينور الدّكالي * —> أبو شعيب أيّوب السّارية * —> أبو يعزى * —> أبو مدين شعيب.

وللشّيخ أبي يعزى سند آخر من طريق الشّيخ **صالح ابن حرزهم** عن الإمام **الغزالي** بسنده إلى **الإمام الجنيد.**

عليه من الشّغل، وكان غيره [أبو يعزى] من الأولياء المحمّديين ممّن هو أكبر منه في العلم والحال والقرب الإلهي، لا يعرفهم أبو يعزى (ت: 572هـ/ 1177م) ولا غيره". ينظر: محبي الدين ابن العربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السابق، ج4، ص 50-51.

(1) الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 121.

وكما هو مشهور عند المترجمين فالشّيخ أبو يعزى صحب أزيد من أربعين شيخا، خادما لهم أشهرهم الشّيخ أبو شعيب السّارية.

المطلب الثالث: الرافد القادري للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

انفتح الشيخ أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193) على التّصوّف المشرقي عن طريق الشّيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 567هـ/ 1171م)، فكان اللقاء بينهما مناسبة لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193) للبس الخرقة الصّوفيّة والتّشبّع من المشرب الصّوفي المشرقي.

الفرع الأول: الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 567هـ/ 1171م)

هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحي بن محمد بن داوود بن موسى الحوزي بن عبد الله المحض بن الحسن المضيء بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قطب العارفين، ولد سنة سبعين وأربعمائة ببغداد، لأمّ قرشية كان لا يرضع ثديها في رمضان، وهي أم الخير فاطمة بنت الشّيخ عبد الله الصّومعي الحسيني الزّاهد.[1]

تتلمذ على يد أشياخ الفقه ببغداد ومنهم؛ أبو الوفا علي بن عقيل الحنبلي، وأبو الخطاب محفوظ الكلوذاتي الحنبلي وأبو الحسن محمد الفرّاء الحنبلي، والقاضي أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي الحنبلي، كما قرأ الأدب على يد أبي زكريا يحي بن علي التبريزي، كما حصّل الحديث من أبي غالب محمد بن الحسن الباقلاني، وأبي سعيد محمد بن عبد الكريم بن خشيشا، وأبي الغنائم محمد بن محمد بن علي بن ميمون الفرسي، وأبي بكر أحمد

(1) ينظر: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 246. محمد بن يحي التاذفي الحلبي، **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، ط 3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1956 م، ص 3.

المظفر، وأبي جعفر بن أحمد بن الحسين القاري السّراج، وأبي القاسم علي بن أحمد بن بنان الكرخي، وأبي طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف، وغيرهم كثير.[1]

وأخذ التّصوّف عن الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن أيّوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة الهمداني، وكما هي عادة الصالحين فقد لبس الخرقة الصوفية من القاضي أبو سعيد المبارك المخرمي، ولبسها المخرمي من الشّيخ أبي الحسن علي بن محمد القرشي، ولبسها القرشي من أبي الفرج الطرسوسي، ولبسها الطرسوسي من أبي الفضل عبد الواحد التّميمي، ولبسها التّميمي من يد شيخه أبي بكر الشّبلي، ولبسها الشّبلي من الشّيخ أبي القاسم الجنيد، وبسند الجنيد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم.[2]

والمحصّلة أنّ مترجمي الشّيخ عبد القادر أوردو أنّه: كان شيخ زمانه وقطب عصره صاحب الكرامات والمقامات، وشيخ الفقهاء والفقراء، رأسا في العلم والعمل، محيي السّنّة ومميت البدعة، مثقل العلم، الزّاهد العارف، القدوة شيخ الإسلام، وعلم الأولياء وتاج الأصفياء، شيخ العصر وعلامة الحين، وقدوة العارفين وسلطان المشايخ.[3]

وقد كان أساس الطريقة القادرية اتّباع السّنّة المحمّدية، وعدم الابتعاد عنها، وعدم نسيان الواجبات الأسرية، وعدم الانعزال عن المجتمع، فالتّصوّف عنده جهاد دائم ضدّ النّفس، وضرورة تطهير النّفس والابتعاد عن أهوائها، لقمع الشّرك الباطني (العجب بالنّفس)، وعلى اعتبار أنّ الجهاد سنام الأمر؛ فالتّصوف هو آخر مرتبة يبلغها المسلم في درجات القرب، ومن ثمّة الخضوع التّام للإرادة الإلهية.[4]

---

(1) محمد بن يحي التاذفي الحلبي، **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، المصدر السّابق، ص 4.

(2) المصدر نفسه، ص 4.

(3) المصدر نفسه، ص 4-8.

(4) المصدر نفسه، ص 14.

الفرع الثّاني: لقاء الشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) بالشّيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 567هـ/ 1170م)

كان من أهمّ محطّات حياة الشّيخ أبي مدين لقاؤه بالشّيخ عبد القادر الجيلاني بمكة المكرّمة أثناء رحلته الحجّية، فكان اللّقاء مناسبة لجلوس أبي مدين بين يدي الجيلاني ومن ثمّ لبس الخرقة الصّوفية، ويذكر الصومعي في المعزى أنّه "**قرأ عليه بالحرم الشّريف كثيرا من الحديث وألبسه خرقة التّصوّف، وأودعه كثيرا من أسراره، وحلاه ملابس أنواره**"[1].

وقد اجتمع به في جبل عرفات على حسب ما يذكر الشّيخ عبد الرّزاق[2] ولد الشّيخ عبد القادر الجيلاني، فجلس بين يديه، وسمع منه مروياته، ولبس منه خرقة بركة.[3]وهنا يقصد ولد الشّيخ أنّ أبا مدين قد تتلمذ على يدي الشّيخ واستزاد من علومه، فهو الفقيه والمحدّث قطب العارفين، تتلمذ على كبار العلماء والفقهاء كأبي الوفا علي بن عقيل الحنبلي وغيره، كما أخذ الحديث على أشهر المحدّثين في وقته؛ أبي غالب محمد بن الحسن الباقلاني.

بالإضافة إلى لبس خرقة التّصوّف من الشّيخ القاضي أبو سعيد المبارك المخرمي:

- **الإمام الجنيد* —> أبو بكر الشّبلي * —> أبو الفضل عبد الواحد التّميمي * —> أبو الفرج الطرسوسي * —> أبو الحسن علي بن محمد القرشي * —> أبو سعيد المبارك المخرمي * —> عبد القادر الجيلاني * —> أبو مدين شعيب.**

---

(1) أبو العباس التادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 143.

(2) عبد الرزاق الجيلاني: ولد سنة 528هـ/ 1134م، وسمع الكثير بإفادة والده، وبنفسه من ابن صرما، والحافظ ابن ناصر، وابن البناء، وأبي الوقت، غلبت معرفته بالحديث على معرفته بالفقه، كان حافظا، متقنا، صدوقا، حسن المعرفة بالحديث، فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعا منقطعاً في منزله عن الناس، لا يخرج إلا في الجمعات، توفي سنة 603 هـ/ 1206م، ودفن بباب الحرب في بغداد. ينظر: أبو الطّيب محمّد صدّيق حسن خان القنّوجي البخاري، **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطّراز الآخر والأوّل**، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، ط 2، قطر، 2007 م، ص 207.

(3) محمد بن يحي التاذفي الحلبي، **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، المصدر السّابق، ص 05.

وعلى الرّغم من الاختلاف المذهبي بين الشّيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي، والشيخ أبي مدين المالكي إلّا أنّ أبا مدين بقي محافظا على المرجعية الفكرية المغربية في ثلاثية: الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية، والتّصوّف الجنيدي، فإنّه يبرز لنا حقيقة التّصوّف الذي يتجاوز الخلافات المذهبية والتّرفّع عنها، والعمل على البناء الرّوحي للفرد والجماعة، في سبيل الوصول إلى حقيقة التّوحيد، وهو أساس ما جاء به الإسلام ونادى به الأنبياء والرسل الكرام عليهم أفضل الصّلاة والسّلام، إضافة إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بين الفرق والمذاهب،[1] عن طريق الابتعاد عن كلّ ما يفرّق والالتفات إلى ما يوافق، وذلك بتعميق البعد الإيماني في التّجربة الصّوفية المدينيّة، وتمتين تلك العلاقة الثلاثية للمرجعية الفكرية المغربية، فقها وعقيدة وسلوكا.[2]

فكان مجتمع بلاد الغرب الإسلامي أمام رؤية جديدة للتّصوّف، تتّسم بالبساطة والعموم، متمسّكة بالكتاب والسنّة، وبعيدا عن الإشراق والحلول، وتعمّم الممارسة الصّوفية إلى كل الأوساط الاجتماعية، وأمكن للساكنة من تذوّق روح التّصوّف؛ الذي يرقى بالمسلم

---

(1) بالموازاة مع ذلك يمكن استغلال الظاهرة الصوفية كإطار ثقافي جامع نستطيع من خلاله معالجة حالة الانقسام والتشرذم التي يعيشها العالم الإسلامي حاليا، والاستفادة من تلك التجربة في وضع الحلول للأزمات الثّقافية والفكرية والاقتصادية والسّياسية والاجتماعية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، في ظلّ الحدّية والتّنافرية والتجزيئية التي لا يمكن أن تتّفق تحت وطئتها المذاهب والفرق الإسلامية في هذا العصر، وليس أدلّ على ذلك من "اهتمام الفكر الغربي بالفكر الصّوفي أكثر من اهتمام المسلمين أنفسهم، لما وجدوا فيه من نظريات وأطروحات، منها ما يخدم توجهاتهم الحضارية ... ومنها ما يسدّ فراغهم الروحي، ويحلّ مشكلاتهم المعرفية"، وفي الأحوال كلّها فإن أبا مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) قد انتبه للأمر كما كان سبّاقا في جعل التّصوّف وسيلة لتمتين الوحدة الفكرية لمجتمع الغرب الإسلامي، وفي السياق ذاته قام أتباع المدينية بنفس الدّور في باقي الأقطار والأمصار. لمزيد من الاطلاع حول استفادة الغرب من التّصوّف الإسلامي، ينظر: عبد الحكيم فرحات، **التّصوّف العالمي قراءة تحليلية نقدية**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008م، ص 697.

(2) خالد زهري، **الرسالة التوحيدية والروحية لدى فقهاء المغرب "أبو مدين الغوث أنموذجا"**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008م، ص 331–332.

إلى درجات الإحسان، وهو ما نلحظه في تشكيلة الشخصية الاجتماعية ببلاد الغرب الإسلامي، إذ عمل التّصوّف على تربية الأفراد وتهذيب سلوكهم وأخلاقهم.

فالتّصوّف عموما والمدينية خصوصا يعملان على تخلية الأنفس من رذائل الصفات وذميمها، ومن ثمّ تحليتها بفضائل الأخلاق وكريمها، فينتج لنا مجتمعا بعيدا عن العصبية والتّطرف، قريبا من الوسطية والاعتدال، إلّا أنّ هذا التّطوّر في مفهوم التّصوّف وتبسيطه للنّاس، كان له آثار سلبية تمثّلت في ظهور تصوّف خليط بالدّروشة والشّعوذة.

المبحث الثالث

أثر المناهل الفقهية والمنازع الصوفية لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في تأسيس المدرسة المدينية

المطلب الأوّل: المناهل الفقهية والمنازع الصّوفية للشيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)

المطلب الثّاني: امتدادات المدرسة المدينية وانتشارها

المطلب الأوّل: المناهل الفقهية والمنازع الصّوفية للشيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)

يعدّ الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) جامعا للعلوم الفقهية والصوفية؛ وليس أدلّ على ذلك ممّا رواه عن نفسه بالقول: "**كنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله تعالى، ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله ﷺ، قنعت بهما وانصرفت إلى خارج فاس لموضع خال من الناس، اتّخذته مأوى للعمل بما يفتح الله عليّ من الآية والحديث**"[1]، هذا ما يدلّ على اهتمامه بالفقه والحديث قبل انصرافه إلى علم التّصوّف أو فلنقل أنّ تصوّف أبي مدين كان قاعدته الفقه والحديث فعلم الظّاهر مبدأ علم الباطن.

فالشيخ ينكر على المريد القفز إلى طلب والتماس الكرامة في طريق تلقّي التّصوف، دون أن يكون متفقها عالما بعلوم الشّريعة، فـ"**الملتفت إلى الكرامة كعابد الوثن، فإنّه إنّما يصلي ليرى كرامة**"[2].

وضمن هذا السّياق يقودنا البحث حول طبيعة العلوم التي تلقّاها أبو مدين خلال هذه المرحلة، وإلى أيّ مدى تمكّن منها؟ ومن هم الشّيوخ الذين أخذ عنهم؟

الفرع الأوّل: المناهل المغربية لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)

لقد أخذ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت: 569هـ/ 1173م)، فعن طريقه اتّصل سنده بالإمام الجنيد (ت: 298هـ/ 910م) وهو ما تمّ بيانه في المبحث الأول، إضافة إلى الشّيخ أبي يعزى (ت: 572هـ/

---

(1) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص: 14.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، ج 5، دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1965 م، ص: 120.

1177م)، والشّيخ أبي الحسن بن غالب (ت: 586هـ/ 1190م)، وأبي الحسن السّلوي، وأبي عبد الله الدقاق (ت: أواخر القرن 6هـ/ 12م)، وغيرهم من الفقهاء والصّالحين.

1-أبو عبد الله الدقاق (ت: أواخر ق6هـ/ 12م):

من أهل سجلماسة، كان يتردد إلى مدينة فاس، من كبار مشايخ الصّوفية، وأحد مشايخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، الذي أخذ عنه طريقة التّصوّف، ويفخر شيخه الدّقاق على أنّ أبا مدين "**أوّل من أخذ عنه التّصوّف**"[1]، ومن أصحاب أبي عبد الله الأصمّ، وأبي عمرو التّلمساني، كان يصرّح أنّه ولي ويتكلّم بأشياء تنكر عليه، فذكر بعض أصحابه لابن العريف (ت: 536هـ/ 1141م) وأبي الحكم بن برجان (ت: 536هـ /1141م) فقالا: لا تنكروا عليه شيئا من أحواله.

فالدقاق (ت: أواخر ق6هـ/ 12م) كان من رعيل متصوفة المغرب الأوائل، الذين نهجوا أسلوب المجاهدة النفسية في التّصوّف، وينتمي إلى جيل الصوفي أبي عبد الله الأصم، وأبي عمرو التلمساني، الذي عاصر أبا العباس بن العريف (ت: 536هـ/ 1141م)، والحكم بن برجان (ت: 536هـ /1141م) الذين استحسنا تصوّفه، وطالبا من أصحاب الدّقاق (ت: أواخر ق6هـ/ 12م) ألا ينكروا عليه ما يصدر عنه من الأحوال وأغلب نشاطه تركز في سجلماسة وفاس.[2]

2-أبو الحسن السّلاوي (ت: ؟):

أخذ عنه طريقة التّصوّف، ومن بين أوائل الذين تلقّى منهم التّصوّف،[3] إلّا أنّ المصادر لم تذكر له ترجمة وافية عنه.

---

(1) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 27.

(2) الطاهر بونابي، **التّصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 119.

(3) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 322.

3-أبو الحسن علي بن غالب (ت: 586هـ/ 1173م):

من فقهاء الأندلس وأكبر روّاة الحديث، يحضر مجلسه كبار العلماء والفقهاء، أخذ عنه أبو مدين كتاب السّنن لأبي عيسى التّرمذي (ت: 279هـ/ 892م)، ويعتبر بن غالب همزة وصل بين الشّيخ أبي مدين والتّصوّف الأندلسي، فقد أخذ ابن غالب عن ابن العريف (ت: 536هـ/ 1141م) وابن برجان (ت: 536هـ /1141م).[1]

الفرع الثّاني: الحضور الفقهي والمنزع الصّوفي لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

أوّلا: الحضور الفقهي لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

كان المذهب المالكي هو مذهب المغاربة منذ القرن الثاني الهجري، فكان المذهب الرّسمي والشّعبي عبر كلّ المراحل اللّهم ما تعرّض له من محاولات تقويض على يد الفاطميين وبعض فترات من العهد المرابطي والموحّدي، لكن سرعان ما يعود المذهب إلى ريادته وصدارته، وهو بالتّالي المذهب المدرّس في أغلب المساجد والكتاتيب والزّوايا والمدارس ببلاد الغرب الإسلامي.

ولم يكن الشّيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) استثناء من هذه القاعدة الاجتماعية المغربية، لذا فقد تلقّى الفقه على مذهب الإمام مالك في مسجد القرويّين بفاس، ولم يزل كذلك حتّى أصبحت **ترد عليه المسائل فيجيب عليها في الحال ويفتي فيها على مذهب مالك**،[2] ونتيجة لذلك فقد كان أبو مدين ضليعا بالفقه المالكي إمدادا من خلال ما أشرنا إليه سابقا، واستمدادا ممّا أجاب عنه وأفتى به.

---

(1) أبو يعقوب يوسف التّادلي ابن الزيات، **التّشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 322.

(2) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 17.

وقد أجاب على مسألة فقهية اختلف حولها طلبة العلم، وكان اختلافهم حول حديث رسول الله ﷺ، كيف يكون للمؤمن إذا مات أعطي نصف الجنّة؟ فقال: "نزيل الإشكال عن أصحابنا من غير أن يسألوه"[1]، وقال: "إنّما أراد رسول الله ﷺ نصف جنّته لأنّ لكلّ مؤمن جنّة تخصّه؛ فإذا مات أعطي نصف جنّته وبعد الحشر يعطى النّصف الثّاني"[2]

بموازاة ذلك يظهر فقه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في أمره لرفيقه بإعادة صلاة المغرب؛ حين علم أن صلاته لم تكن لوجه الله، فيقول في ذلك: "صليت مع عمر الصبّاح صلاة المغرب، فلما سلّمنا قال لي: رأيت وأنا في الصلاة ثلاثا من الحور أو أربعا وهن يلعبن في ركن البيت، فقلت له أرأيتهن؟ فقال: نعم، فقلت له: أعد صلاتك، فإن المصلّي إنما يناجي ربه، وأنت ناجيت الحور"[3].

وفي رواية تظهر فقه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) ونفاذ بصيرته، أنّه قال: "**قالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى: ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النّساء وبطونهنّ، ويتفل عليهنّ فيبرأن، ونرى أنّ لمسهنّ حرام؛ فإن نحن تكلّمنا في هذا هلكنا، وإن سكتنا تحيّرنا!؟ فقلت لهم: أرأيتم لو أنّ بنت أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطّلع عليه إلّا الزّوج، ولم يجد من يعاينه إلّا طبيب يهودي أو نصراني، ألستم تجيزون ذلك؟ مع أنّ دواء اليهودي أو النّصراني مظنون، وأنتم من معاناة أبي يعزى على يقين من الشّفاء، ومن معاناة غيره على شكّ؟ فبلغ كلامي أبا يعزى فكان يقول: إذا رأيتم شعيبا فقولوا له: عسى أن يعتقني؛ كأنّه استحسن جوابي عنه**"[4].

---

(1) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص 17.

(2) المصدر نفسه، ص 17.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، المصدر السّابق، ص 120.

(4) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السابق، ص: 323.

واللافت ممّا سبق أنّ أبا مدين شعيب كان من كبار الفقهاء الذين يرجع إليه في المسائل الفقهية المستعصية على غيره من فقهاء زمانه، وليس أدلّ على ذلك ممّا وصل إلينا من تفسيره الذي علّق عليه ابن الطّوّاح (كان حيا سنة: 718هـ/ 1318م)[1] بأنّ كلامه: "**يقصر عن كتبه النّضار، وتحار في معانيه القلوب والأبصار، كلام من أدرك وحقّق ووافق المفصّل لما دقق**"[2]، في سياق عرضه تفسير آيات من سورة يوسف وسورة الكهف،[3] والتي أوردها في كتابه سبك المقال لفكّ العقال.

وقد استهلّ الشّيخ أبو مدين تفسيره لآية سورة يوسف ببيان حقيقة العَالَمَيْنِ؛ عالم الملك والشّهادة، وعالم الملكوت والأزل والأبد، وفيه أكّد على تنزيه الأنبياء عن الفواحش، وعصمتهم من الكبائر، فقال: "**عندنا عالمان عالم الملك والإرادة، وهو المعبّر عنه بالعالم السفلي، والعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي التّرتيب ولا الزّمان ولا المكان، وإنّما هو أمر ربّاني، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿40﴾ ﴾ [سورة النحل: 40]، إذ ليس في وجوده تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان، فهذا عبارة عن العالم الملكوتي المستمر على حقيقته، وهو الأزلي الذي لا كسب فيه، وإنّما الكسب في عالم الملك والشّهادة، المضافة إليه القدرة**

---

(1) هو الشّيخ عبد الواحد بن محمد بن عبد العزيز بن الطّوّاح التّونسي، ولد سنة: 673هـ/ 1275م، عني باللغة والأدب والنّحو، وأخذ من علوم التّصوّف، وشهد مجالس الفقيه أبي علي منصور المشدالي، وأبي العبّاس أحمد الغبريني ببجاية، ومن شيوخه: أبو زكرياء يحي اليفرني، وأبو عبد الله المرجاني، وأبو عبد الله القيسي ابن العطّار، وأبي علي عمر بن محمّد بن علوان الهذلي، وأبو الحسن علي بن إبراهيم التيجاني، توفي بعد سنة: 718هـ/ 1318م. ينظر: عبد الواحد محمد بن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، تحقيق: محمّد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت–لبنان، 1995 م، ص 17–27.

(2) المصدر نفسه، ص 65.

(3) آيات: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ [سورة يوسف: 24]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [سورة الكهف: 74]؛ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿75﴾ ﴾ [سورة الكهف: 75]، وقوله: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿76﴾ ﴾ [سورة الكهف: 76]. ينظر: الملحق رقم: 01

والمصرفة المحكمة، وفيه التّرتيب والكسب والزّمان والمكان والأكوان والأحكام، فعبّر عمّا ظهر في اختراع القدرة المصرفة بالحكمة المسمّى بعالم الملك والشّهادة بالأبد"[1].

وعلاوة على ذلك تفيد كتب التراجم إلى أنّ أبا مدين كان يقدّم دروس في تفسير القرآن الكريم والحديث والفقه المالكي في بيته ومسجده برابطة الزّيّات، إلّا أنّ المصادر والتراجم لم تنقل إلينا إلّا النزر القليل من آثار أبي مدين.

الفرع الثّالث: المنازع الصّوفيّة لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

تواجهنا إشارة ألمع بها ابن سبعين (ت: 669هـ/ 1271م) لتلميذه الششتري (ت: 668هـ/1270م) بقوله: "**إن كنت تريد الجنّة فسر إلى أبي مدين وإن كنت تريد رب الجنة فهلمّ إليّ**"[2]، فماذا كان يقصد ابن سبعين بعبارته؟

أوّلا: طريقة أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) في التّصوّف

كان أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) يعتمد في طريقته على الاهتمام بإصلاح القلوب على حساب الزهد في الملبس والمأكل، وإنكار الكرامة الحسية، وعلى التذكير والترغيب بدلا من الترهيب والتخويف، فقد "دعا معاصره أبو زكرياء يحي الزواوي الحسني (ت: 611هـ/ 1217م) إلى عدم تقنيط الناس، وطالبه بتذكيرهم بنعم الله، وقد غلب على المدينية "طابع المدرسة المغربية" ، مع المزج بينها وبين النظريات المشرقية والأندلسية، الأمر الذي يجعل الطّريقة المدينية تتفرّد عن غيرها من المدارس الصّوفية، فقد "تميزت في

---

(1) عبد الواحد محمد بن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 65.

(2) أبو العبّاس أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، المصدر السابق، ص ص 56، 58، 61، 321. أحمد بن محمّد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت–لبنان، 1968 م، ج2، ص 185. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السابق، ص 63.

القرنين السّادس والسّابع بعدّة سمات أهمّها: البعد عن التجزيء والتجريد والتسييس، مع التركيز على التربية الخلقية والتزكية الروحية"[1].

ثمّ إن بلوغ أبا مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) مرتبة القطبية، ونيله المكانة العالية عند الصوفية، كان بفضل اكتسابه قدرا كبيرا من العلوم الدينية، وبذله في طريقة المجاهدة والقرب من الله، فقد كان "رحمه الله تعالى من أفراد الرجال وصدرا من صدور الأولياء والأبدال جمع الله له بين الشريعة والحقيقة"[2]، فالظاهر من الكلام أن الشيخ يلتزم ويتحرّى التزام الكتاب والسّنّة في تصوّفه، على نهج أسلافه وشيوخه. وأنّه بذل حتّى وصل.

واستنادا على هذا فقد وضع للمريد أربعة شروط حتّى يدخل حضرة التّصوّف الحقّ وهي: **الزّهد، والعلم، والتّوكّل، واليقين،** إضافة إلى الشّرط الأساسي وهو الالتزام بالكتاب والسّنّة، فالتّصوّف الحقّ عند أبي مدين ألّا يكتفى المسلم بالتّعبّد دون فقه وإلّا فهو مبتدع، **ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغترّ وانخدع، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام تخلّص وارتفع.**

- وعن **الزّهد** يقول:[3]

- الزّهد عافية.
- الزّهد أعمّ من الورع، لأنّ الورع اتّقاء، والزّهد قطع الكلّ.
- الطّمع في الخلق شكّ في الخالق.
- من اشتغل بالدّنيا ابتلي بالذّلّ فيها.

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع الذهنيات الأولياء**، المرجع السابق، ص 125.

(2) أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المصدر السابق، ص 108.

(3) محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، دار الأمّة، ط 1، الجزائر، 2004 م، ج 1، ص 128.

- الزّهد العزوف عن الدّنيا، والإعراض عنها لحقارتها، وتركها لاستصغارها، ورؤية هوانها.

- وعن **العلم** يقول:[1]

- العلم غنم.
- أنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وأرفع العلوم علم التّوحيد.
- من اكتفى بالكلام في العلم دون الاتّصاف بحقيقته فقد تزندق وانقطع، ومن اكتفى بالتّعبّد دون فقه خرج وابتدع، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغترّ وانخدع، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام تخلّص وارتفع.

- وعن **التّوكّل** يقول:[2]

- التوكّل؛ توكّل بالمضمون واستبدال الحركة بالسّكون.
- توكّل على الله حتّى يكون الغالب عليك ذكره على ذكرك، فإنّ الخلق لن يغنوا عنك من الله شيئا.

- وعن **اليقين** يقول:[3]

- السّالك ذاهب إليه، والعارف ذاهب فيه.
- من لم يكن بالأحد لم يكن بأحد.
- إذا ظهر الحقّ لم يبق معه غيره.

وفي الأحوال كلّها فالشّيخ أبو مدين لا يفتأ يذكر في كلّ أقواله وأشعاره ودروسه وتآليفه تلك الشّروط، ويحرص على التزام التلاميذ والمريدين بها، وهذا ما نلحظه في توشيح "**ركبت بحرا من الدموع**"[1]:

---

(1) محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، المرجع السّابق، ص 122.

(2) المرجع نفسه، ص 126.

(3) المرجع نفسه، ص 131.

ركبت بحرا من الدموع سفنه جسمي النحيل

فمزقت ريحه قلوعي قد عصفت ساعة الرحيل

ونستشفّ من خلال هذ الوصف ."مشقّة المرحلة الأولى من مراحله[المريد]، وهي **التّوبة، وجهاد النّفس**، والتّغلّب على ما ينتابها من خواطر ونزعات دنيويّة"[2].

وفيها وصف حال المتصوّفة وأحوالهم التي لا يمكن استشعارها وتذوّقها إلاّ بالمجاهدة والرياضة والمداومة، ولا يتأتى للمريد ذلك إلا بالتزام وصايا الشّيخ بالتزام الشّرع وما حواه من مكارم الأخلاق، ودعا إليه من سلوكات تربوية من مثل غضّ البصر، وبذل النوافل والصّدقات، واتّخاذ الأوراد والأذكار وغير ذلك ممّا يتعبّد به. فعن **مجاهدة النّفس** يقول:[3]

- أُسّس هذا الشيء على الجدّ والاجتهاد، وقطع المألوفات والاعتياد.
- أفضل الطّاعات عمارة الأوقات بالموافقات.
- ثمن التّصوّف تسليم كلّك.

وفي الأحوال كلّها فلأبي مدين من النّوادر ونفيس الحكم مالا يعدّ، كيف لا وهو المعلّم، والمربّي، والمرشد المعين على إصلاح القلوب والنّفوس، فلم يترك مجالا وفنّا إلّا وتكلّم فيه فأقنع وأنار طريق السّالكين، ونتلمّس ذلك فيما ترك من المآثر والآثار، وهي في غالبها منقولة عنه مشافهة وقام بتدوينها تلامذته ومريدوه.

وعليه يمكن القول أنّ ابن سبعين كان يفرّق في عبارته السّالفة الذكر بين نزعته العرفانية، في مقابل النّزعة الصّوفية للشّيخ أبي مدين؛ الجامعة بين علمي الحقيقة والشّريعة، حتّى أنّه يحذّر من الوقوع في الابتداع والزّندقة، إذا لم يراعي المريد التّوفيق بينهما، أو المغالاة في التّصوّف على حساب الفقه.

---

(1) مجهول، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، المصدر السابق، ص 42.

(2) المصدر نفسه، ص 42.

(3) محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، المرجع السّابق، 167-178.

ثانيا: آثار أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م):

لم يترك أبو مدين (ت: 589هـ/1193م) تأليفات وكتبا، عكس منظري التصوف من بعده، على غرار الشّيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي (ت: 638هـ/ 1240م)، في المقابل نجد اهتمام أبي مدين (ت: 589هـ/1193م) بالتربية العملية للمريدين من خلال الدروس العلمية في بيته ومسجده وزاوية الشّيخ أبي زكرياء يحي الزواوي (ت: 611هـ/ 1217م)، التي كان يجلس فيها برابطة الزّيات وحومة اللؤلؤة ببجاية المغرب الأوسط.[1]

لكن على الرّغم من ذلك وعلى قلّة المؤلّفات التي تنسب للشّيخ،[2] فإنّ ما وصل إلينا نجد فيه فوائد عديدة متنوعة ما بين التّوحيد، والفقه، والتّصوّف، والشعر، ومنه:

1- أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التّوحيد:

هو عبارة عن مجموعة حكم قام تلاميذه بتدوينها، حتّى أنّه اشتهر باسم حكم أبي مدين، تدور معانيها حول علم التّوحيد.[3]

2- عقيدة أبي مدين:

اشتهرت الرسالة باسم **عقيدة سيدي أبي مدين الغوث** عند المترجمين ويرجّح أنّه من وضع النّسّاخ، وقد تضمّنت موضوع الإلهيات بقسميه: قسم الوجود الإلهي، وقسم الأسماء

(1) ينظر: أحمد شفيق رشدي، **أبو مدين، شيخ الشّيوخ: حياته، وأصحابه وآثاره**، المرجع السّابق، ص40، 46.

(2) الأكيد أنّ أبا مدين قد عبّر عن "سلوكه الصّوفي تارة بالنّظم وأخرى بالنّثر" لكن لم يثبت أنّه قد كتب كتابا، وما هو موجود بين أيدينا من نسخ تلامذته وأصحابه. ينظر: عبد الجليل العلمي، **في أصول التّصوّف بالمغرب (القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي**، دار أبي رقراق، ط 1، الرّباط-المغرب، 2014 م، ص 110.

(3) أحمد فريد المزيدي، **شيخ شيوخ الأمصار: أبو مدين الغوث ترجمته وشيوخه وتلامذته وأصحابه ونصوصه**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2010 م، ص 258-273.

والصّفات، مع تركيز أكثر على القسم الأخير،[1] ويدافع فيها عن العقيدة على مذهب الأشاعرة، منكرا مذهب التّشبيه والتّجسيم، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.[2]

3- مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب:

تعريف بنظام الكون وطريقة الوصول إلى المعرفية الصّوفية.[3]

4- حكايات في التوحيد:

أورد هذه الحكايات الشّيخ محيي الدين بن العربي (ت: 638هـ/ 1240م) في كتبه، ويدور فحواها حول التّوحيد.

5- بداية المريد:

وهي مجموعة أقوال للشّيخ أبي مدين جمعها تلميذه أبو محمّد صالح الماجري، وتعرف برسالة أبي مدين، ورسالة السّلوك.

6- أشعار أبي مدين:

يعتبر الشّيخ أبو مدين ذوّاقا للشّعر ناظما له، وقد تنوّع بين القصائد والموشّحات والأزجال، فمن قصائده: (خمرية أبي مدين، مناجاة، الله، الله ربي، الله قل، ما لذّة العيش، أشواق، من الحب، لو كان لي قلبان، لست أنسى الأحباب، جئت مستخفيا، بكت السّحاب، تحيا بكم الأرض، جد بالوصال، ميّت الهوى، زاد الغرام، إليك مددت الكفّ، أهل المحبّة، أتاني زماني، غياث الورى، استغفارة أبي مدين، أيا من تعالى مجده).[4]

---

(1) في ذات السّياق عرف هذا المخطوط العديد من التحقيقات منها تحقيق حديث للدكتور مرزوق العمري، ينظر: مرزوق العمري، **أبو مدين الغوث ورسالته في العقيدة الشّهيرة بـ"عقيدة سيدي أبي مدين"**، مجلة الإبانة، ع 4، المغرب، سبتمبر 2016 م، ص 267-289. أحمد شفيق رشدي، **أبو مدين، شيخ الشّيوخ: حياته، وأصحابه وآثاره**، المرجع السّابق، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص 42.

(3) المرجع نفسه، ص 46.

(4) محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، المرجع السّابق، ص 137-167.

ومن الموشّحات والأزجال: (ركبت بحرا، أنت بما قد سقيت شارب، دارت علينا كؤوس، طابت أوقاتي، زارني حبيبي، ياعيني لازمي السّهر).[1]

7- حزب أو حرز أبي مدين:

مجموعة أذكار تتماشى مع ما يدعو إليه الشّيخ من التزام الأوراد والأذكار.[2]

8- رسالة إلى تلميذه أبي محمّد عبد العزيز المهدوي:

وهي مجموعة وصايا أرسلها إلى تلميذه المهدوي (ت621هـ/1224) الذي كان يتنقل دوريا لزيارة شيخه ببجاية.[3]

إضافة إلى ما ورد في كتب التراجم والمناقب، وما ذكره المؤرخون والمحققون عن آثار أبي مدين، كمثل ما أورد الطّبّاق من مراسلات إلى تلميذه أبو أحمد بن سيدبونه، وتحفة الأريب ونزهة المريد، وتقييد في التّصوف وآداب خدمة الشّيخ، والمعارج، ورسالة في التّصوف، وكل هذه الآثار إنّما نقلها عنه التلاميذ وسمعها منه المريدون.

المطلب الثّاني: امتدادات المدرسة المدينية وانتشارها

الفرع الأوّل: تلاميذ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

للمدينية امتدادات مثّلها ثلّة من المريدين، بعضهم من أخذ عنه مباشرة، وآخرون تتلمذوا على يد تلاميذه، يذكر ابن عطاء الله السّكندري أنّهم بلغوا اثني عشر ألف تلميذ.[4] كما يذكر أغلب مترجموه أنّ منهم ألف تلميذ ظهرت على أيديهم الكرامات.[5] فقد استوطن

---

(1) محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، المرجع السّابق، ص 167-178.

(2) أحمد شفيق رشدي، **أبو مدين، شيخ الشّيوخ: حياته، وأصحابه وآثاره**، المرجع السّابق، ص 43.

(3) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 99.

(4) ينظر: ابن عطاء الله السّكندري، **عنوان الطريق في آداب الطّريق**، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2004 م، ص 55.

(5) ينظر: أبو يعقوب يوسف ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 324. أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 102. **المعزى في أخبار**

بجاية ودفن بتلمسان؛ "ثم انصرف مشرقا وتردد في بلاد إفريقية واستوطن الآخر بجاية، وكثرت تلامذته وظهرت بركاته عليهم"[1]، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر؛ أبو محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/1234م)، وابن سيدبونه (624هـ/1226م)، والشيخ الأكبر محي الدين بن العربي (ت: 638هـ/ 1240م)، وكذا الباجي (ت628هـ/1230م)، والدّهماني (ت: 621هـ/ 1223م)، والتباسّي (ت: 642هـ/1244م)، والمهدوي (ت621هـ/1224) وغيرهم كثير.

من أشهر تلاميذه: [2]

الشّيخ ابي يعزى، المصدر السّابق، ص 138، 161. أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس–ليبيا، 1989، ج 1، ص 193–199. أحمد بن محمد المقّري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، المصدر السّابق، ج 7، ص 136. العلوي شيخ بن محمد الجفري، **كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطّريقة العلوية الحسينية والسّعيبية**، دار نزيم للدراسات والنّشر، 1281هـ، ص 293. أبو القاسم محمّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السّلف**، مطبعة بيير فونتانة الشّرقية، الجزائر، 1906 م، ج 2، ص 172. محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس**، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، فاس–المغرب، 1898، ج1، ص 365. محمد مخلوف، **شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية**، المصدر السّابق، ص 164. خير الدين الزركلي، **الإعلام بمن حلّ بمرّاكش وأغمات من الأعلام**، المصدر السّابق، ج 10، 169. عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، المصدر السابق، ج1، ص 212.

(1) أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص: 16.

(2) من بين تلاميذ الشّيخ؛ الشّيخ الفقيه محمّد بن علي، والشّيخ باعمر، والشّيخ سعيد العمودي، والشّيخ باحمران، والشّيخ جوهر العدني، والشّيخ بامعبد، وهم من اليمن، والشّيخ الكبير أحمد كهتو الكجراتي (من الهند)، كما نجد ذكر تلاميذ الشّيخ أبي مدين في المصادر والمراجع التّالية: أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السابق، ص 321، 323–324، 326. أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 35، 36–39، 61–62. أبو العباس التادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 138، 161. أحمد بن محمّد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق، ج 7، ص 136، 137. أبو عبد الله محمد بن عيشون الشّراط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصّالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النّظّام، مطبة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، 1997 م، ص

- الشّيخ أبو أحمد ابن سيدبونه
- الشّيخ أبو يوسف يعقوب الدّهماني (ت: 621هـ/ 1223م)
- الشّيخ عمر الصّباغ
- الشّيخ أبو علي حسن بن محمد بن عمر النّفطي (ت: 621هـ/ 1223م).
- الشّيخ سالم التباسي (ت: 642هـ/1244م).
- الشّيخ ابن عمواس
- الشّيخ طاهر المزوغي (ت: 646ه 1248م)
- الشّيخ محفوظ بن جعفر
- الفقيه أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن ا الأنصاري.
- الشّيخ الصّالح أبو علي حسن بن محمّد الغافقي الصّوّاف.
- الشيخ العارف عبد الرحيم بن أحمد ب حجون المغربي
- الشيخ أبو البقاء عبد الله
- الشّيخ أبو محمّد صالح بن
- الشيخ الصّالح أبو عبد الله محمّد بن علي

313. أبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطني، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، 1973 م، ص 298. أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المصدر السابق، ص 110. أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، المصدر السابق، ج 1، ص 193، 195. عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، المصدر السّابق ج1، ص 212. العلوي شيخ بن محمد الجفري، **كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطّريقة العلوية الحسينية والسّعيبية**، المصدر السابق، ص 293–294، 302، 310. محمد مخلوف، **شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية**، المصدر السّابق، ص 164 ليفي بروفنصال، **مؤرّخو الشّرفاء**، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1977 م، ص 153. خالد زهري، **الرسالة التوحيدية والروحية لدى فقهاء المغرب "أبو مدين الغوث أنموذجا"**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008م، ص 331–332.

ينصارن الماجري.

- الشّيخ أبو محمّد عبد الرّزاق الجزولي.
- الشيخ بوسف الكومي
- الشّيخ أحمد السّلاوي
- الشيخ موسى السّدراني
- أبو محمّد عبد الخالق التّونسي
- الشّيخ أبو علي عبد الحقّ المسيلي
- الشّيخ القاضي أبو محمّد عبد الحقّ ب عبد الرّحمن الإشبيلي
- الشّيخ أبو عمران موسى تدراس الحلّاج
- الشّيخ الكبير أحمد كهتو الكجراتي. (من الهند)

- الشّيخ الفقيه محمّد بن علي.
- الشّيخ سعيد العمودي.
- الشّيخ جوهر العدني.
- الشّيخ أبو غانم سالم
- الشّيخ أبو علي واضح المكناسي
- الشّيخ أبو الصّبر أيّوب بن عبد ا الفهري السّبتي
- الشّيخ أبو الرّبيع المظفّر

بن عبد الله الأنصاري السّقطي.

- أبو العباس أحمد البرنسي.
- الشّيخ عبد الله المورووري
- الشّيخ ابن خميس الكناني
- الشّيخ أيوب الفهري
- الشّيخ محيي الدّين ابن العربي (ت: 638 1240م)
- الشّيخ أبو محمّد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي
- الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الأندلسي
- الشّيخ أبو محمّد صالح بن أبي القاسم السّجلماسي
- الشّيخ أبو مسعود بن عريف. (من جبال شلف)

- الشّيخ باعمر.
- الشّيخ باحمران.
- الشّيخ بامعبد
- الشّيخ محمّد القشتالي الفاسي
- الشّيخ أبو عبد الله الدّبّاغ
- الشّيخ أبو حامد عبد الواحد
- الشّيخ بلال. أخذ على الشّيخ أبي مدين الخرقة الصّوفية

- الشيخ أبو جعفر بن السّراج
- الشّيخ أبو عبد الله بن عبد الحقّ التّلمساني
- الشّيخ أبو علي زلال
- القطب عبد السّلام بن مشّيش
- الشّيخ أبو النّجاة
- الشّيخ أبو محمّد محمّد بن حماد الصّنهاجي.
- الشّيخ أبو زيد بن هبة الله الورثي
- الصّالحة لالّة فاطمة الأندلسية القصرية
- جدّ الشّيخ أحمد المقّري التّلمساني
- الشّيخ أبو سعيد الباجي (ت: 628، 1231م)
- الشيخ عبد العزيز الهروية
- الشّيخ صالح البربري

الفرع الثّاني: امتدادات المدينيّة في العالم الإسلامي

مما سبق ذكره في هذا المبحث نعتبر أنّ للمدينية مشارب متعدّدة مشرقية ومغربية وأندلسية، وبموازاة ذلك نجد أنّ المدينية انتشرت في كلّ أصقاع العالم الإسلامي، من خلال تلاميذ الشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) الذين عادوا لديارهم وبلدانهم، أين أسّسوا زوايا ورباطات ومدارس حافظت على النهج المديني، واختصّت ببعض الفروقات في أحايين أخرى.

ضمن هذا السّياق نجد امتدادات أندلسية، ومغربية، وإفريقية، ومشرقية في كل من مصر والشّام واليمن والهند، أطّرها تلاميذ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) وظهرت على أيديهم الكرامات كما يذكر مترجموه، فقد اشتهر عن الشّيخ أنّه خرّج ألف تلميذ ومن المؤرخين من يقول أنّ عددهم وصل إلى اثني عشر ألف تلميذ،[1] وعليه يمكن بيان هذه الامتدادات كما يلي:

(1) ينظر: ابن عطاء الله السّكندري، **عنوان الطريق في آداب الطّريق**، المصدر السّابق، ص 55.

أ- **الامتدادات الأندلسية:** من أشهر مؤطّريها **الشيخ ابن سيدبونه (ت624هـ/1215م).**

ت - الامتدادات المغربية: من أشهر مؤطّريها الشيخ عبد السلام بن مشيش (ت622هـ/1225م)، **والشّيخ أبو محمد صالح الماجري.**

ث- الامتدادات الإفريقية: ومن أشهر مؤطّريها الشيخ أبو يوسف الدهماني (ت621هـ/1262م)، والشّيخ أبو علي النفطي (ت621هـ/1190م)، والشّيخ طاهر المزوغي (1168-1248م)، والشيخ سالم التباسي (ت642هـ/1242م)[1]، والشّيخ أبو سعيد الباجي (ت628هـ/1230م)

والشّيخ عبد العزيز المهدوي (ت621هـ/1224)، إضافة إلى الشّيخ **أبي الحسن الشّاذلي** في بدايات استقراره بتونس.

ح- الامتدادات المشرقية: وتضمّ كل من بلاد مصر والشّام واليمن وبلاد الهند والسند:

- **الامتدادات المصرية:** ويمثّلها كلّ من: الشيخ عبد الرّزاق الجزولي، و**الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي.**
- **الامتدادات الشّامية:** وقد أطّرها كلّ من: الشّيخ **محيي الدين ابن العربي (ت: 638هـ/ 1240م)**، والشّيخ الحباك.
- **الامتدادات اليمنية:** وقد أطّرها كلّ من: الشّيخ الفقيه محمّد بن علي، والشّيخ باعمر، والشّيخ سعيد العمودي، والشّيخ باحمران، والشّيخ جوهر العدني، والشّيخ بامعبد.

---

(1) ذكره ابن الصّباغ في تلاميذ وأصحاب الشّيخ أبي الحسن الشّاذلي (ت: 656هـ/ 1261م) ومن بين ما الوصايا التي قدّمها له: "كل من عرف الله اعرفه، وكلّ مجلس خير فلازمه، وكلّ مجلس سوء تجنّبه". ينظر: محمّد بن أبي القاسم الحميري ابن الصّبّاغ، **مناقب أبي علي التّباسّي**، تحقيق: أحمد الباهي، مطبعة كونتراست، تونس، 2011، ص 51، 52، 67.

- **الامتدادات الهندية:** وقد أطّرها الشّيخ الكبير أحمد كهتو الكجراتي.

وقد وضعت هذا التّصنيف بناء على مكان استقرار الشّيوخ، لأنّ ظهور الشّيخ في ساحة التّصوّف وبروزه يكون المكان الذي اتّخذه للتعليم والتأسيس لطريقته، فأبو مدين مثلا استقرّ ببجاية المغرب الأوسط؛ ولهذا تنسب المدرسة المدينية إلى بجاية والمغرب الأوسط، رغم أنّه أندلسي الأصل، مغربي التكوين، تلمساني الوفاة والمقام.

ضمن هذا التّوجّه صنّفنا محيي الدين ابن العربي (ت: 638هـ/ 1240م) ونسبناه إلى المشرق، رغم أصوله الأندلسية وتكوينه المتعدّد ما بين الأندلس وفاس وبجاية وتلمسان وإفريقية، ثمّ إنّنا وضعنا الشّاذلي ضمن المجال الإفريقي لأنّ بداية ظهوره ومستقرّه الأوّل (شاذلة)؛ ومنها تسمّى بالشّاذلي، رغم أنّه مغربي الأصل والتّكوين ومصر المستقرّ الثّاني والوفاة، ولموازتة ذلك نسبنا الشّيخ ابن سيدبونة إلى الأندلس؛ أصله، وتكوينه ببجاية المغرب الأوسط، والشّيخ أبو محمد صالح الماجري نسبنا طريقته إلى المغرب الأقصى؛ أصله، وتكوينه ما بين مصر وبجاية.

خلاصة

من خلال هذا العرض نخلص إلى أنّ أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م) كان يوافق بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، فقد كان ضليعا بالفقه والتّصوّف في آن معا، فلم نجد له إنكارا من طرف الفقهاء أو المتصوّفة في زمانه أو غيره، فما ورد ذكر لأبي مدين على لسان كبار الفقهاء والصوفية إلا ونجد الإشادة والإطراء،[1] حتّى أنّهم كانوا يعودون إليه لحل المسائل.

(1) ومن ذلك شهادة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي جعل أبا مدين من المشايخ الأكابر: "وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الأمة وأكابر المشايخ، كمعروف الكرخي والفُضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ونحوهم، وهو سماع المشايخ المتأخرين الأكابر، كالشيخ عبد القادر، والشيخ عدي بن مسافر، **والشيخ أبي مدين**.. رحمهم الله". ينظر: أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيمية، **مجموعة الرسائل الكبرى**، دار إحياء التّراث العربي، ط 2، بيروت- لبنان، 1972 م، ج 1، ص 313. تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، **مجموعة الفتاوى**، دار الوفاء، ط 3، مصر،

علاوة على ذلك فأبو مدين قد جمع بين "سرّ الجيلاني والغزالي"[1] وعدة مدارس صوفية؛ القادرية، والغزالية، والمغربية–الأندلسية، جامعا لها ومؤسسا للمدرسة المَدْيَنِيَّة المتفردة عن البقية بالبساطة والبعد عن الأحوال الفلسفية المعقّدة، تاركا خلفه الكثير من التلاميذ والمريدين في شتى أصقاع العالم الإسلامي، فكان لهذه المدرسة امتدادات مشرقية، ومغربية، وإفريقية، وأندلسية. وهو ما سنحاول البحث وتتبع أثر هذا الامتداد من خلال التساؤلات التالية:

ما مدى تأثير المدينية على المجتمع الإسلامي؟ وما حجم انتشار المدينية بالعالم الإسلامي مشرقا ومغربا؟ وهل حافظت المدينية على سماتها الجامعة بين الحقيقة والشريعة؟ أم كان هناك تباين بين الفقه والتصوف فيمن خلفه من التلاميذ؟ كيف كان حال التصوف بعدها؟ ثمّ ما الأثر القيمي للمدرسة المَدْيَنِيَّة على المجتمع الإسلامي؟

للإجابة عن تلك التّساؤلات ارتأينا البحث عن جدلية الفقه والتّصوف في المدرسة المدينية من خلال أشهر أربعة تلاميذ أسّسوا طرقا على نفس الأثر، وكان لهم الشأن الكبير والقبول في الأوساط الاجتماعية، وانتقينا من كلّ قطر مثالا واحدا سلّطنا عليه الدّراسة، وهي: الطريقة البونية بالأندلس للشّيخ أبي أحمد ابن سيدبونه، والطريقة الماجرية بالمغرب الأقصى والأوسط لأبي محمد صالح الماجري، والطريقة الشّاذلية بإفريقية ومصر لأبي الحسن الشّاذلي، والطريقة الأكبرية بالمشرق لمحيي الدين بن العربي (ت: 638هـ/ 1240م).

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك عدّة أسباب جعلتنا ننتخب هذه الطّرق منها:

2005 م، ج 6، ص 426–427. وهذه الشّهادة من أحد كبار فقهاء الإسلام تصنّف الشّيخ أبا مدين من المقتدين بسلف الأمّة المتمسّكين بالكتاب والسّنّة، ومعلوم أنّ ابن تيمية يعدّ من فقهاء الحنابلة المعادين للصّوفية، فقد "خاض أسوأ صراعاته مع الصّوفيين وعانى أشدّ المعاناة على أيديهم"، حتّى أنّه تعرّض للسجن بسبب فتاويه التي كان يتهمهم فيها بالشّرك والزّندقة والابتداع. ينظر: دانكن بلاك ماكدونالد، **تطوّر الدّولة والفقه والكلام في الإسلام**، ترجمة: محمّد سعد كامل، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط 1، بيروت–لبنان، 2018 م، ص 269.

(1) علال الفاسي، **التّصوّف الإسلامي في المغرب الإسلامي**، المرجع السّابق، ص 92.

- حجم اتّساع وانتشار هذه الطّرق زمنيا ومكانيا، فأغلبها بقيت مستمرّة إلى يومنا هذا وتجد لها الحضور في كل قطر ومصر.
- أثر تلك الطّرق في تشكيل وطبع هوية جديدة للعالم الإسلامي، من حيث تأثيرها على الجوانب الحياتية للأفراد الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثّقافية، والفكرية.
- تركها لإرث مادي ومعنوي كبير، تمثّل في مختلف التآليف في علوم الشّريعة وعلوم التّصوّف، وقد أبرزت جوانب مختلفة من الحضارة الإسلامية، تعدّى تأثيرها إلى بقية الثقافات غير الإسلامية.
- المعلومات والإفادات المناقبية المتوفرة عن تلك الطّرق وأصحابها في المضانّ الأصلية، التي تجعل من البحث يستوفي حقّه من الدّراسة، رغم صعوبات حصولنا في بعض الأحيان على المصادر المخطوطة تحديدا.

الفصل الثّالث

الامتدادات الغربية والأندلسية للمدرسة المدينية

المبحث الأوّل:

الطريقة البونية في الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ/13-14م)

المبحث الثاني:

الطريقة الماجرية في الغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ/13-14م)

المبحث الأوّل

الطريقة البونية في الغرب الإسلامي خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14م)

المطلب الأوّل: الرجل المؤسّس؛ الشّيخ أحمد بن سيدبونه

المطلب الثّاني: مذهب الشّيخ ابن سيدبونه في التصوف

المطلب الأوّل: الرجل المؤسّس الشّيخ أبو أحمد بن سيدبونه

عرفت الطريقة البونية حضورا وامتدادا على مسرح تاريخ الغرب الإسلامي، ممّا يستوجب تفكيك العامل المؤثر في الطريقة والمتمثل في مؤسّسها، ودراسة امتدادها الزمكاني في الغرب الإسلامي؛ خاصّة إبّان الحقبة الممتدة ما بين القرنين السابع والثّامن الهجريين/ الثالث عشر والرّابع عشر الميلاديين، وهنا سوف نخصّص الحديث في هذا المبحث عن مؤسس الطريقة البونية أحمد بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) ومذهبه في مطلبين أوّليين، وامتداد طريقته في مطلب ثالث.

الفرع الأوّل: نشأة ووفاة الشيخ أبو أحمد بن سيدبونه

ولد أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونه (ت: 624هـ/ 1227م)"بقرية زناتة من شرق الأندلس ليلة الإثنين الثانية عشرة من شهر شوال عام أربعة وعشرين وخمس مائة"[1]، وأصل جدّه من مدينة بونة بلد العنّاب (مدينة عنابة شرق الجزائر حاليا)، إلّا أنّه هاجر إلى الأندلس واستقرّ بشرقها، فهو من عائلة مشهورة بالجاه والمال والتّجارة، وعلى الرّغم من أنّ كثيرًا من مؤرخي الأندلس ينسبون العائلة إلى قبيلة خزاعة العربية، فإنّ محمد مفتاح يعزو ذلك إلى مقصد سياسي وإلى العصبية ونزعة المفاخرة والمغالبة[2].

كما يذكر ابن الخطيب في **الإحاطة** أنّه: "من أهل شرق الأندلس من نَظْرِ دانية[3]، يكنّى أبا أحمد الولي الشهير"[1]. فقرية زناتة كانت من ضمن حصن دانية إلا أنها لم تكن ذات أهمية

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، مخ رقم: 556 ك، المكتبة الوطنية، الرباط–المغرب، ص 18.

(2) محمد مفتاح، **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي –مقاربات منهجية–**، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2014 م، ص 328–329.

(3) مدينة بشرقي الأندلس. على البحر عامرة حسنة، لها ربض عامر، وعليها سور حصين، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بنى بهندسة وحكمة؛ ولها قصبة منيعة جداً، وهي على عمارةٍ متصلة، وشجر تينٍ كثيرة، وكُروم؛ والسفن

قبل ذيوع صيت الشيخ أبي أحمد (ت: 624هـ/ 1227م)، ومن أشهر مدن شرق الأندلس عامّة؛ طرطوشة وبلنسية وتُدمير والسهلة ودانية.[2]

وفي قريته تلقّى ابن سيّدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)علوم الفقه والحديث والتفسير على يد خاله الشّيخ الحاج المقرئ، وأخذ القراءات السبع[3]، وكان يحفظ نصف المدوّنة أو أكثر ويؤثر الحديث والفقه والتفسير على غيره من العلوم، كان ذلك بعد انتقاله إلى بلنسية إحدى عواصم شرق الأندلس في ذلك الوقت، التي تتلمذ بها على يد الإمام علي بن محمد بن النّعمة (ت: 567هـ/1168م)[4]، ولمّا شبّ أراد الخروج في "رحلة علمية"[5]، أراد بها الاستزادة عمّا

واردة عليها، صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو، وبها ينشأ أكثره لأنها دار إنشاءٍ؛ وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير، وتظهر من أعلاه جبال يابسة في البحر. ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: ليفي بروفنصال، دار الجيل، ط 2، بيروت–لبنان، 1408هـ/1988م، ص 76.

(1) أبو عبد الله بن سعيد بن أحمد لسان الدّين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تقديم: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت)، ج 2، ص 461.

(2) علي بن موسى ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ج 2، القاهرة، 1955، ص 240.

(3) لسان الدّين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السّابق، ص 462.

(4) أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن خلف بن محمّد بن النّعمة الأنصاريّ الأندلسيّ، العلّامة ذو الفنون، المربّي شيخ بلنسية، أخذ عن الإمام أبي الحسن بن شفيع وعبّاد بن سرحان، وقدم به أبوه إلى بلنسية، فتلا بها على موسى بن خميس، وتفقّه بقرطبة على أبي الوليد بن رشد، وأبي عبد الله بن الحاجّ، تصدّر للإقراء، والفقه، والنّحو، والحديث، فكان عالما متقنا حافظا للفقه والتّفاسير ومعاني الآثار، مقدّمًا في علم اللّسان، فصيحًا، مفوّهًا، ورعًا، فاضلًا، معظّمًا، ليّن الجانب، ولي الشورى وخطابة **بلنسية**، وانتهت إليه رئاسة الإقراء والفتوى، من تآليفه: **ريّ الظمآن في تفسير القرآن**، و**شرح سنن النّسائي**، توفّي في رمضان سنة سبع وستّين وخمس مئة. ينظر: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، **سير أعلام النّبلاء**، بيت الأفكار الدولية، بيروت–لبنان، 2004، ج 2، ص 2805.

(5) يتساءل محمد مفتاح عن نوع الرحلة التي قادت ابن سيدبونه إلى المشرق؛ هل كانت لهدف الحج أم كانت رحلة علمية؟ وينتهي إلى أنها كانت رحلة علمية بناء على المصادر التي ذكرت رحلته إلى الحجاز دون تفاصيل عنها، اللهم ما ذكر على أنّه "التقى بجِلّة من العلماء"، في حين أنّ الطّبّاق يذكر أنّه خرج لأداء حجّة الفريضة فقط، وأنه قد عُرضت عليه

كان ينقصه بالأندلس وهو علم التّصوّف الذي سطع نجمه وسنا بريقه بالعدوة المقابلة للأندلس، "فركب البحر قاصدا لمدينة بجاية بنيّة القراءة على الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي القطنياني رضي الله عنه"[1].

مما سبق نلحظ أن حركة الشيخ ابن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) وسفره من أجل اكتساب علم التصوف لم تكن نتيجة إملاءات الظروف المعاشية القاسية التي عادة ما تدفع الإنسان إلى الزهد، وإنّما كان توجّهه بدافع الحب؛ خاصّة أنّه نشأ في بيت علم وجاه ومال، ممّا

قضايا وبدت له أمور استغلق عليه فهمها، أوجبت عليه الرجوع إلى شيخه ببجاية، هذا ما عدّه مفتاح عصبية من الطّباق لشيخه أبي أحمد، -ينظر: محمد مفتاح، **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-**، المرجع السّابق، ص 332-333.

ومن الممكن أن تكون الرحلة جامعة للغرضين معا، كما شأن العديد من الرحلات الحجّيّة والعلمية إلى الحجاز، كما ليس من المستبعد أنّه قام برحلتين إلى المشرق، قد تكون الأولى قبل لقائه بأبي مدين والثانية بعد إذن شيخه له بها، كما لا يفوتنا أنّه قد ثبت لقائه بالرّفاعي في رحلته الحجّية، وبحسب الطّبّاق فإنّ الخضر عليه السّلام هو أول من تلقى عليه العلوم ببجاية: " فلمّا نزل بساحل بجاية تلقّاه رجل فقال له: أنت أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيّد بونة؟ فقال له: نعم؛ ومن عرّفك بي؟ قال: الذي عرّفني أنّك جئت بنيّة القراءة على الشّيخ أبي مدين؛ أو ليس كذلك؟ قال: بلى، فعرّفني من أنت؟ قال: أنا أبو العبّاس الخضر، آمرك أن تلازمني وتقرأ عليّ، فقرأ عليه مدّة وأذن له في الاجتماع إذّاك مع الشيخ أبي مدين والقراءة عليه". وهنا نتساءل عن الهدف من تعليم الخضر له؛ هل كان بهدف تهيئته لتلقّي علوم القوم؟ أم كان بسبب علوّ مقام أبي مدين ورسوخه في التّصوّف؟ -ينظر: أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطّبّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 19-24.

(1) ورحل إلى المشرق؛ فأدّى فريضة الحجّ ولقي جلّة من الفضلاء؛ أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد والورع وسنّي الأحوال، ورفيع المقامات؛ الشيخ الصالح أبو مدين شعيب بن الحسين مقيم بجاية؛ فصحبه كثيرا، وانتفع به، وارتوى من زلاله؛ توفي (رحمه الله وأرضاه) عن غير عقب من الذكور، وذلك في شهر شوّال سنة (624هـ/1226م). ينظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس: المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا**، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط 5، بيروت-لبنان، 1983 م، ص 136-137. أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطّبّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 19.

يعطينا إشارات صادقة عن رغبته في النّهل من معين علم التّصوف وتذوّق معانيه. فهو يتشابه في ذلك مع العديد من الحالات التي كان نزوعها إلى الزّهد "فرارا طوعيّا من النّعيم"[1].

وفاة الشّيخ أبي أحمد بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م).

توفي الشّيخ رحمه الله، بالموضع المعروف بزناتة، بعدما "استحقّ اسم الشّياخة، وبلغ عمره مائة عام، وكانت وفاته يوم الإثنين الثاني عشر شوّال عام أربعة وعشرين وستّ مائة، ودفن بزناتة"[2]. وكانت وفاته بداية مرحلة جديدة للطريقة البونيّة، إذ لم يعيّن الشّيخ ابن سيّدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) خلفًا له، وإنّما ترك قائمًا على الزاوية يُشرف عليها ويدبّر شؤونها، وجعل ذلك في سلالة أصهاره، إذ عقّب إناثًا دون الذكور، واستمرّ الحال على ذلك مدّة ثلاثة قرون متعاقبة.

الفرع الثّاني: مناقب الشيخ أبي أحمد بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)

أوردت المصادر التاريخية توصيفا معبّرا عن حال الشيخ أبي أحمد بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)، الذي كان "أحد الأعلام المنقطعي القرين في طريق كتاب الله، وأولي الهداية الحقة، فذ، شهير، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتّى الأمم الدّانية بغير دين الإسلام، عند التّغلّب على قرية مدفنه بما يقضى منه العجب"[3]. فهو من مشايخ التصوف الأعلام الذين قلّ أنْ تجد لهم مثيلا، يعتمد كتاب الله وسنة نبيّه في تعاليم الطريقة، ولهذا اشتهر في البلاد الأندلسية ولقي القبول عند النّاس، حتّى أنّ أثره تعدّى إلى العدوة النصرانية بسبب الكرامات التي ظهرت على يديه وعمّت البلاد والعباد: حيّا وميّتا.

---

(1) محمّد حلمي عبد الوهّاب، **من ابن مسرّة إلى ابن عربي –التّصوف الأندلسي في سياقه الأندلسي–**، مج 1، كتاب مرقون.

(2) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 40–41.

(3) لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السّابق، ص 462.

فقد اشتهر بالصلاح والفضل الظاهر على الناس، قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عند ذكره في **الصلة:** "أحد أعلام المشاهير فضلا وصلاحا"[1]، وقال الطّبّاق (ت: هـ/ م): "**الشيخ الهداية وقطب دائرة الولاية (...) العالم العَلَم الإمام السّيّد النِّقَاب، قطب الأقطاب ولباب اللّباب الكبير المقامات الشّهير الولايات**"[2].

وفي الأحوال كلّها فالشّيخ ابن سيدبونه تلميذ لعلم الأعلام وشيخ الشيوخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، الذي خرّج على يديه ألف شيخ ظهرت على أيديهم الكرامات، ومن أشهرهم على الإطلاق الشيخ أبو أحمد الذي ارتقى المشيخة في حياة شيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م): "**إن كنتُ بالأمس إمامُك فأنت اليوم إمامي وإمام كلّ إمام**"[3].

ولا غرابة إذًا من الكرامات والصفات التي كانت تنبع من الشيخ، أو عن الأصداء الحسنة التي قيلت في حقه، وأستاذه وشيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) الذي شهد له بأحقية الشّياخة والإمامة وأجازه فيهما، وهذا الأمر يتقاطع مع عديد الحالات التي كان أولياء الأندلس يحظون فيها بالتقديس.

الفرع الثّالث: شيوخ أبي أحمد بن سيدبونه

كما أسلفنا تلقّى الشّيخ أبو أحمد تعليمه الأوّل بقريته زناته وجلس بين يدي شيوخ بلنسية الأجلّاء، البارعين في النّحو والفقه والتّفسير والقراءات، والحديث وفي مقدّمتهم؛ خاله وابن عمّ والده الشيخ الحاج يحي بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)[4]، والعالم أبي الحسن بن هذيل

---

(1) لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السّابق، ص 462.

(2) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاق، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 40.

(4) أبو زكرياء بن أحمد بن يحي بن سيّدبونة الخزاعي من قسطنطانية (عمل دانية)، روى عن أبيه وعن أبي إسحاق بن جماعة، وأخذ القراءات عن أبي عبد الله بن سعيد، وحجّ فلقي بالإسكندرية أبا عبد الله بن أبي سعيد الأندلسيّ وغيره، سمع

(ت. 564هـ/1168م)[1]، والإمام الشهير علي بن النعمة (ت: 567هـ/1168م)[2] شيخ بلنسية، "فحمل عنهم جميع ما كانوا يحملونه وفاقهم في ذلك"[3].

ثمّ ما لبث أن رحل مهاجرًا إلى المشرق؛ **فلَقِي في رحلته جِلَّةً. أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد وأنواع سَنَى الأحوال، ورفيع المقامات؛ الشيخ الجليل، الولي لله تعالى أبو مدين شعيب بن الحسين (ت: 589هـ/ 1193م) المقيم ببجاية؛ صحبه وانتفع به، ورجع من عنده بعجائب دينية، ورفيع أحوال إيمانية، وغلبت عليه العبادة، فشُهر بها حتَّى رحل إليه النّاس للتبرُّك بدعائه، والتيمُّن برؤيته ولقائه، فظهرت بركته على القليل والكثير منهم، وارتووا زلالًا من ذلك العذب النمير، وحظُّه من العلم مع عمله الجليل موفورٌ، وعلمه نورٌ على نور**"[4].

وعليه فأبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) كان أكبر مؤثّر في المسيرة العلميّة للشّيخ ابن سيّد بونه (ت: 624هـ/ 1227م)، حتّى أنّ طريقة تَلمذته عليه تفرّدت عن بقيّة مريديه، فممّا يروى في ذلك أنّ الشّيخ أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م).

منه محمّد بن عمر ابن عامر الدّاني سنة (578هـ/1180م). ينظر: الأمير شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ج3، ص 328.

(1) أبو الحسن علي بن محمَّد بن هذيل البلنسي (470-564هـ/1078-1168م): الإمام المحدّث الفاضل الزّاهد العالم العامل، المنقطع القرين في الورع مع الدّين المتين. وانتهت إليه الرّئاسة في صناعة الإقراء عامّة عمره؛ لعلو روايته وإمامته وإتقانه، لازم أبا داود سليمان بن الحاجّ نحوًا من العشرين سنة وأخذ عنه القراءات وكان زوج أمّه وهو أثبت النّاس فيه، وسمع **صحيح البخاري** من أبي عبد الله بن الدّكاليّ، ومن أبي عبد الله بن يعيش مختصر الطّليطليّ في الفقه، وسمع **صحيح مسلم** من أبي الحسن طارق بن يعيش ومن ابن سعادة وأبي علي الصّدفيّ وغيرهم، حدّث عنه جلّة لا يحصون ورحل إليه الناس وأخذوا عنه لعلوّ سنده، ولازم السماع نحواً من ستين عامًا، له **فهرسة**، حضر السلطان جنازته وتزاحم الناس على نعشه، ورثاه أبو محمَّد بن واجب وغيره. ينظر: محمد مخلوف، **شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة**، المصدر السّابق، ص 320.

(2) سبق التعريف به.

(3) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 18.

(4) لسان الدّين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السّابق، ص 462-463.

"قد أخذ عليه ألاّ يتصرّف في شيء ممّا دقّ أو جلّ، إلا بعد استئذانه وتلقّي أمره، وألا يعصي له أمرا،[1] فجاءه يومًا وقال: يا سيدي اختمر الخبز وحمى التّنور، وكان الشّيخ أبو مدين إذ ذاك يتحدّث مع رجل أتاه زائرا فلم يجبه، فأعاد عليه ثانية فلم يجبه لاشتغاله بالحديث مع زائره، فوقف أبو أحمد هنيهة ثمّ أعاد عليه؛ فجرا على لسان الشيخ أبي مدين رضي الله عنه أن قال له: انطلق فادخل فيه، فامتثل أمره ومضى فدخل في التّنّور وليس هو التّنور المعروف عند العامّة وإنّما هو نوع من الفرن[2] ... فلمّا رآه في بيت النّار قال: قد وصلت يا أبا أحمد، وأمره بالخروج فخرج"[3].

ومن هذه الحادثة، ومثيلاتها، فإنّ مسألة الكرامات الإلهية التي تنسب إلى أولياء الله تعالى، والتأييدات الرّبانية التي تمنح لهم جراء قربهم منه، وكيف لا والله يبدأ كل شيء وينتهي إليه كل شيء؛ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ **[الروم: 27]**، فالقريب منه يصبح مظهرًا مرئاتيًّا لصفاته بحسب قدرته الاستيعابية، فإذا كان الله الخالق؛ مع الإنسان الولي الملازم للتّقوى، فإنّ

---

(1) نلحظ أنّ نهج أبي مدين في التربية الصوفية يقوم على مجاهدة النفس ورياضتها، حتّى تتهيأ لتلقي العلوم الفقهية والصوفية، وهي الطريقة التي استقاها من شيخه أبي يعزى حين قصده بجبل "ايورجان" بفاس، إذ أبقاه ثلاثة أيام من دون طعام دون غيره من تلامذته، حتى أخذ منه الجوع مأخذًا شديدًا، ثمّ مرّغ وجهه بمجلسه فعمي، وبعد أن رآه مستعدًّا لتلقي التصوف مسح على صدره وعينه فأبصر، ودعا له وتنبأ له بالمكانة العظيمة التي سينالها. فمن عادة شيوخ التصوف "أنّهم إذا تلمّذ لهم الإنسان يطالبونه بمجاهدة النفس ورياضتها، حتّى يصرفوها عن عوائدها الذميمة التي كانت ألفتها قبل ذلك". ينظر: أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 20.

(2) من الواضح أنّ تعقيب الطبّاق حول بيان طبيعة الفرن الذي دخل فيه ابن سيدبونه، وأنّه لم يدخل في ناره، كان بغرض بيان أنّ هذا الأمر لم يكن في معصية، كما في رواية الأمير الذي أمر جنوده بالدّخول في النّار، فعن علي رضي الله عنه قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: فررنا إلى النّبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: ((لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف))" صحيح البخاري رقم: 7145.

(3) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السابق، ص 22-24.

ذلك الإنسان تتاح له إذنيّة التّصرّف في بعض الأمور التّكوينيّة المتعلّقة بالدّنيا، مثلما حدث لابن سيّدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) مع نار التّنور.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أغلب المصادر لا تذكر بقيّة العلماء الذين التقاهم في رحلته إلى المشرق، إذ لا تشير إلّا للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، الذي احتفى به في بجاية العامرة، ولا ندري إن كان لقي هؤلاء الأجلاّء في أثناء رحلته الحجّية أم قبلها، ولكن طالب العلم يبقى في رباطه إلى يوم يلقى ربّه، فلا نجد ما يُنقص من قيمة انتساب ابن سيّدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) إلى المَدْيَنِيَّة، وهو الذي صحب أبا مدين (ت: 589هـ/ 1193م) ما ينيف عن الثلاثين عاما، ولا مراء في الأثر المديني الكبير في الطريقة البونية، فلا تفتأ المصادر عن ذكر الشّيخ أبي أحمد (ت: 624هـ/ 1227م) كأشهر تلامذته، وأقربهم إليه وأنجبهم والذي ظهرت على يديه الكرامات.

ولعلّ ممّا يجدر الإلماع إليه هو ذلك الزّخم المعرفيّ الذي اغترف منه الشّيخ أبو أحمد (ت: 624هـ/ 1227م)، فلا يذكر شيخا من شيوخه إلاّ وجدناه حافظًا، مفوّهًا، قارئًا، فقيهًا، محدّثًا، شيخًا جليلًا، بارًعا في فنّه، جامعًا بين الحقيقة والشّريعة، وهو ما انعكس عليه فاقتدى بهم وشملته بركاتهم، وحفّته لطائف علمهم وحقائقه.

المطلب الثّاني: مذهب بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) في التّصوّف

يشير الطّبّاق إلى طريقة ابن سيد بونة (ت: 624هـ/ 1227م)، ونظرته للتصوف والصوفية، فيصفه بأنّه "رجل صالح عدل في دينه"[1]، ومن المعلوم أنّ عمل الجوارح ترجمان لسريرة الإنسان، وأنّ فساد العمل يكون حتمًا من فساد القلب؛ مصداقًا لما أخبر به النبيُّ ﷺ:

(1) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 17.

«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1].

فالأمر كلّه مبنيٌّ على أصل العمل النّابع من القلب. و "التّصوّف عبارة عن تجريد القلب لله واستحقار ما سواه"[2]، وهذا جوهر الطّريقة المدينية التي تدعو إلى "تمام التّوكل على الله تعالى، وغياب الخلق بوجود الحقّ" كما أوصى بذلك أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م).

ضمن هذا السّياق، ومن خلال رؤية ابن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)، نلحظ أنّ علم التّصوّف علم ذوقيّ، محلّه القلب؛ الذي تصدر منه المعرفة الصادقة اليقينيّة، والتي من خلالها يحدث الاتّصال والتّواصل مع الله سبحانه، وقبل أن تصل المعرفة إلى القلب فإنها لا تنفكّ عن العقل والحس، بوصفهما وسيلتين لاستنباط الأحكام الفقهية التي تهذّب بدورها سلوك السّالك، وتقوده إلى اكتساب المعرفة القلبية، وبالتالي لدينا حضورين للطريقة البونية: حضور فقهيٌّ، وحضور صوفيٌّ.

الفرع الأوّل: الحضور الفقهي في الطّريقة البونية

يذكر ابن الزبير في كتابه الصلة أنّ الشيخ ابن سيد بونة (ت: 624هـ/ 1227م) كان: "أحد أعلام المشاهير فضلا وصلاحا؛ قرأ ببلنسية، وكان يحفظ نصف "**المدوّنة**" وأقرأها، ويؤثر الحديث والتفسير والفقه، على غيره من العلوم"[3]، كما أنّه كثيرا ما ينصح تلامذته بقوله: "قيّدوا ظواهركم بالسنّة والكتاب، واطلبوا أنفسكم بالحقائق تكونوا من ذوي الألباب"[4].

---

(1) حديث متفق عليه، رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج1، ص 28؛ والإمام مسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج3، ص 1219.

(2) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص16.

(3) لسان الدّين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المصدر السّابق، ص 462.

(4) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 56.

إنّ هذا الاهتمام والعناية بالفقه والحديث إنّما يدلّ على أنّ الطريقة البونية على طريق سلف الأمّة وأهل السنّة، فابن الزبير الأندلسي في هذا النّص يقرب الطريقة البونية إلى عمل السلف وأهل السنّة، فيذكر اهتمام الشيخ ابن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) بالفقه والحديث والتفسير عن باقي العلوم، وهنا يقصد ضمنيا بباقي العلوم علم التصوف وأحواله، على عكس الشوذية،[1] وهذا الموقف الوسط نقف عليه في كتابات الباحث محمد مفتاح هذه المرّة في تحليلاته لمنتسبي الطريقة؛ المدّعين التمسّك بالكتاب والسّنّة، وبين السّلفيين الذين يرمونها بالبدعة[2].

ونتيجة لذلك يمكننا القول أنّ الشّيخ أبا أحمد بن سيدبونة (ت: 624هـ/ 1227م) ومريدوه، قد كان لهم من المعرفة الروحية ما ليس لغيرهم، مما جعل الطرف المبدّع لهم لا يستوعب حالهم ويستنكر ما يقومون به ويفنّد ذلك، في المقابل نجد من أرباب المعرفة الخلّص الذين بلغوا المرتبة المعرفية الذوقية، أبعد من أن يتهجّموا على الآخرين فما بالك أن يرموا النّاس بالبدعة والزندقة والتّكفير.

الفرع الثّاني: الحضور الصوفي في الطريقة البونية

يظهر تمكّن ابن سيدبونة (ت: 624هـ/ 1227م) من علوم القوم وأحوالها، من طريقته التي ترتكز على تعاليم شيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في التربية الصوفية،[3] القائمة

(1) نسبة إلى أبي عبد الله الشّوذي المعروف بالحلوي، له نزعة صوفية فلسفية، كان قاضيا بالأندلس فزهد وانتقل إلى تلمسان مخفيا عن الأنظار ببيع الحلوى للصّغار، من أشهر تلاميذه ابن دهاق المعروف بابن المرأة، توفّي بتلمسان أين بني بجانب ضريحه مسجد سيدي الحلوي.

(2) محمد مفتاح، **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي –مقاربات منهجية–**، المرجع السّابق، ص 332.

(3) كان مما أمره به شيخه أبو مدين في بداية تلمذته، أن يسوق الماء ويطحن الطحين ويعجن الخبز وألا يتصرف في شيء إلا بأمره، وغيرها من الأعمال البدنية التي تروّض النفس وتهذّب الأخلاق. ينظر: أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 22.

على المزاوجة بين الأخلاق النظرية من جهة والأعمال العملية من جهة أخرى، وما يميز المَدْيَنِيَّة ومن بعدها البونية، في اعتمادهم على المجاهدات العملية دون إهمال للجانب النّظريّ.

فالمعتمد في الطريقة البونية عشر قواعد هي: "خمس في الظاهر، وهي: الذّكر والسّماع بالذكر، والأوراد، والإيثار، وإكرام الإخوان في الله، والزيارة. وخمس في الباطن وهي: الخلوص في التوحيد، والصدق في المعاملة، والعفَّة في المكسب، والتقيد في الجوارح، والموافقة في الاتّباع"[1].

والملاحظ أن حاصل هذه القواعد كلها تربيةُ النفس وتهذيب أخلاق المريد، ممّا يمكّنه من اكتساب مختلف العلوم، ويفتح عليه مقامات الكشوفات والأحوال، وتلك الخصال ليست خاصّة بطريقة صوفية معيّنة، وإنّما هي المقصد الذي يرمي إليه الإحسان، وهو متداول نظريا لدى أغلب المسلمين، لكن على مستوى الممارسة خصّ طوائف معينة، التزمت بتحوير النظري إلى التطبيقي، وممارساتها الفعلية جعلها ترتقي وتتميز معرفيا.

كما أنّ الشيخ أبا أحمد (ت: 624هـ/ 1227م) برز في علم التصوف، وارتقى مرتبة الشّياخة وأجازه بها شيخه بعد إجابته على المسائل التي استعصت عليه، ودفعت بأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) إلى الإذن له بالعودة إلى الأندلس للتّعليم والتّدريس، ويُورد الطّبّاق ما يبرز لنا براعة الشيخ ابن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)، وتألّقه في أحوال التّصوّف بتعبيره **لرؤيا المرآة**[2] الذي أبان عن كثير تَضلّعٍ بالفقه والتصوف، فأجابه جوابًا بنظرة الفقيه الظاهرية وجوابا بنظرة الصوفي الباطنية.

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاق، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 51-52.

(2) ذكرت هذه الرؤيا في مخطوط الطّباق؛ وفيه أن أبا مدين رأى كأن الحق تبارك وتعالى تجلّى له في المنام وقال له: "يا عبدي يا شعيب قال نبيّي: المؤمن مرآة المؤمن، وأنا عليه على الحقيقة هو المؤمن، فما مرآتي؟". ينظر: المصدر نفسه، ص 29.

وأما معنى كلامه في جواب الباطن فهو: "أن الحق؛ عزّ وجهه، اختار من عباده صفوة رفع أقدارهم، وأفاض على الوجود أنوارهم، وهم المرسلون والنبيئون، صلوات الله وسلامه عليهم، ما استعذب على عذبات الألسن ذكره وكلامه، وورثَتْهم العارفون والصدّيقون المنوّه بمقامهم الأسنى لتشريفهم باسم الولاية من أسمائه الحسنى ... **فكلّ واحد من هؤلاء السَّادات في زمان ظهوره هو مرآة الحقّ في ذلك الزّمان ومشرق نوره**، فمن أراد الله سعادته في دنياه وأخراه، جعله مودودًا للقطب[1] يبصر الحقّ في مرآته ويراه"[2].

أمّا المرتبة التي وصلها الشّيخ بن سيّدبونه (ت: 624هـ/ 1227م) في التّصوّف، بعدما أجازه شيخه أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م)؛ فهي مرتبة **الصّديقية** التي تعدّ أعلى المراتب قبل مرتبة النّبوّة، وفي ذلك يقول الشيخ أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، رضي الله عنه: "لقد ورثت مقام الصدّيق، فاقرأ من النّور الثانية والعشرين تجد الشّاهد على التّحقيق"[3].

---

(1) القطب هو أعلى مرتبة في مدارج السّالكين، وهي المنزلة التي نالها "من الأنبياء صلوات الله عليهم أربعة: محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السّلام، ومن الأولياء اثنان وهما: الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ، وإن كان لمن عدا هؤلاء المذكورين منه شرب معلوم على قدر مرتبته في الإمامة [...] فأمّا القطب وهو عبد الله وهو عبد الجامع، فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلّقا وتحقّقا، وهو **مرآة الحقّ ومجلي النّعوت المقدّسة، ومجلي المظاهر الإلهية**، وصاحب الوقت وعين الزّمان وسرّ القدر، وله علم دهر الدّهور الغالب عليه الخفاء". أبو بكر محيي الدين ابن عربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السّابق، ج 4، ص 300-303.

(2) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السابق، ص 33-37

(3) أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمّد بن سيدبونه، **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، تحقيق: عبد الإله بن عرفة، مركز التراث الثّقافي المغربي، الدار البيضاء-المغرب، 2005 م، ص 136. نزلت آية [النور: 22] في أبي بكر الصّديق حين منع فضله عن مسطح الذي افترى حديث الإفك في حق السيدة عائشة رضي الله عنها. يقول الغزالي: "من تخطى رقاب الصّديقين وقع في النّبوّة"، لأنّه ليس هناك رجل بين النّبيّ ﷺ وأبي بكر الصديق، لكن ابن عربي يخالفه الرّأي ويقول بأنّ مقام القربة هو أعلى مقام قبل النّبوة، وإن أقرّ بعدم وجود رجل بين النّبي وأبي بكر. ينظر: أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمّد بن سيدبونه، **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، المصدر السّابق، ص 95. أبو بكر محيي الدين بن عربي، **الفتوحات المكّيّة**، المصدر السابق، ص 516. وقد سأل الشيخ أبو مدين أبا أحمد عن الربوبية والرّسالة والولاية والعبودية فكان جوابه: "فليس بين الكفر والإسلام إلّا مقام واحد، وليس بين الإسلام والإيمان إلّا مقام واحد، وليس بين الإيمان والولاية إلّا

الفرع الثّالث: امتدادات الطريقة البونية خلال ق(7-8هـ/13-14م)

للطريقة البونية ميزة قلّما نجدها في باقي الطرق الصّوفية، فقد استمرت دون أن يترك الشّيخ بن سيد بونة (ت: 624هـ/ 1227م) خليفة له ولا أن يوصي بذلك، إلّا أنّه ترك لهم من يقوم على طريقته فقال لهم: "لا شيخ لكم بعدي، لكن صهري أبو الفضل يحفظ لكم نظام الطّريقة ويصونها عن تطرّق الفساد من النّقص والازدياد، ويلثّ فيكم علوم الحقيقة"[1]، أصهاره أزواج بناته طيلة ثلاثة قرون بعد وفاة الشيخ، وكلّهم قام بأعباء الطّريقة وحافظ على وظائفه، وإحياء رسومه رضي الله عن جميعهم.[2]

هذا ما أورده مخطوط الطّباق الذي قام بسرد أسماء القائمين على الطريقة البونية، وأفرد لكلّ واحد منهم حياته ومناقبه، نذكر منهم:[3]

1- **أبو الفضل:** ذكر الطّباق أنّه؛ الفقيه أبو الفضل رضي الله عنه، من أهل الشّهود وسماع الخطاب، وكان يتكلّم على الخواطر والضّمائر، وتلوح عليه الكرامات من الكشف والاطّلاع، والإخبار بالغيوب.
2- **أبو أحمد جعفر:** ابن أبي الفضل، كان فقيها عالما.
3- **أبو تمّام غالب:** ابن أخت أبي الفضل، وابن عمّه، كان فقيها عالما.
4- **أبو أحمد جعفر:** ابن الفقيه أحمد بن الفقيه جعفر العالم، كان فقيها عالما.

مقام واحد، وليس بين الصّديقية والنّبوّة إلّا مقام واحد، وليس بين النّبوّة والرسالة إلّا مقام واحد وليس بين العبوديّة والرّبوبيّة إلّا مقام واحد"، ليقرّ أبو مدين أن الشيخ أبا أحمد قد بلغ من العلوم مالم يبلغه غيره؛ "يا أبا أحمد لقد خصّك الله بالعلوم الكونية والمعارف الموهوبة والحكم البالغة والأسرار الرّبانية وتوحيد الأزلية". ينظر: أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمّد بن سيدبونه، **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، المصدر السّابق، ص 94-95.

(1) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطّبّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السابق، ص 43.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

(3) المصدر نفسه، ص 44-56.

5- **أبو زكريّاء يحي:** ابن أبي أحمد جعفر، كان فقيها عالما.

6- **أبو تمّام غالب:** ابن الفقيه أبو زكريّاء يحي، كان فقيها عالما، فكان هذا الفقيه آخر قائم على الطّريقة إلى وقت الفقيه الزّاهد الوارع الصّوفيّ أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الشّهير بالطَّبَّاقْ.

7- **أبو جعفر بن أحمد بن عليّ الخزاعي** (ت: 765هـ/ 1363م): شيخ الطائفة الخزاعية في وقته، كان له رابطة اشتملت على مسجد ودار إقامة برَبض البيّازين بغرناطة، أين أقام الشيخ وأتباعه.[1]

8- **أبو تمّام غالب بن حسين بن غالب بن سيّدبُون** (ت: 733هـ/ 1332م): "شيخ الطَّائفة الخُزَاعية"[2]، وهي امتداد للطّريقة البونية ابتداء من القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي.

خلاصة:

من خلال ما سبق فالطّريقة البونية قد استمرّ حضورها بالأندلس لما يزيد عن ثلاثة قرون بعد وفاة الشّيخ أبي أحمد بن سيدبونه، ضمن تيّار التّصوّف السّنّي فس عدّة طوائف التي تلتقي معها في المنهج المديني، الذي صبغ الحركة الصّوفية ببلاد الغرب الإسلامي بطابعه الخاص.

ومن بين امتدادات المدينية في فرعها الأندلسي (الطريقة البونية) نجد:

* **الطريقة الخزاعية** لمؤسّسها: أبو تمّام الخزاعي؛ غالب بن حسين بن غالب بن سيدبونه، (ت: 733هـ/ 1332م)[3].

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج الطَّبَّاقْ، **كتاب في التّصوّف**، المصدر السابق، ص 49.

(2) النباهي المالقيّ، **المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا**، المصدر السابق، ص136.

(3) المصدر نفسه، ص136.

* **الطريقة السَّاحلية**: نسبة إلى مؤسّسها؛ أبي عبد الله السّاحليّ المالقي الأندلسي، (ت: 753هـ/ 1352م).[1]

(1) ينظر: أبو عبد الله السّاحلي المالقي، **بغية السّالك في أشرف المسالك**، تحقيق: عبد الرَّحيم العلمي، ط 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003م، لم أتمكّن من الحصول على معلومات وافية على هذه الطّريقة إلّا بعد إتمامي لهذه الدّراسة، من أجل ذلك سيتم تناول هذه الطريقة في بحث مستقل.

المبحث الثاني: الطريقة الماجرية في الغرب الإسلامي

المطلب الأوّل: نشأة أبو محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)

المطلب الثّاني: الخصائص السّلوكية والسّمات المظهرية لطريقة أبي محمّد صالح الماجري.

المطلب الثّالث: امتدادات وطوائف الطّريقة الماجرية بالغرب الإسلامي

المطلب الأوّل: نشأة أبو محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)

برزت الطريقة الماجرية من رحم المدينية، كما كان أبو محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) من بين أقرب وأشهر تلاميذ القطب أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، فكان لها من الأتباع والمريدين الظاهري الكرامات الوارثين مقامات الولاية، حتّى أنّ الماجريّة فرضت وجودها على السّاحة الصوفية لأقطار بلاد الغرب الإسلامي قرونا عديدة، لا يزال أثرها إلى يوم النّاس هذا، فما هو سرّ حضوّ الشّيخ أبي محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م) بكلّ هذا الخصوصية والبزوغ؟ وما هي الأسس التي أمكنت للماجري إحداث التّميّز والتّجاوز إلى ما يعرف بالطريقة الصّالحية؟

الفرع الأوّل: مولد ونسب الشّيخ أبي محمّد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)

نحاول في هذا المطلب التّركيز قدر الإمكان على عرض مقتضب لنسب أبي محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)، ثم القيام بتوصيف لأبرز شيوخه، والغرض من ذلك معرفة الحضن الذي نشأ فيه، ومن ثمّة تبيان مدى انتساب الماجرية للمدينية.

الشيخ أبو محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدّكالي ثمّ الماجري (ت: 631هـ/ 1234م) نزيل رباط آسفي،[1] من بن ي أمية بن عبد شمس من ذرّيّة عمر بن عبد العزيز (ت: 101هـ/ 717م)،[2] وينسب إلى عشيرة بني حيّ، فخذ من أفخاذ بني نصر من قبيل بني ماجر، ويقال

---

(1) أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السابق، ص 13.

(2) في كلّ مرّة يراد نسبة من اشتهر من الصالحين ورجال العلم والحكم والإمارة إلى نسب شريف، وخاصة إلى قبائل قريش العربية، لما فيها من الرّفعة والمكانة لدى عموم مجتمع بلاد المغرب والبربر، وهذا دأب بعض المؤرخين وأصحاب التراجم، الأمر الذي رفضه بعض الباحثين الذين قاموا بالتّقصي عن صحة هذه النّسبة العربية، وانتهوا إلى أنّ الشّيخ بربري الأصل؛ ومن ذلك ما ذكره الباحث عبد اللطيف الشاذلي بعد أن بحث فيمن يحمل اسم (أبو محمّد صالح)، اعتمادا على التراجم الواردة في كتاب التّشوف، فخلص إلى أنّ: من بين 57 ترجمة لهذا الاسم، أصول آباء أصحابها بربرية، يوجد منها 53 اسما بربريا، كما أنّ الباحث "جورج دراق" يؤكّد على بربريته مع عدم الممانعة في النّسبة الأموية. – ينظر: عبد

أنّ بني ماجر ينتهي نسبهم إلى بني مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي[1]، فأبو محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) ولد ببلد **ماجر** بالمغرب في الخامس والعشرين من ذي الحجة، عام خمسين وخمسمائة (556هـ/1155م).[2]

ومن البديهي لدى مجتمع ذلك الزمان اهتمام الأولياء بتعليم أبنائهم علوم الآلة بداية، ومنها العلوم اللغوية والقرآن الكريم، والتفسير والحديث وأحكام العبادات والفقه، ثمّ الانتقال إلى ما أمكنهم النهل من علم التصوف، الذي بلغ صيته الآفاق، فقد كان بين زاوية وزاوية أو رباط زاوية ورباط.

فقد أخذ الفقه عن غير واحد من الفقهاء والفضلاء، منهم الفقيه أبو عمران موسى السّفطوري (ت: ؟)، والفقيه أبو عيسى المغيطي (ت: ؟)؛ الذي كان "متمسّكا بكتابي تهذيب المدوّنة"[3]، وقد قال عنه الشيخ الهسكوري (ت: 653هـ/1255م)[4]: "يجوز أن يقتدى به في طريق الآخرة"[5]، ويخصّ صاحب المنهاج بالذّكر أخذ الشيخ أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) الفقه عن علمين بارزين؛ يقول: "لم يصح عندي من ذلك سوى أبي الطاهر بن عوف

اللطيف الشّاذلي، **أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري**، ضمن أعمال ملتقى أبو محمد صالح: المناقب والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، النّشر العربي الإفريقي، 1990م، ص 56-57.

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 106.

(2) المصدر نفسه، ص 107.

(3) المصدر نفسه، ص 117.

(4) الهسكوري: هو الشّيخ الفقيه الكبير، الإمام الصّالح الشّهير؛ سيدي أبو محمّد صالح الهسكوري الفاسي، من فقهاء فاس وعلمائها وصلحائها، أخذ عن الشّيخ أبي محمد يسكر الجورائي، وأخذ عنه الحافظ أبو الفضل الوليدي، وأبو إبراهيم الأعرج الورياغلي، توفي سنة (653هـ/1255م). ينظر: أبو يعقوب يوسف بن يحي التّادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، المصدر السّابق، ص 339.

(5) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 117.

(ت: ؟)[1]، وأبي محمد عبد الرّزاق الجزولي"[2]، ويضيف للشيخ الجزولي (ت: ؟) ميزة أنّه جمع بين الفقه والتّصوّف، "وصحب غيرهم ممّن جمع بين الفقه والتّصوّف، مثل: أبي محمد عبد الرّزاق الجزولي"[3].

الفرع الثّاني: التّحقيق الواضح في نسبة الشّيخ أبي محمد صالح الماجري للمدينية

وأما عن أخذه علم التّصوف فيذكر أنّ "شيخه الذي كان يعتمد في القدوة عليه، ويعزى في كلّ فضل متى ذكره إليه شيخ الشيوخ في عصره، وإمام المحققين في دهره ومصره، أبو مدين شعيب بن الحسين **القلجيري**[4] الأندلسي"[5]، لكن نفس المصدر الذي اعتمدت عليه في هذا المبحث _كتاب المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمّد صالح_ يلمح إلى جلوسه بين يدي الشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، وفي موضع آخر يشكّك في ذلك ويرى أنّه كان بالواسطة.

فممّا يرويه عن علاقته المباشرة بأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) ما جاء به عن هذا اللقاء؛ "لمّا قدمت عليه وجدته في خلوته مع بعض من اختصه لمنادمته، فلمّا سلّمت عليه

---

(1) وقد لازمه الشيخ أبو محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) مدة تزيد عن عشرين سنة بالإسكندرية، وقد كان الشّيخ ابن عوف (ت: ؟) "رجلا عارفا متوقفا متورّعا في دينه، متمسّكا بكتابي تهذيب المدوّنة"، وقد صحب من بعده ولديه أبا النجم وأبا محمد عبد الوهاب، والفقيه أبا سعيد مخلوف بن جبارة، وأبا طالب أحمد بن رجاء اللخمي، وأبا العباس أحمد بن محمد السّلمي، وأبا عبد الله محمد بن أبي بكر الكركي، والفقيهين أبي عبد الله محمد، وأبي العباس أحمد الحضرمي، ومحمد بن أبي بكر الكرخي. ينظر: أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص ص 117-118.

(2) المصدر نفسه، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ص 118.

(4) لم نصادف هذه النسبة للشيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) إلا في المنهاج، فلا ندري أيقصد بها القطبياني أم بلد آخر غير ذلك. ينظر: المصدر نفسه، ص 188.

(5) المصدر نفسه، ص 118.

وأخذت بيده سألني: من أين كان قدومي، ثمّ قال أتقرأ شيئا؟ فقلت نعم، فقال لي: وما تقرأ؟ فقلت: "**شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم**" [آل عمران: 18]. فسكت عنّي ساعة ولم يجبني بشيء، ثمّ أطرق ساعة فسأله من كان بحضرته عن سؤاله وعن سكوته فقال: وما عسى أن أقول لرجل قد عرف الله تعالى حقّ معرفته"[1].

ثمّ إنّ نفس المصدر يذكر لافتة أخرى عن صلته بالشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، من طريق غير مباشر، فمن أصحاب الشيخ أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) الذين جمعوا بين الفقه والتّصوف: "مثل أبي محمد عبد الرزاق الجزولي، وأبي محمد عبد الله المغوري، وأبي عبد الله السلاّوي (ت:؟)"[2]، ويعلّق على هذا الكلام بعبارة "فإن ثبت هذا"، تفيدنا هذه الإشارة إلى ترجيح _في إطار الجدل الواقع حول نسبة الشّيخ لأبي مدين_[3] أنّ الشيخ

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 63.

(2) المصدر نفسه، ص 118.

(3) في هذا الجدل الواقع حول اللقاء المباشر أو غير المباشر بين شيخ أبي محمد صالح في التّصوّف الغوث أبو مدين شعيب، بعد ورود تشكيك من صاحب المنهاج في اللقاء فمرة يقول: "حسب المتواتر الشّائع"، ومرة أخرى يورد لقاء بين أبي مدين وأبي محمد صالح، وهو ما دعا انقسام الباحثين بين مؤكّد للقاء، وبين من ينفي حصوله؛ ينظر: المصدر نفسه، ص 117-118؛ محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنّشر، ط 1، المغرب،2011 م، ص 39؛ لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة**، مجمع الأطرش، ط 2، تونس، 2018 م، ص 130-131؛ عبد اللطيف الشاذلي، **أبو محمد صالح بن ينصارن**، المرجع السّابق، ص 59. محمد القبلي، **قراءة في زمن أبي محمد صالح: المناقب والتاريخ**، ضمن أعمال ندوة: أبي محمد صالح الماجري، الدار البيضاء-المغرب، 1990م، ص 89. نفيسة الذهبي، **أبو محمد صالح الشيخ والتجربة**، مطابع الرباط نت، الرباط-المغرب، 2016 م، ص 31. وفي النسخة المحققة لكتاب المنهاج (حصلت عليها بعد انتهائي من البحث) يذكر المحقق ثلاثة اتّجاهات عند الباحثين المعاصرين في المسأ، لة: الأوّل، يؤكّد حصول اللقاء (ميشوبلبير، وجورج دراق)، الثّاني: اتجاه متحفّظ إلى حدّ استبعاد حدوث اللقاء (القبلي)، الثالث: اتجاه الرّفض الصّريح (عبد اللطيف الشّاذلي). ينظر: أبو العباس أحمد بن إبراهيم

الجزولي كان حلقة الوصل بين أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) والشّيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، دون أن ننفي صحبته لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وجلوسه بين يديه مدّة كافية لحصول التّربية والتلمّذ الصوفيين، وذلك لعدة اعتبارات:

– أنّ أبا محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) مكث بالإسكندرية مدة عشرين عاما[1] مُتَلمِّذا على كل من الفقيه ابن عوف، والفقيه الصوفي عبد الرّزاق الجزولي.

– كما أنّ هذه الفترة الزّمنية بين ميلاد أبي محمد صالح (ولد: 556هـ/ 1161م) ووفاة الشيخ أبي مدين (ت: 589هـ) (35 سنة)، كافية لحصول اللّقاء وأنّها توحي بأنّ اللقاء حصل بعد قضاء العشرين عاما بمصر، حتّى أنّ المصادر والمراجع[2] لا تحمل تفاصيل أوفى عن اللّقاء ببجاية، في حين نجد الصومعي ينفرد ويلفت انتباهنا في غير ما موضع عن بعض تفاصيل صحبته لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، ويذكر أنّ صحبته وتلّمذه كانت بعد فترة مكوثه بمصر مدّة العشرين عاما.

الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تحقيق: عبد السّلام السعيدي، دار أبي رقراق للطباعة والنّشر، ط 1، المغرب، 2013 م، ج 1، ص 59.

(1) هذه المدة تؤكد احتمال الجلوس بين يدي الشيخ أبي مدين. ينظر: المصدر نفسه، ص 117–118.

(2) يُرجّح ابن قنفذ جلوس أبي محمد صالح بين يدي الجزولي قبل جلوسه بين يدي أبي مدين معتمدا على إخبار العديد من رجال عصره، فيقول: "أخبرني غير واحد أنّ الشيخ أبا محمد صالح لقي الشّيخ أبا مدين _رضي الله عنهما_، وأخذ عنه، وهذا والله أعلم صحيح لأنّه كان معاصرا معه وملازمته للخير قديمة أو يكون أخذه عنه بالواسطة في الابتداء". – أنس الفقير، ص 62. ويقول الكانوني: "وكانت صحبته إيّاه بإذن من الشّيخ عبد الرّزاق المذكور، فصحبه واقتدى به ولازمه وهو عمدته وهو أكبر من أخذ عنه، بل هو وارث مقامه". محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص39. وفي معرض حديثه عن ترجمة التّشوف لا يذكر الباحث عبد اللطيف الشّاذلي أنّه مرّ ببجاية موطن أبي مدين: "أخذ في مسقط رأسه وما جاور بعض المبادئ، وخرج سائحا في طلب المزيد منه، فحلّ بمصر ولزم مجالس العلم فيها مدّة طويلة متحوّلا بين بلاد الشّام والحجاز، ثمّ عاد إلى آسفي". ينظر: عبد اللطيف الشّاذلي، **أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري**، ضمن أعمال ملتقى أبو محمد صالح: المناقب والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، النّشر العربي الإفريقي، 1990م، ص 56–57.

– ثمّ إنّ الشيخ الجزولي هو من قام بتوجيهه إلى أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)؛ "فلمّا أتى الشّيخ أبو محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) مجلس الشّيخ عبد الرّزّاق فسأله واختبره فوجده في حاله أقوى حالا منه فقال له: يا بنيّ إنّك صاحب همّة عالية ولا يليق بتربيتك إلاّ شيخنا أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) فتوجّه إليه ونحن شركاء في الخير فانتفع بصحبتهما معا وكان يقول لكلّ واحد منهما شيخي"[1].

والحال هذه؛ فإنّ لقاء أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) بأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) كان بعد أن صحب الشيخ عبد الرّزاق الجزولي، وبعد أن رأى الشّيخ عبد الرّزّاق، من طريق الكشف أنّه أقوى حالا منه، أرسله إلى شيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) وهو ما تؤكّده شهادة الغوث أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في أوّل لقاء بينهما؛ "وما عسى أن أقول لرجل قد عرف الله تعالى حقّ معرفته"[2].

هذه الشّهادة من الشيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في أوّل يوم زاره وهو ما يثبت الجلوس والصحبة المباشرة، إذ أنّه لم يقدم على أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) حتّى كان مهيّئا للنّهل من معين القطب، ويؤكّد تساؤل صاحب المنهاج بلوغ مراده ومنتهى ولايته عند شيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م).

ضمن السّياق ذاته فالصّومعي يؤكّد أنّه من خواص أصحاب الشّيخ أبي مدين وتلاميذه،[3] وفي معرض ذكره لكرامات أبي مدين غالبا ما تكون نقلا عن روايات أبي محمّد صالح الماجري ومنها قوله: "قدم أناس من المشرق فاشتهوا عنبا في غير إبانه، فقال لي الشّيخ

(1) أبو العباس أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشّيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق ص 277.

(2) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 63.

(3) أبو العباس التادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 160، 186.

أبو مدين يا صالح ادخل البستان وأتنا بعنب، قلت السّاعة خرجت منه ولا شيء فيه، قال: بل فيه، فدخلت فإذا الدّوالي مملوءة عنبا"[1].

ومنها ما رواه أبو محمّد صالح: "كنت يوما عند الشّيخ أبي مدين مع جملة من أصحابه وإذا بالشّيخ أبي مدين طأطأ رأسه وقال: اللهم إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت وأطعت، فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال لهم الشّيخ سيدي أبو محمد عبد القادر الجيلاني صعد منبره في مجلس وعظه في بغداد في هذه السّاعة وقال: قدمي هذه على رقبة كلّ وليّ، وقد أمرنا بالسّمع والطّاعة"[2].

تفاصيل أخرى عن مكوثه ببجاية مع الشّيخ أبي مدين، وعن لبسه خرقة التّصوّف صحبة واقتداء يقول الصّومعي: "ولبسها الشّيخ من شيخه الذي صحب واقتدى به، سيدي أبي مدين شعيب الأنصاري الإمام المشهور الأندلسي القطياني"[3].

وفي كلتا الحالتين؛ أكان أخذ التّصوف مباشرة على يد أبي مدين، أم على يد تلميذه عبد الرّزاق الجزولي، فهو تلميذ للغوث أبي مدين شعيب، منتسب إلى المدرسة المدينية، وهو ما اتفق عليه جميع أهل التّصوف في ذلك الزّمان، والواسطة هنا هي ناقلة لمذهب وطريقة أبي مدين الغوث، فالأمر سيّان سواء تّتلمذ على عبد الرزاق الجزولي أو على يد أبي مدين.

المطلب الثّاني: الخصائص السّلوكية والسّمات المظهرية لطريقة أبي محمّد صالح الماجري

إنّ للطريقة الماجرية مميزات عديدة، جعلت منها تكتسب الفرادة عن غيرها وتجاوز بذلك الطّريقة المدينية، لذا فإنّنا خصّصنا هذا المطلب لبيان المميزات السلوكية والمظهرية التي تختص بها هذه الطريقة.

---

(1) أبو العباس التادلي الصّومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 151-152.

(2) المصدر نفسه، ص 158.

(3) المصدر نفسه، ص 276.

الفرع الأوّل: الخصائص السلوكية للطريقة الماجرية

لعلّ من بين ما ميّز هذه الطريقة؛ سنّ الشيخ أبو محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) ذكرا موصوفا بالرحمة، يستعمله في السّفر، وعند قدومه، وعند الشّدائد، وعند المخاوف في الفيافي والقفار، وهو قولهم: "يا ألله، يا رحمن، يا رحيم"[1]، فكان هذا التّسبيح –كما يراه– فرجا لكل همّ وشدّة اعترضت الشّيخ وأتباعه، ولهذا اتّخذه سنّة لا يفارقه في سفره وحلّه في كلّ ليلة بعد صلاة العشاء.

ومن المعالم الأساسية للطريقة الصّوفيّة الماجرية؛ وزيادة عن هذه **السيرة الأولى**، كان للشّيخ ومريدوه سير أخرى نذكر منها:

السيرة الثانية هي: "إجهارهم بالذكر عند خروجهم في الأسفار، وعند قدومهم عند قضاء الأوطار"[2].

السيرة الثالثة: "اجتماعهم على الذّكر بعد صلاة المغرب إلى وقت العشاء الآخرة"[3]: وهي خمسة أذكار[4]:

أول ذكر منها: لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، **الثاني:** اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله، **الثالث:** استغفر الله إن الله غفور رحيم، **الرابع:** يا الله، يا رحمن، يا رحيم، **الخامس:** الحمد لله ربّ العالمين.

وفي وقت الصبح له ثمانية أذكار:[1]

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 149.

(2) المصدر نفسه، ص 159.

(3) المصدر نفسه، ص 160.

(4) هذه الأذكار تكرر خمسين مرّة، لكلّ ذكر منها، فينقسمون إلى جمعين، فيذكر الجمع الأول، ويردّ عليهم الجمع الثاني، وإذا لم يجد أحدهم من يذكر معه ذكر وحده، ولا سيما في زمن الغيم. ينظر: المصدر نفسه، ص 160.

الأول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، **الثاني:** سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لنا، **الثالث:** سبحان الدّائم القائم، سبحان الباعث الوارث، **الرابع:** ربّنا اغفر لنا، وتب علينا، **الخامس:** اللهم صلّ على محمّد وآله، **السّادس:** استغفر الله إنّ الله غفور رحيم، **السّابع:** يا الله، يا رحمن، يا رحيم، **الثامن:** الحمد لله ربّ العالمين.

لكن على الرّغم من تميّز في الطريقة الماجرية؛ نجد من أنكر على الشّيخ أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) هذه الأحوال والأفعال من "فقهاء وطلبة علم" ذلك الزمان، إلّا أنّ الشّيخ وطائفته قدّموا أدلّة فقهية من الكتاب والسّنّة على جوازها، وقد أوردها صاحب المنهاج وهو حفيد ابن الشّيخ أبي محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م)، الذي عُرف ضلوعه وبروزه في الفقه، والتفسير، والحديث، والقراءات، والأدب، والشّعر، جامعا لعدة فنون لا يشقّ له غبار، فكان سيّد زمانه ووقته.[2]

وقد تباينت المواقف من الطّريقة الماجرية بين الإنكار والقبول لدى مجتمع الغرب الإسلامي، فقد حصل التّمايز بين الفقهاء والمتصوّفة حتى في الألقاب التي كانت تطلق على كلا الطائفتين فالمتصوّفة يطلقون على الفقهاء وطلبتهم "علماء الدّنيا"، في مقابل "علماء الآخرة" للمتصوفة، والفقهاء ينكرون على الصّوفية 'الولاية والكرامة' ويكذّبونهم فيها، وقد كان لهذا الإنكار أثر عكسي، إذ جعل العامّة يبحثون على أهل الطّريقة ويتعرّفون عليهم، فانقسم النّاس بعد ذلك بين مؤيّد ومصدّق لهم وهم غالبية مجتمع المغرب الأوسط، وبين مكذّب لهم وهم القلّة القليلة، في ظلّ الأزمات الاجتماعية والفراغ الرّوحي الذي يعاني منه المجتمع.[3]

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 161.

(2) المصدر نفسه، ص 124 – 128.

(3) ينظر: أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، المصدر السابق، ص 10. أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز**

وقد استمرت الممارسات والمظاهر الصّوفيّة عند النّاس خواصّهم وعوامّهم، المتمثّلة في: لبس المرقّعات، واتّخاذ عصا وغيرها من المظاهر،[1] إلى غاية عصرنا _وإن قلّ_ فلا نزال نشاهدها ونلمس التّمسّك الشّديد بها، ما ينبئ على مكانة التّصوف وأثره الكبير على المجتمع، والعلاقة الوطيدة التي تربط الفقه المالكي _المعتمد في الرّد على المنكرين_ بالتّصوف المديني الجنيدي.

الفرع الثّاني: السّمات المظهرية للطريقة الماجرية

قد تتّفق الطّرق الصوفية في مظاهر سلوكية عامّة كالذكر والسّماع، لكنها تختلف في الكيفيات والأشكال حسب اجتهاد كلّ شيخ، ونحن بصدد ذكر بعض ما تميّزت به هذه الطّريقة، التي تعدّ أقرب الطّرق للمدينية في الملبس والمظهر، فهي من الطرق المغربية المشهورة والمتميزة التعاليم، المازجة بين الفقه والتّصوّف ولا مغالاة فيهما، وما نلاحظه أنّ الكثير ممّا ظهر من سماتها لا زال المجتمع المغربي عموما والجزائري خصوصا ظاهرا عليه وممارسا له إلى يومنا هذا (الشاشية، الحلاق، التسابيح ...) ومن تلك المظاهر:

أ – لبس المرقعات:

وممّا قدّموه من أدلّة جوازها قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: 97]، ففساد وصلاح أمور العباد من علم الله تعالى

الحقير، المصدر السّابق، ص 101. إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع الذهنيات الأولياء**، المصدر السابق، ص 129. منصور بختي دحمور، **ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (06 و09 للهجرة/12 و15 للميلاد)**، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق–سورية، 2017م، ص 139.

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم ينصارن الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 127.

وحده، إلاّ أنه جعل علامات تدلّل على طلب الأمن والأمان وحرمة الدّماء وسلامة الأنفس فجعل بيته آمنا، والأشهر الحرم، والهدي، والقلائد.[1]

وأمّا آية استدلالهم الثانية: فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ ﴾ [المائدة: 03]، وفيها نهي من الله تعالى عن قطع سبل الحجّاج، وهو خطاب موجه لعموم المؤمنين، ومفروض عليهم أن لا يتعدوا حدود الله، كما كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام لمن حجّ بيت الله الحرام فيتقلّدون القلائد ليأمنوا على أنفسهم، ويسالموا به أهل العلم والدين والزهاد والعباد.[2]

وممّا يستدلّون به من السنّة الشريفة؛ ما فعله النّبيّ عليه الصلاة والسّلام في عام الحديبية لما قدم عليه سيد الأحابيش فقال: "**هذا رجل من قوم يتألّهون ويعظمون الحرمة، فابعثوا الهدي في وجهه حتّى يراه**"[3]، فما كان من الحلّيس إلا أن عاد أدراجه وقال: ما ينبغي أن يضرّ هؤلاء.[4]

وفي فعل النبيّ ما يدلّ على جواز اتخاذ ما يقع به الأمان من أهل الشرّ والبغي، كما أنّ الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب: 59]، قد أمر نبيّه ﷺ بدعوة نساءه، وبناته، ونساء المؤمنين، أن يتميّزن بسمة العفاف والدين، وعلامة الفضل والصيانة، حتى لا يؤذين، وهو ما اعتبروه أكبر دليل على جواز أفعال الماجري وتلامذته، ومن قبله فعله

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 125.

(2) المصدر نفسه، ص 126.

(3) صحيح البخاري رقم: 2700.

(4) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 127.

أبو مدين ودليله ما فعله الحباك بعد توبته وحضوره جنازة القطب أبي مدين فقد قال: "... وأخذت **مرقّعته وحلقت رأسي** ودخلت على أهلي"[1].

ب – اتخاذ العصا:

يرون أن اتخاذ العصا سنّة الأنبياء عليهم السلام، فقد اتّخذها موسى عليه السلام، واستعملها لعدّة أغراض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿18﴾ ﴾ [طه: 18]، وهي العصا التي يقال أنّها عصا آدم عليه السلام، كما يروى أن شعيب عليه السلام كان له بيت فيه عصي الأنبياء، ومن معاني اتخاذ العصا ما ذكره أحد الصالحين الزهاد: لما تيقّنت أنّي مسافر ولست بدار إقامة أخذت العصا تذكرة تذكّرني متى غفلت.[2]

ج – استعمال الركاوي:

فاتخاذ الركوة في السّفر سنّة كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: **((عطش النّاس يوم الحديبية والنّبيّ صلى الله عليه وسلّم بين يديه ركوة يتوضأ ...))**[3]، وهي للفقراء قربة وعبادة؛ قال الجنيد: إذا رأيتم الفقير يسافر بلا ركوة فقد عزم على ترك الصلاة.[4]

د – استنباط التسابيح:

---

(1) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السّابق، ص 104.

(2) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 140-141.

(3) صحيح البخاري رقم: 3576.

(4) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 142.

وفي ذلك يقول أهل الحقيقة: أنّ استعمال السبحة فيه إعانة على العبادة، إذ هي مذكّرة لمن هي في يديه، تبعده عن الغفلة عن التّسبيح، فلها في اليد مجيئا وذهابا كتحريك السّبابة في الصّلاة، كما أنّها وسيلة للذكر وعدّ التسبيحات والتحميدات والتكبيرات، لما ندب إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للذّكر عقب كل صلاة وصباح ومساء، فيكون العدّ بالأصابع ورمي الحجارة والسّبح المصنوعة، وقد سئل الجنيد عنها فقال: "طريق عرفت به ربيّ، لا أفارقه"[1].

هـ – الحلاق:

وهذه السّمة تميزت بها الطريقة الماجرية بالمغرب، ومن قبلها المدينية ببجاية (سبقت الإشارة إليها في لبس المرقعات)، وقد قال في ذلك الشيّخ أبو محمد صالح: "من أحبّنا فعل كما فعلنا"[2]، وأصل الحلاق؛ من ما وقع به التّعبّد في أفعال الحجّ فهو التّلبية والطواف ورمي الجمار، كما أنّه ورد أنّ النبيّ عيسى عليه السّلام خرج على أصحابه مرّة لابسا الصّوف، مجزوز الرأس، وقد يكون تفضيل الحلق على التقصير كتقديمه عليه في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:27]، وفي دعائه ﷺ: **((غفر الله للمحلّقين مرّتين أو ثلاثا))**[3]، ولما في الحلق من الفوائد الصّحّية فهو يفتح مسامات الرأس وخروج الأبخرة المضرّة بالدّماغ وغير ذلك.[4]

ي– لبس الشاشيّة:

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن الماجري المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 140–141.

(2) المصدر نفسه، ص 143.

(3) صحيح مسلم، رقم: 1301.

(4) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن ينصارن الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 142–146.

ولبسها كذلك ممّا اختصت به الطائفة الماجرية، فقد جعلوها عادة يسترون بها الرأس من الحر والبرد، ووقايته من الغبار والأوساخ، ففي ذلك مصلحة جليلة تحصل بها المنفعة، وتدفع بها المفسدة، ولا وجود لدليل على نهي الشرع عن لبسها كما يبيّن ذلك أصحاب الطريقة.[1]

المطلب الثّالث: امتدادات وطوائف الطريقة الماجرية ببلاد المغرب

في الغالب الأعمّ فالطرق الصوفية تعتمد على أبناء الشّيخ وأقربائه في نشر تعاليمها، فلم تكن الطريقة الماجرية استثناء عن هذا النّهج، لذا فقد كان للشّيخ ستّة أولاد كانوا من الفضلاء والصّلحاء، ظهرت على أيدي بعضهم الكرامات، وهم: محمد (ت: ؟)، وأحمد (660هـ/ 1262م)، وعبد الله (ت: 651هـ/ 1253)، ويحي (ت: ؟)، وعبد العزيز (ت: 646هـ/ 1248م)، وعيسى (ت: 698هـ/ 1299م)[2] والملاحظ أنّ أولاد الشيخ أبي محمد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) كما هو ظاهر، دور بارز في نشر طريقته التي هي امتداد للطريقة المدينية خلال القرن (7هـ/13م)، و كما هو معلوم أن المحيطين بالشيخ الماجري لهم دور كبير في نشر طريقته في المغرب الأوسط، ولذلك سنعرض المحيطين حول الشيخ من أحفاد، وأصحاب، ومريدين في فرع أول، والامتدادات في فرع ثانٍ.

الفرع الأوّل: تلاميذ وأصحاب الشيخ أبي محمّد صالح الماجري (ت: 631هـ/ 1234م)

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن ينصارن الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 147-148.

(2) من بين كراماتهم ما ذكره صاحب المنهاج؛ أنّ أحمد (ت 660هـ) بارك في قدر يسير من الشعير فكفى صاحبه سنين عديدة بعد أن كان لا يكفي غير سنة واحدة. وأما ولده عبد الله (ت 651هـ) فقد خلف والده في رباطه، وأمّا ولده يحي (توفي صغير السن). أمّا ولده عبد العزيز (ت 646هـ) فقد كان من كبار الأولياء، قال عنه والده: "من كانت له عند الله حاجة فليتوسل إليه بولدي عبد العزيز"، فقد كان من البدلاء غير أنّه لم يحجب. وأمّا ولده عيسى (ت 698هـ) ولّي إمارة آسفي، فكان في إمارته من الأولياء، شديد التّورّع شديد السّطوة. أما عن ولده علي (لم يعرف تاريخ وفاته) فهو الوحيد الذي لم يحج وقد أخبر والده عنه، وقد توفي في رحلته للحج ببجاية ولم يصل إلى الحجاز. ينظر: المصدر نفسه، ص 108-117.

للشيخ الماجري العديد من الأحفاد والأصحاب والمريدين، فمن الأحفاد:

- أبو زكرياء يحي بن محمّد (ت: 687هـ/ 1288م)"، اشتهر بالفقه والعلم والحفظ والإمامة الفقيه وسلوك نهج الصالحين، ذكره صاحب البدر نبوغه في عدّة فنون، فهو من أشهر علماء العهد المريني، فهو الفقيه العلاّمة الميقاتي، وهو الفقيه العالم الحافظ الصّالح الأجود، ضريحه على شاطئ البحر شمال آسفي.[1]
- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن أبي محمد صالح (كان حيا سنة 690هـ/ 1292م): كان كثير السفر والسّياحة، استقرّ بالإسكندرية، اشتهر بعدم القصر في الصلاة رغم مشقّة السّفر، وهو والد أبو العبّاس أحمد مؤلّف المنهاج.
- ومنهم حفيد ابنه أحمد: أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح (ت: بداية ق 8هـ/ 14م)، مؤلّف المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمّد صالح، أهمّ مصدر ذكرت فيه مناقب جدّ والده.

وقد صدّر الكتاب بوصايا لمن أراد خوض علم التّصوف، ومعنى الولاية والكرامة، وفي فضل المشايخ، لينتقل للتعريف بجدّ والده ونسبه وشيوخه، ثمّ ليختم بالحديث عن كراماته وفضله، ولد بالإسكندرية زمن استوطنها والده أبو إسحاق إبراهيم، ثمّ إنّه اطّوّف ما بين مصر وبجاية والمغرب الأقصى.

(1) محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 86-87. ابن القاضي، **ذيل وفيات الأعيان المسمى درّة الحجّال في أسماء الرّجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النّور، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ج3، رقم الترجمة: 1470، ص 342.

وكان المؤلّف بارعا بالفقه والحديث والتّفسير والأدب والشّعر والتّصوف، أُلبِس خرقة التّصوّف على يد أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمّد بن خلف الغافقي الإشبيلي، توفّي بداية القرن 8هـ/14م بآسفي ودفن قرب قبر جدّ والده.[1]

- ومنهم أبو العبّاس أحمد بن يوسف حفيد أبي محمد صالح: اشتهر بالصلاح والعلم، والمجاهدة في العبادة، كما كانت له وجاهة عند السّلطان أبي الحسن المريني، وولده أبي عنان، يقود ركب الحجاج في عصرهم، توفّي أواخر القرن (8هـ/14م).[2]

أما من ناحية الأصحاب؛ فله العديد كذلك نذكر منهم:

- أبو محمد عبد الواسع بن سلام بن ينصارن الماجري ابن أخ الشّيخ؛ وصف بالفضل والصّلاح، من كبار شيوخ الطائفة الصّالحية زار بلاد الحجاز والشام وجبل لبنان.[3]
- إسحاق ايسمخ الآسفي؛ صحب الشّيخ واقتدى به، وهو من كبار المتعبّدين، تجوّل بالمغرب والمشرق، توفي أواخر (ق 7هـ/13م).[4]

---

(1) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السّابق، ص 15. محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 88-90.

(2) ذكرت المصادر أنّه حفيد الشّيخ أبي محمد صالح، لكن لم نجد ذكرا لابن الشّيخ اسمه يوسف، مع أنّه توفي أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فالمرجح أنّه ابن حفيده. ينظر: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب ابن قنفذ القسنطني، **أنس الفقير وعز الحقير**، المصدر السابق، ص61. محمّد بن أحمد الكانوني العبدي، **جواهر الكمال**، تحقيق علال ركوك وآخران، ربانيت، ط 1، الرباط-المغرب، 2004 م، ج1، ص 10-11. محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 90-92.

(3) ينظر: محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 67.

(4) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الماجري ، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، المصدر السابق، ص 105. محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 62-63.

- أبو عيسى ابن مريم الآسفي؛ كان من كبار أصحاب الشّيخ، وخلف الشّيخ في خلوته بعد وفاته.
- أبو موسى عيسى بن عاصم الزناتي؛ عاش في القرن (7هـ/13م)، كان مصاحبا للشّيخ وخادما له حتى أصبح من كبار أصحابه، زار الحجاز لأداء فريضة الحج.
- أبو الرّبيع سليمان بن ينصارن؛ من سجلماسة، صحب الشيخ ونقل عنه مرويات أوردها صاحب المنهاج.
- أبو بكر الحدّاد الآسفي؛ كان رجلا مسنّا، شهير الذّكر، شديد التّمسّك بالعبادة منذ صغره، وهو من خواص أصحاب الشّيخ، كان يسمّيه جدّي العبادة.[1]

أما عن مريديه نذكر مايلي:

- أبو محمد عبد النور بن علي الهزرجي صهر الشّيخ وتلميذه، إمام أصحاب الشّيخ برباط آسفي، عاش خلال القرن (7هـ/13م)، "هو الشّيخ الصّوّام القوّام المسرمد للعبادة، بلغ في الاجتهاد في العبادة أقصى غاية، وفي إدامة الصّيام أبعد نهاية"[2].
- أبو العباس أحمد الماسي؛ أحد مريدي الشيخ وتلامذته، صاحب زاوية ماسة[3].
- عبد الله الماسي؛ من تلامذة الشّيخ[4].

الفرع الثاني: طوائف وامتدادات الطّريقة الماجرية ما بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

كان للشيخ أبي محمّد صالح حضور كبير وأثر واسع على صوفيّة المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى؛ ويظهر ذلك جليا في مظاهرهم وأحوالهم التّي ورثوها عنه منذ القرن السابع

(1) محمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص 67-68.

(2) المصدر نفسه، ص 60-61.

(3) المصدر نفسه، ص 19.

(4) المصدر نفسه، ص 67-68.

الهجري/ الثّالث عشر الميلادي، وهو ما نجده ظاهرا في تقاليد وأعراف المجتمع الجزائري والمغربي المعاصر، فقد تجذّرت تلك المظاهر وأصبحت ثقافة اجتماعية وشعبية مميّزة لهم، وتتمثّل فيما أسلفنا ذكره من أحوال الطريقة من خلال؛ لبس الشاشية، وحلاقة الشّعر، واتخاذ الرّكاوي والعصا، ولبس المرقعات وغيرها.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الشّيخ أبا محمد صالح قد عاد إلى بجاية واستقرّ بوادي أقبو؛ حتّى أنّه تزوّج وصاهر أميرها،[1] كان ذلك بعد وفاة شيخه أبي مدين، هذا ما يفسّر تركه للأتباع والتّلاميذ بالمغرب الأوسط، وخصوصا ببجاية فقد استقر فيها من بعده بعض من أحفاده كما سوف فمن أتباعه بالمغرب الأوسط نجد:

1- الحاج سليمان بن أبي بكر بن أبي عمر المسيلي.
2- أبو عبد الله صالح البجائي.
3- أبو محمّد الحسين بن محمّد صالح.
4- المسعود بن عبد الرّحمن حفيد سيدي محمّد صالح.
5- أبو الحسن سيدي علي بن محمّد حفيد سيدي محمّد صالح.

ولقد عرفت الطريقة الصالحية عدة طوائف انبعثت منها ويمكن تلخيصها في المخطط التالي:

(1) يستبعد محمّد الكانوني حصول ذلك، رغم أنّ الورثيلاني هو الذي أورد هذه الوقائع ضمن كتابه الرحلة الورثيلانية، فاستقصاء الفقيه الكانوني للأحداث جاء بناء على ما عرف عن الشّيخ أبي محمّد صالح فراره من الولاّة وبعده عنهم، فكيف به يصاهر الأمير ويتقرب إليه، ومع ذلك يمكن ردّ هذا الاستبعاد إلى أنّ مقامات الأولياء وأحوالهم لها بدايات ونهايات، لذا يرجح أن حصول هذه العلاقات وارد وإلّا كيف نفسّر استقرار بعضا من حفدته ببجاية لولا وجود علاقة قربى مع أهلها. ينظر: الورثيلاني، **الرحلة الورثيلانية**، المصدر السابق، ج2، ص 250. محمد بن أحمد الكانوني العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، المصدر السّابق، ص52. نفيسة الذهبي، **أبو محمد صالح الماجري؛ الشّيخ والتّجربة**، المرجع السابق، ص 123.

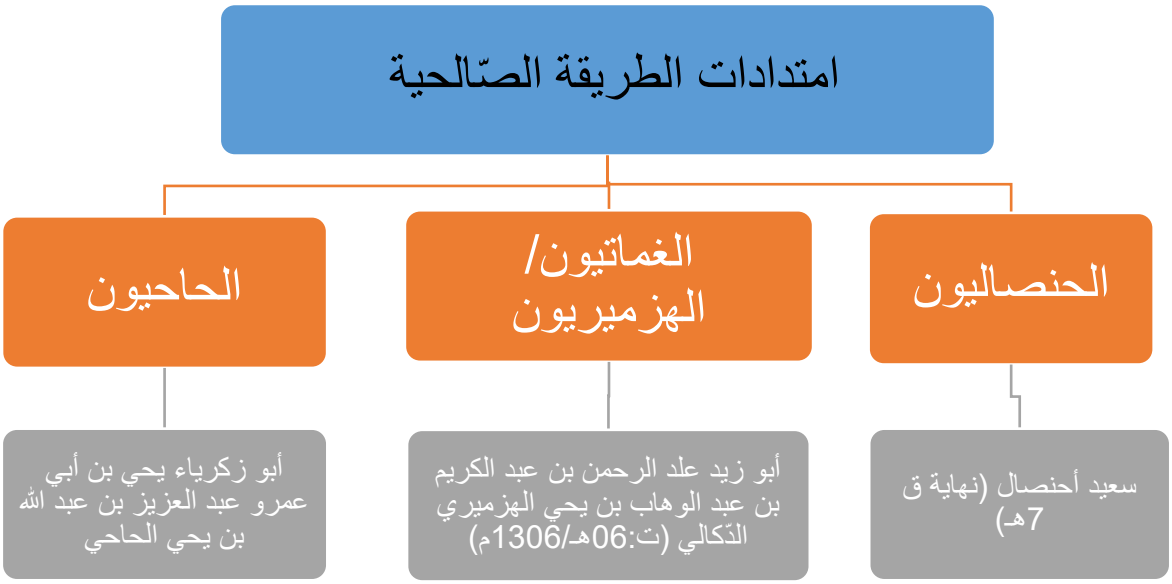

تعليق:

تعدّ هذه أشهر الامتدادات للطريقة الصّالحية التي انتشرت بعد وفاة الشيخ أبو محمد صالح، فقام أصحابه بتأسيس زوايا ورباطات خلفوه فيها في طريقته، وكان ذلك بعد أن كثر الأتباع والمريدون وعاد كل من أصحابه لقريته وقبيلته بالمغرب الأقصى، ما استوجب تأسيس رباط وزاوية تحتضن المريدين والتلاميذ، فكان صاحب الشيخ "أبو محمد صالح"؛ "سعيد أحنصال" (نهاية ق 7هـ) مؤسّسا لطائفة عرفت بالحنصاليّون، والشّيخ "أبو زكرياء يحي بن أبي عمرو عبد العزيز بن عبد الله بن يحي الحاحي"، أسّس طائفة الحاحيّون، والشّيخ "أبو زيد علد الرحمن بن عبد الكريم بن عبد الوهاب بن يحي الهزميري الدّكالي (ت:06هـ/1306م)"، أسّس طائفة **الهزميريون** أو **الغماتيّون**.

وقد استمرّت هذه الزّوايا إلى غاية القرن (9هـ/15م)، اثنتان منها ظهرت من جديد هما: **الحاحيون** بداية من القرن (11هـ/17م)، **والحنصاليون** بداية من القرن (12هـ/18م)، وقد ساهمت السلطة السياسية آنذاك على إعادة بعثهم من خلال دعمها ماليا، في مقابل الحفاظ على استقرار الحكم واعتناء بالصّالحين، لمعرفتهم بمكانتهم الاجتماعية القيادية.

خلاصة:

إنّ الطائفة الصالحية –الماجرية– ماهي إلاّ امتداد للمدرسة المدينية وفرع من فروعها ببلاد المغرب، وبعيدا عن جدل الانتساب المباشر أو غير المباشر بالغوث أبي مدين شعيب، فقد اتفق جميع أهل التّصوف ومريدوه على العلاقة الظاهرة بين الطريقة الصّالحية والمدرسة أبي مدين شعيب البجائي، ويظهر ذلك جليّا في الممارسات المشتركة كالتسابيح ولبس المرقعات والحلاق وغيرها.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ التلمّذ المباشر للشّيخ أبي محمد صالح على يد الشّيخ الجزولي، هذا الأخير الذي امتاز بصفة الجمع بين الفقه والتّصوف اقتداء بشيخه أبي مدين؛ فقد جعل من الطريقة الصّالحية لا تخرج عن هذا الإطار، وهو الاستناد على الكتاب والسّنة ابتداء، قبل الخوض في الأحوال والعلوم الصوفية، فلا نجد شيخا أو مريدا من هذه الطريقة إلا وكان بارعا متضلّعا في الفقه والحديث والتّفسير.

ضمن هذا السّياق يمكننا القول أنّ هذا النّهج الذي انتهجه الشّيخ أبو محمّد صالح وتلامذته من بعده، وما اصطلح عليه بالمدرسة الصّالحية فيما بعد، لأنها انتظمت في إطار نظام الزاوية والرّباط، لا يعدو إلا أن يكون امتدادا من بين الامتدادات الفقهية للمدرسة المدينية البجائية، فقد استقرّ الشّيخ أبو محمد صالح الماجري بمدينة آسفي بالمغرب، بعد رحلة علمية طويلة قادته إلى مصر والحجاز وبجاية ثمّ العودة إلى المغرب مستقرا بها إلى أن وافته المنية وبها قبر.

ثمّ إنّنا لا نغفل العمل والدور الذي ساهمت به المدرسة الصّالحية في إحداث الاستقرار الاجتماعي، والوحدة الدينية التي كان المجتمع المغربي بحاجة لها، فقد استمرّ انتشارها لمدّة ثلاثة قرون متتالية، وفق نظام جديدة وفروع متعددة هي: طائفة الحنصاليون، وطائفة الحاحيون، وطائفة الغماتيون/ الهزميريون.

الفصل الرّابع

الامتدادات الإفريقية والمشرقية للمدرسة المدينية

المبحث الأوّل:

الطّريقة الشّاذلية: شجرة القطب ابن مشيش الصونة

المبحث الثّاني:

الشّيخ محيي الدّين ابن العربي التّلمسيد الرّوحي للشّيخ أبي مدين.

المبحث الأوّل:

الطّريقة الشّاذلية: شجرة القطب ابن مشيش الصوفة

المطلب الأول: أبو الحسن الشّاذلي مؤسّس الطريقة

المطلب الثّاني: الرّوافد الصّوفية المدينيّة للطريقة الشّاذلية

المطلب الثالث: قواعد الطريقة الشاذلية وعلاقتها بالحقيقة المحمدية

المبحث الأوّل: الطّريقة الشّاذلية؛ شجرة القطب ابن مشيش المصونة

إنّ من بين أهم الطرق الصوفية التي شهدها الغرب الإسلامي ما بعد القرن (6هـ/12م) والتي انبثقت عن المدرسة المديّنية وذاع صيتها مشرقا ومغربا؛ الطريقة الشاذلية. ولذلك توجّب علينا تسليط البحث حول مدى انتسابها للمدينية وامتداداتها.

المطلب الأول: أبو الحسن الشّاذلي مؤسّس الطريقة

ركّزنا في هذا العنصر على نسب ونشأة الشاذلي كونه المحور الذي انبنت عليه الطريقة وأدرجنا عنصر الوفاة كفرع ثانٍ لأهميته في معرفة المكانة التي حظي بها بين قومه.

الفرع الأوّل: نسب ونشأة الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي[1]

هو أبو الحسن الشّاذليّ عليّ بن عبد الله بن عبد الجبّار بن تميم، وقيل هو نور الدين علي بن عبد الرّحمن بن عبد الجبار الغماري الزرويلي الإدريسي[2]، من طريق عمر بن المولى إدريس، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه، ولد سنة (593هـ/1196م) بقرية تازموت من قبيلة بني سميح إحدى قبائل غمّارة البحرية.[3]

---

(1) ينظر: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، المصدر السّابق، ج1، ص 84. أحمد بن محمّد المقّري، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، المصدر السّابق، ج1، ص 587. عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، المصدر السّابق، ج2 ص 4. خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، المصدر السّابق، ج5، ص 120.

(2) عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة التصوف المغربي**، دار نشر المعرفة، ط 1، الرباط–المغرب، 2001 م، ج 2، ص 62.

(3) تراجع ترجمته في: ابن عطاء الله السّكندري، **لطائف المنن**، المصدر السّابق، ص47. 96. محمّد بن أبي القاسم الحميري ابن الصّبّاغ، **درّة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأحوال ومقامات وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشّاذلي**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة–مصر، 2001 م، ص 22. أحمد بن محمّد بن عبّاد، **العليّة في المآثر الشّاذلية**، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، 2004 م، ص 11.

دخل مدينة تونس وهو صبيّ صغير، أين تلقى الفقه المالكي، وعلوم اللغة، وعلوم الدّين، وبعد أن اشتدّ عوده، وتمكّن من هذه العلوم، توجه إلى بغداد مدينة العلم، ليعود مجددا إلى المغرب أين تلمّذ على الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش، الذي استمدّ منه علمي الشّريعة والحقيقة، ثمّ رسم له معالم الطريق إلى المشرق مرّة أخرى.

إلى ذلك الحين استقرّ أوّل الأمر بـ: "شاذلة"؛ أوّل قرية يصلها بإفريقية، والتي أخذ اسمها[1] واشتهر به، وبها تربّى على يديه نفر كثير من المريدين والتّلاميذ، فاجتمعوا عليه واحتفوا به، وحين انتقل إلى مدينة تونس تعرّض لمحنة، تسبّب فيها فقهاؤها الذين وشوا به لدى السلطان، فكان سببا لرحيله إلى مصر المستقرّ الأخير، حيث احتفت به وأكرمت وفادته، فبادلها من كريم منّها عليه، وأغدق عليها من فضل كراماته.

اختصّه شيخه الوليّ الشّهير قطب زمانه الشّيخ عبد السّلام بن مشّيش بالرعاية حتّى أنّه لم يتّخذ مريدا غيره، الأمر الذي أمكن أبا الحسن الشّاذلي أن يكون مدرسة التّصوف العالمية، فهو صانع الأولياء؛ "ونحن إذ نطلقه هنا على أبي الحسن الشّاذلي؛ فلأنّ أستاذه لم يخلّف تلامذة غيره من جهة، ولأنّ أبا الحسن خلّف مدرسة صوفية كاملة تربّى على أصولها أساطين العلماء في عصره، مشرقا ومغربا من جهة أخرى"[2].

---

(1) نسبة إلى شاذلة في جبل زغوان جنوبي تونس، اعتكف بها في مغارة، بالجبال الواقعة بين تونس والقيروان، اكتسب شعبية كبيرة لبساطة طريقته، فأصل الطريقة الشاذلية يعود إلى أبي مدين، وغالب الطرق المشرقية والمغربية أصلها مديني. وفي رأي آخر يقال أنّ هذا الاسم: "الشاذّ–لي" يعني "المنفرد لمحبّتي"، أو الفارّ إلى الله، ممّا أضفى مدلولا روحيا على اسمه، وهو الانصراف عن الدنيا. ينظر: محمد الصغير الإفراني، **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، تحقيق: حسن جلاب، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش–المغرب، 1421–2000، ص 152. أحمد بن محمّد المحلى الشّافعي ابن عباد، **المفاخر العليّة في المآثر الشّاذلية**، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2004 م، ص 28. محمّد بن الطّيّب، **إسلام المتصوّفة**، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ص 108.

(2) محمّد حلمي عبد الوهاب، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، دار أبي رقراق، ط1، الرباط–المغرب، 2019 م، ص 77.

الفرع الثّاني: وفاة الشّيخ أبي الحسن الشاذلي (ت: 656هـ/1258م)

توفي وهو في طريقه إلى الحجّ، بقرية "حُميْثرة" بصحراء "عَيذَاب" على شاطئ البحر الأحمر، في شهر شوّال سنة (656هـ/1258م)، وقد حضر جنازته وصلىّ عليه قاضي قضاة مصر، بدر الدين بن جماعة،[1] ولا يزال ضريحه يُزار ويُتبرّك به إلى يومنا هذا، حيث لقي عناية من رجال الحكم والدّولة منذ نهاية العصر الأيّوبي إلى عصر الدّولة المصرية الحديثة، بأن حظي ببناء ضريح ومسجد.[2]

فعكس ما لقيه من محنة الإنكار والتّضييق من حاكم تونس وفقهائها، حتّى أنّهم أوغلوا في حقدهم عليه إلى الوشاية به لدى حاكم مصر، إلّا أنّ الله أبى لهم عكس ذلك، فاحتفت به مصر وحكامها وفقهاؤها حيّا وميّتا، وبادلهم الشّاذلي من وافر علمه وبركات ولايته، وهذا قبره محجّ الأتباع والسّياح من جميع الدّول والأقطار.

المطلب الثّاني: الرّوافد الصّوفية المدينيّة للطريقة الشّاذلية

ككلّ طالب علم تدرّج الشّاذلي في مدارج السّالكين، وتقلّب بين يدي الشّيوخ كلّ حسب فنّه وعلمه، فأخذ الفقه واللّغة والتّفسير والحديث عن جلّة علماء زمانه ومنهم: ابن عصفور (ت: 669هـ/1270م)؛ حضر مجلسه بتونس ومصر.

---

(1) **بدر الدين ابن جماعة:** محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، قاضي القضاة بالدّيار المصرية، ولد سنة تسع وثلاثين وستّمائة، واشتغل بعلوم كثيرة، وأفتى قديما، وعرضت فتواه على النّووي فاستحسن جوابه، وألّف في فنون كثيرة، وحدّث ودرّس بالكاملية وغيرها، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفن بالقرافة. ينظر: جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة–مصر، ج1، ص 425.

(2) محمّد حلمي عبد الوهاب، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، المرجع السّابق، ص 298–300.

وبحكم البيئة المغربية التّي نشأ فيها أبو الحسن الشّاذلي، الأرض التّي تُنبت الأولياء كما تُنبِت الكلأ، فقد نزعت روحه إلى التّصوف وأراد خوض غماره بهمّة عالية وعزيمة كبيرة، فلم "يقتنع بمجرّد شيخ من أهل بلده يتلقّى على يديه أصول ومبادئ التّصوّف ... وإنّما طمحت نفسه لأن يكون مريدا لقطب عصره"[1].

وقد مثلت أمامنا هذه العزيمة والإصرار بأن جاب أقطار المغرب والمشرق وأخذ طريقا طويلا بحثا عن قطب الزمان، بدءا من المغرب وصولا إلى بغداد ثمّ عودة الفتوح ولقاء القطب.

الفرع الأوّل: الشّيخ أبو عبد الله محمّد ابن حرزهم (ت: 611هـ/1214م)

كانت بداية رحلة الشّاذلي بحثا عن قطب الزّمان من بلده المغرب، الذي نشأ فيه، الذي لبس منه خرقة التّصوف وعن لبسه خرقة التّصوف من الشيخين: أبي عبد الله ابن حرزهم، عن شيخه أبي محمد صالح الماجري، عن الشّيخ أبي مدين، فهذه الطريق هي صحبة من غير اقتداء به وعول عليه.[2]

والشّيخ ابن حرزهم هو أبو عبد الله محمّد بن الشّيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله حرازم الأندلسي العثماني الأموي الأصل العبّاسي المنشأ والقرار، وهو أوّل أشياخ الشّاذلي في طريق التّصوّف، الذي أخذ عن أبي محمّد صالح الماجري أكبر تلامذة أصحاب والده، وتلميذ الشّيخ القطب أبي مدين شعيب.

وهنا يمكن القول أنّ منطلق الشّاذلي وبداياته كانت مدينية، فلبس منه خرقة التّصوّف وصحبه فأبان له طريق الاجتهاد حتّى بلغ ما بلغ من الدرجات العلى، لتنتهي هذه الرحلة مع قطب زمانه الشيخ عبد السّلام بن مشّيش تلميذ أبي مدين، لتكون بداياته مَدْيَنِيَّة، ونهاياته مَدْيَنِيَّةُ الطّريقة والاقتداء.

---

(1) محمّد حلمي عبد الوهاب، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، المرجع السّابق، ص 88.

(2) أحمد التّادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشّيخ أبي يعزى**، المصدر السّابق، ص 275.

الفرع الثّاني: الشّيخ أبو سعيد الباجي (ت: 628هـ/ 1231م)

قبل لقاء الشّاذلي بالشّيخ القطب عبد السّلام بن مشّيش، وبعد جلوسه الأول بين يدي شيخه ابن حرزهم بالمغرب، انتقل إلى تونس، فصحب الولي ذو الكرامات تلميذ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) وأحد أهم فروع المدينية بإفريقية، الذي أبان له طريق القوم، وعن ذلك يحدّث قائلا: "لمّا دخلت تونس، في ابتداء أمري، قصدت بها جملة من المشايخ، وكان عندي شيء أحبّ أن أطلع عليه من يبيّن لي فيه خبرا، فما فيهم من شرح لي حالا، حتّى دخلت على الشّيخ أبي سعيد الباجي (ت: 628هـ/ 1230م) -رحمه الله تعالى-، فأخبرني بحالي قبل أن أبديه، وتكلّم على سرّي، فعلمت أنّه وليّ الله تعالى، فلازمته وانتفعت به كثيرا"[1].

ويعدّ الباجي من تلامذة أبي مدين، فقد جلس إليه حتّى ارتوى من معينه، وهو الذي قرّب إليه تعاليم الإحياء، "وكلّفه بنشرها صحبة صديقه ومجايله أبي محمد عبد العزيز المهدوي بين محبيهما"[2].

ثمّ انتقل إلى بغداد العلم والفتوح فجلوس بين يدي **الشيّخ أبي الفتح الواسطي (ت: 632هـ/ 1235م)**[3]؛ الذي دلّه على قطب الزّمان بأن قال له: "تطلب القطب بالعراق وهو

---

(1) أحمد بن محمّد المحلى الشّافعي ابن عباد، **المفاخر العليّة في المآثر الشّاذلية**، المصدر السّابق، ص 15-16.

(2) لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة**، المرجع السّابق، ص 160.

(3) **الشيّخ أبي الفتح الواسطي (ت: 632هـ/ 1235م)**: كان عالما بالشّريعة والحقيقة، وهو أحد كبار العارفين والأولياء المحقّقين، ومن أجلّ أصحاب سيدي أحمد الرفاعي (ت: 578هـ/ 1180م)، وهو الذي أشار إليه بالسّفر إلى مدينة الإسكندرية، كان يحضر ورده كلّ يوم خمسة آلاف من المريدين، أنكر عليه الفقهاء آراءه، وعقدوا له مجلسا للمناظرة بالإسكندرية، فلم يغلبه أحد لقوّة حججه، مات بالإسكندرية ودفن بها. ينظر: أبو حفص سراج الدين ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، المصدر السّابق، ص 424-425. أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النّبهاني، **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة-مصر، 1381هـ/1962م، ج1، ص 473-474؛ أبو الهدى

ببلادك"[1]، فعاد أدراجه إلى جبل العَلَم (لَعْلَامْ)[2] أين اجتمع بشيخه أبي عبد السّلام بن مشّيش(ت:625هـ/1228م).

الفرع الثّالث: القطب عبد السّلام بن مشيش (ت:625هـ/1228م)

هو الوليّ الشهير الذي سلك طريق القوم وهو ابن سبع سنين،[3] ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، نشأ في عبادة الله إلى أن "تقطّب فبقي قطبا عشرين سنة، وكان إذا صلّى يصلّي خلفه أولياء الله من كلّ قطر نساء ورجالا، وكان صاحب جذب لا يصل إليه مريد صادق ويتجرّد من علمه وعمله إلاّ رقاه الله ووصله إلى ربّه ... يمثّل نموذجا في التّصوّف ينتمي إلى الصّدر الأوّل، وهو صاحب

الصّيادي، **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرّفاعي وأتباعه الأكابر**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1420هـ/1999، ص 407–408.

(1) أبو الفضل عبد القادر ابن مغيزيل، **الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيّد الدّنيا والآخرة**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السّايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط 1، القاهرة–مصر، 2010 م، ص 250.

(2) جبل يقع شمال المغرب بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط، ويعدّ مرصدا لتحركات البحّارة الغزاة، كما أنّ هناك رواية تقول أنّ تسمية الجبل ترجع إلى العلم البارز "سيدي عبد السلام بن مشيش" الذي جعله مأوى للتعبّد. ينظر: محمد حلمي عبد الوهّاب، **التّصوّف المغربي وامتداداته المشرقية –الإمداد والاستمداد–**، المرجع السّابق، ص 82. والجدير بالذكر أن هذه التّسمية "لَعْلَامْ" تطلق على قرية وقمّة جبلية بسلسلة جبال البابور شرقي الجزائر، القرية تابعة لولاية بجاية حاليا، كما تجدر الإشارة أنّ تسمية "مشّيش" منتشرة بنفس المجال الجغرافي وتحديدا ببلدية بابور ولاية سطيف، هذا التّشابه في الأسماء يجعلنا نرجّح الرأي الأوّل القائل؛ بكونه منارةً ومرصدًا للمراقبة، فكلاهما قمّة عالية تطلّ على البحر الأبيض المتوسّط، وما يزيد من ترجيحنا لهذا الرأي هو الانتماء القبلي المشترك (قبيلة كتامة)، بحيث عرفت قبائلها هجرات مستمرة فرضتها ظروف معيّنة.

(3) محمّد بن الطّيّب، **إسلام المتصوّفة**، المرجع السابق، ص 108.

المقام العالي، والمكانة الشّهيرة الباهرة الظّهور، وهو الذي رسخت قدمه في علوم القوم على أساس الاقتداء بالنّبيّ ﷺ"[1].

إنّ أقواله ونصائحه تعيننا على تلمّس هذا الكمال الإحسانيّ في علوم التّوحيد، وحقائق الرّبوبيّة، والمعرفة الإلهية على المنهج الصّوفيّ، وكلّ ذلك مدعوم بتمسّك صارم بالسّنّة، على غرار الكبار من أمثال الجنيد، الذي يعترف له أهل المغرب بتصدّر مذهبهم في التّصوّف"[2].

كان من أشهر شيوخ الشّاذلي بعد ابن حرازم والباجي، فهو تلميذه الأوحد وشجرته المصونة الذي "تنبّأ لتلميذه الشّاذلي بمستقبل زاهر في المشرق"[3]، وقد أخذ عليه التّصوّف إلى أن ظهرت ولايته، وورث مقام الأولياء والأقطاب، يقول عن نفسه: "كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السّلام بن مشّيش، وأنا اليوم لا أنتسب لأحد"[4].

فالشّاذلي أخذ التّصوّف من طريقين:

الأولى **طريقة تبرّك:** عن محمد بن حرزهم (ت: 611هـ/1214م)، عن أبي محمد صالح الماجري (ت: 631هـ/1234م)، عن أبي مدين شعيب الغوث (ت: 589هـ/1193م).[5]

والثانية طريقة إرادة: عن عبد السّلام بن مشيش (ت:625هـ/1228م)، عن عبد الرحمن بن الحسن العطّار المدني، عن أبي يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م)، عن أبي

---

(1) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، المصدر السابق، ص 06.

(2) زكية زوانات، **ابن مشيش شيخ الشّاذلي**، ترجمة: أحمد التّوفيق، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، الدّار البيضاء-المغرب، 2006، ص 75.

(3) محمّد بن الطّيّب، **إسلام المتصوّفة**، المرجع السابق، ص 108.

(4) ابن عطاء الله السّكندري، **لطائف المنن**، المصدر السّابق، ص 79.

(5) أبو علي الحسن بن محمّد بن القاسم الكوهن الفاسي، **طبقات الشّاذلية الكبرى المسمّى: جامع الكرامات العلية في طبقات الشّاذلية**، تحقيق: مرسي محمد علي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت-لبنان، 2005 م، ص 54.

بكر بن العربي (ت: 543هـ/1149م)، عن الغزالي (ت: 505هـ/1058م)، عن الجويني (ت: 478هـ/1085م)، عن أبي طالب المكي (ت: 386هـ/996م)، عن الجريري (ت: 311هـ/923م)، عن الجنيد (ت: 298هـ/911م).[1]

وقد يكون تعدّد النّسب يكمن في تعدد المشايخ، فقد أخذ عن ابن حرزهم بالمغرب، ثمّ عن الباجي بتونس، ليختتم طريقه بالأخذ عن الشّيخ ابن مشيش صاحب أبي مدين؛ فلا ضير ولا اختلاف أنه امتداد للمدرسة المدينية، وأحد تلامذة الشيخ أبي مدين بطريق غير مباشر.

وعن لبسه خرقة التّصوف من الشيخين: أبي عبد الله ابن حرزهم، عن شيخه أبي محمد صالح الماجري، عن الشّيخ أبي مدين، فهذه الطريق هي صحبة من غير اقتداء به وعول عليه، أما الطريق الثانية من جهة الشّيخ عبد السّلام بن مشّيش؛ إنّما هي قدوة وصحبة وتوصيل بلا خرقة.[2]

وعلى الرّغم من ذلك؛ فهناك تشكيك آخر في اتّصال عبد السلام ابن مشيش بالقطب أبي مدين، فلا يوجد حسب عديد الباحثين[3]ما يثبت جلوس ابن مشيش بين يدي الغوث أبي مدين، هل كان لقاء تلمّذ؟ أو لقاء رحلة حجّ؟ على الرّغم أنّه "لم يثبت أنّه خرج من المغرب إلى المشرق"[4]، فما تذكره المصادر بوجه صريح هو أنّ عبد الرحمن بن الحسين المدني الشّريف المعروف بابن الزّيات هو شيخ ابن مشيش.

---

(1) علي بن ميمون الغماري، **رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن**، تحقيق: خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2003 م، ص 31–32.

(2) أحمد التادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشّيخ أبي يعزى**، المصدر السابق، ص 275.

(3) أسين بلاثيوس، **ابن عربي؛ حياته ومذهبه**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة–مصر، 1965 م، ص 276. عبد السلام غرميني، **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، المرجع السّابق، ص 331.

(4) علال الفاسي، **التّصوّف الإسلامي في الغرب الإسلامي**، المرجع السّابق، ص 112.

المطلب الثالث: أسس الطريقة الشاذلية وعلاقتها بالحقيقة المحمدية

للطريقة الشاذلية مباني وأسس ترتكز عليها، كما أنّ لها علاقة تربطها بمذهب الحقيقة المحمدية، وهذا ما نريد معرفته في هذا المطلب محاولين الرّد على تساؤلات: كيف للحقيقة المحمّدية أن تتناسب مع الطريقة الشّاذلية؟ وهل كانت المنطلقات الفكرية للشاذلية تتّفق مع مذهب الحقيقة المحمّدية؟

الفرع الأوّل: قواعد وأسس الطريقة الشّاذلية

كما أسلفنا سابقا فالشاذلية نسبة إلى الشّيخ الولي ذي الكرامات أبي الحسن الشاذلي،[1] الذي نهل من طريقتين: "طريقة تبرّك؛ أخذها عن الشّيخ الوليّ سيدي محمّد بن حرازم، وطريقة إرادة؛ وهي التّي أخذها عن الأستاذ القطب أبي محمّد عبد السّلام بن مشيش _رضي الله عنه_"[2]، واشتملت طريقته على: السّلوك، والجذب، والمجاهدة، والعناية، والأدب، والقرب، والرّعاية، وتشيّدت بالعلمين: الظاهر والباطن من سائر أطرافها، وقرنت بصفات الكمال: شريعة وحقيقة من جميع أكنافها.[3]

والطريقة الشاذلية هي: "أقرب الطرق للجادّة وأبعدها من الدعوى وأيسرها للسلوك"[4]، فهي قائمة على مجموعة من السلوكات التربوية التي ترتقي بالمريد إلى مراتب، ويتدرج فيها من مقام

---

(1) علي صافي حسين، **الأدب الصوفي في مصر ابن الصّباغ القوصي شيخ التصوف في مصر في القرن السّابع الهجري**، مكتبة الدراسات الأدبية، مصر، ص 60-84.

(2) أبو علي الحسن الفاسي، **طبقات الشّاذلية الكبرى المسمّى: جامع الكرامات العلية في طبقات الشّاذلية**، المصدر السّابق، ص54.

(3) امتحن الشّاذلي بمصر بعد القبض عليه، وعقد له الملك الكامل مجلسا ناظر فيه فقهاء عصره، ففاق العلماء بردوده لأنّه كان الجامع بين الشّريعة والحقيقة، فأطلق سراحه وأكرمه. عبد العزيز بن عبد الله، **معلمة التصوف المغربي**، المرجع السّابق، ص 68.

(4) أحمد زروق، **قواعد التّصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة**، تحقيق: محمود إدريس طيّب، كتاب ناشرون، ص 464.

إلى مقام، فالشاذلي من الأكيد أنه لا يختلف عن شيخه أبي مدين في نهجه التّربوي إلا ما اختصّ به وزاد عنه من حيث:[1]

- التّقيد بالقرآن والسّنة وخصوصا سنن التّرمذي.
- والحفاظ على الفرائض، وقيام الليل، والتزام أوراد وأذكار خاصة.
- والتّقشف في المأكل، التّجمل في الملبس.
- وإنكار الكرامات الحسّية كما كان يقول أبو مدين: الملتفت للكرامة كعابد الوثن.
- بالإضافة إلى اعتماد مرجعية المغاربة في اعتناق المذهب المالكي فقها، والأشعرية عقيدة.

ومن بين المفاهيم المعتمدة للمريد عند الشّاذلية ما يلي:

1- التوبة: أوّل منزل من منازل السالكين وأوّل مقام من مقامات الطّالبين، "وهي عندهم رحمهم الله مراتب ومقامات على السّالك أن يرقاها درجة درجة"[2]... فالتّوبة الرجوع عمّا كان مذموما في الشّرع إلى ما هو محمود فيه.[3]

2- **الإخلاص:** وهو ترك العمل من أجل النّاس رياء، والعمل من أجل النّاس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.[4]

والإخلاص عند الشاذلي ثلاثة مراتب:[1]

---

(1) نفيسة الذهبي، **أبو محمّد صالح الماجري -الشّيخ والتّجربة**، المرجع السّابق، ص 210.

(2) مريم ياسين، **التّصوّف السّنّي دراسة في إحداثيات الإصلاح النّفسي والاجتماعي والسّياسي**، المرجع السّابق، ص 42.

(3) عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، ص 91.

(4) أبو الحجاج المزي، **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت-لبنان، 1400هـ/ 1980م، ج 23، ص 291.

1- إخلاص العوام: وهو إخراج الخلق من معاملة الحقّ، مع مطلب الحظوظ الدّنيوية والأخروية.

2- إخلاص الخواصّ: وهو طلب الحظوظ الأخروية دون الدّنيوية.

3- إخلاص خواصّ الخواصّ: وهو إخراج الحظوظ بالكليّة؛ فعبادتهم تحقيق العبوديّة والقيام بوظائف الرّبوبيّة محبّة وشوقا لرؤيته.

3-النّية: وهي أساس العمل والقبول، وإخراج الخلق في معاملة الحق.[2]

4-الخلوة: عند الشاذلية تدوم الخلوة ثلاثة أيام، يكون فيها المريد معتزلا النّاس حتى يستعدّ لتلقّي الجديد، والخلوة "عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه لأنّ النّبي ﷺ لما اعتزل عن النّاس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم وكلّ أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم له من مقامات الولاية"[3].

4-**الذّكر:** وهو ذكر الله باسمه أو بالضمير "هو"، ثمّ اتّباع الأوراد والأحزاب المعروفة.[4]

5- **الزّهد:** وهو الزّهد في الحلال وترك الحرام، حتّى يصل المريد إلى فراغ القلب ممّا سوى الله.[5]

---

(1) أحمد بن محمّد ابن عجيبة، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، تقديم: محمّد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة-مصر، (د.ت)، ص 50.

(2) عبد الله أحمد بن عجيبة، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف ويليه كتاب كشف النقاب عن سرّ لبّ الألباب**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثّقافي المغربي، ط 1، الدّار البيضاء، 2004 م، ص 34.

(3) أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، **بهجة النّفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري**، مطبعة الصدق الخيرية، ط1، مصر، 1348هـ، ج1، ص 11.

(4) عبد الله أحمد بن عجيبة، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف ويليه كتاب كشف النقاب عن سرّ لبّ الألباب**، المصدر السّابق، ص 47.

(5) المصدر نفسه، ص 30.

6- **الورع:** وهو كفّ النّفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته[1].

7- **التّوكل:** وهو حالة القلب في الثّقة بالوكيل الحقّ، وقطع الالتفات إلى غيره، فالتّوكّل محلّه القلب والحركة بالظاهر لا تنافي التّوكل بالقلب[2].

8- **الرّضى:** وهو شرط في إيمان العبد بربّه، فهو سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وعدم الاعتراض على الحكم والقضاء، وهو خلاف رضى النّفس وهواها.[3]

9- **المحبّة:** وهي سفر القلب في طلب المحبوب، بذكره على الدوام.[4]

10- **الذّوق:** وهو تلقّي الأرواح للأسرار الطّاهرة في الكرامات وخوارق العادات، وسكون بعد العلم بالحقيقة.[5]

11- علم اليقين: ما كان ناشئا عن البرهان.[6]

كما أنّ أتباع الشّاذلية اشتهروا بأذكار على شاكلة "الله الله" أو بالضمير "هو"، ويمكن القول أنّ مبادئها تتلخّص في كلمة (لا إله إلاّ الله)، وتختلف درجات أتباعها ومريدوها حسب أصنافهم في السّلوك بهذه الكلمة، وهم تسعة أصناف:

---

(1) عبد الله أحمد بن عجيبة، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف ويليه كتاب كشف النقاب عن سرّ لبّ الألباب**، المصدر السّابق، ص 29.

(2) أبو حامد الغزالي، **الأربعين في أصول الدّين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق**، دار القلم، ط1، دمشق-سوريا، 1424هـ/2003م، ص 241-242.

(3) أحمد بن علي الرفاعي، **حالة أهل الحقيقة مع الله**، تحقيق: عبد الغني نكدهي، دار القلم العربي، ط، 1، 1407هـ، ص 230.

(4) عبد الله أحمد بن عجيبة، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف ويليه كتاب كشف النقاب عن سرّ لبّ الألباب**، المصدر السابق، ص 29.

(5) المصدر نفسه، ص 65.

(6) المصدر نفسه، ص 43.

1- الذين أفردوا هذه الكلمة في اللسان.

2- الذين أفردوا الخالق بنفي معين.

3- الذين أفردوا الرّزاق لنفي معين.

4- الذين أفردوا الحيّ بنفي المواد.

5- الذين أفردوا المعبود، فإنّ كل ما شغل عن الله فهو إله في حق من شغله.

6- الذين أفردوا الفاعل بنفي أفعال من سواه.

7- الذين أفردوا المشهود بنفي المشهودات معه.

8- الذين أفردوا الموجود بنفي الموجودات معه.

9- مرتبة الفناء[1]، ويمكن إرجاعها إلى مفهومين: التّوحيد، وإسقاط التّدبير مع الحقّ فيما دبّره من القهريّات والأمريات واستصحاب الشّكر في الجلب، والدّفع دينا ودنيا، علما وعملا وحالا، والتّسليم للحكم بملاحظة الحكمة[2].

وتبعا لذلك فأساس التّوحيد عند الشّاذلي الإلهام وما يرشد إليه القرآن الكريم، وهو ما دعا إليه الشّيخ أبو مدين، وأمّا مذهبه العملي في بادئ الأمر قبل التّحوّل إلى الطريقة التربوية التعليمية؛ فعدم اتّخاذ الشّيخ المربّي،[3] والمواظبة على الأذكار والأوراد والصّلاة في كلّ مكان، بدون اتّخاذ زاوية أو رباط.

الفرع الثّاني: الطريقة الشاذلية وعلاقتها بالحقيقة المحمّدية

---

(1) عبد الله أحمد بن عجيبة، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف**، المصدر السابق، ص 59.

(2) أبو العباس أحمد زروق، **قواعد التّصوّف**، المصدر السّابق، ص 27.

(3) قد يصل الإنسان إلى درجة القطبانية بدون واسطة. ينظر: محمد مفتاح الخطاب الصوفي، **الخطاب الصّوفي**، المرجع السّابق، ص 171-172.

ينسب الباحث لطفي عيسى توجه الشاذلي إلى مذهب "الحقيقة المحمّدية"[1] الذي يحتل موقعا وسطا بين التّصوّف الفلسفي الأندلسي الذي يرى بوحدة الوجود، وفق الآراء الأكبرية، وبين مذهب التّصوّف الأصولي القائم على الجمع بين الحقيقة والشّريعة، وهو ما أسّست له المدرسة المدينية.[2]

ويعتبر مصطلح الحقيقة المحمّدية مثيرا للجدل بين فقهاء الظاهر والصوفية، فقد أنكروا عليهم ما يرمي إليه _حسب فهمهم_ من رفع مقام النّبيّ إلى مقام الإله،[3] لكن "المفهوم الذي يدلّ عليه هذا الاصطلاح، يعدّ من أكثر المفاهيم أصالة وعمقا، ونعني به المفهوم الذي يرمز إليه بالنّور المحمّدي، أو نور محمّد [ﷺ]"[4]، الأمر الذي يُلمِع إلى رقيّ الطّريقة الشّاذلية ونزوعها بالفقه والتّصوف، والموازنة بين الحقيقة والشّريعة دون مغالاة لطرف دون الآخر، وهو مالا نجده عند تيارات التّصوّف الفلسفي الباطني، ولا عند فقهاء الظّاهر على الرّغم من إنكارهم لهذا النّهج.

الفرع الثّالث: امتدادات الطريقة الشاذلية

إذا ما نظرنا إلى الصّيت الذي لقيته المدْينيّة وسطوتها على المشهد الصّوفي، من خلال الانتشار والقبول الذي حظيت به في مشرق ومغرب العالم الإسلامي، فإنّه من الممكن القول أنّ

---

(1) الحقيقة المحمّدية هي التعين الأول الذي ظهرت منه النّبوّة والرّسالة والولاية، ونشأت عنه جميع التّعيينات، ولأجل ذلك كان نبيّنا محمّد ﷺ سيّد الوجود وأصل كلّ موجود، وهو أوّل الأوّلين وخاتم النّبيّين المختصّ بالاسم الأعظم الذّاتي، الذي لا يكون إلاّ له دون جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، من حيث أنه المرجع الأصلي لجميع التّعينات. ينظر: رفيق المعجم، **موسوعة مصطلحات التّصوّف الإسلامي**، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت–لبنان، 1999، ص 300–301.

(2) لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة**، المرجع السّابق، ص 146.

(3) رزقي بن عومر، **مقام الحقيقة المحمّدية وأدوارها في كتابات الشّيخ أحمد علّاوي**، مجلّة أبعاد، مشورات الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر–جامعة وهران 2، الجزائر، ع 07، ديسمبر 2018 م، ص 78.

(4) علي شوديكفيتش، **الولاية والنّبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي**، تحقيق: أحمد الطّيّب، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 2004م، ص 89.

الشّاذلية لا تختلف عنها في تلك السّطوة والنّفوذ، من حيث أنّها فتحت مشرقه بدايةً، ثمّ ما لبثت أن ورثت مجال المغارب تاليًا، بداية من منتصف القرن الثامن الهجري/ الثالث عشر الميلادي.[1]

ويمكن تفسير التّأخر في انتشارها بالمغرب الأوسط تحديدا إلى ما لقيته من محنة الشّاذلي بتونس، التي أجبرته على التّخلّي عن موطنه وهجرته إلى مصر، حيث ذاع صيته وورث بها القطبانية، الأمر الآخر هو أن المَدْيَنيّين بسطوا سيطرتهم على مجال المغارب طيلة القرن الموالي لوفاة أبي مدين أي القرن (7هـ/13م) وبداية القرن (8هـ/14م)، ومنهم ممّن جلس له الشيخ أبو الحسن الشّاذلي كابن حرزهم والباجي وابن مشيّش.

كذلك فالمَدْينيّة طيلة القرن (7هـ/13م) انتشرت بشكل لافت في بوادي وأرياف المغرب الأوسط بعد أن قام أبو مدين بتبسيط التّصوّف للعامة وإخراجه من الحواضر، لهذا فلم يكن لأيّ تيّار صوفي مجال لمنافسة المَدْينيّة بالمغرب الأوسط.[2]

وممّا لا شكّ فيه فإنّ بلوغ الشّاذلي القُطبانِيّة وذيوع صيته، ثمّ ما لقيه تلاميذ الشّاذلي من بعده كأمثال أبي العباس المُرسي (ت: 686هـ/1287م)[1]، ومن بعده ابن عطاء الله السّكندري

---

(1) في هذا الشّأن يعتبر الباحث لطفي عيسى أنّ التّجربة الشّاذلية هي أكثر التّجارب تعبيرا عن واقع التّفاعل بين عدة مركّبات في نفس الظّرف (المؤسّسة السّياسية–الهياكل الدّينية–التشكيلة الاجتماعية)، كما عبّرت الباحثة نيلي سلامة عن أثر الشّاذلية من خلال مؤسّسة الزوايا، في كونها قامت بكسر الحدود الجغرافية وربط المتنافر منها، وهو الدّور المحوري الذي يراه الباحث محمّد حسن في العملية الإدماجية (الدينية–الاجتماعية–الاقتصادية) ما بين البادية والمدينة، ضمن هذا السّياق يعتبر الباحث "بول نويّا" أنّ الشّاذليّة هي إحدى تيّارات التّصوّف الأربعة في العالم الإسلامي التي عرفت انتشارا واسعا وهي إضافة للشّاذليّة: القادرية، والرفاعية، والسّهروردية. ينظر: لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة**، المرجع السّابق، ص 161.

(2) ينظر: الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، المرجع السّابق، ص 129.

(ت: 709هـ/1309م)، من قبول وظهور بالغرب الإسلامي، قد أسهم في عملية عكسية لما قام به أبو مدين من جعل بجاية مركز تصدير للتّصوف إلى حواضر المغرب والأندلس وإفريقية والمشرق، فغدى المغرب الأوسط مركز استقبال للوافد من ذات المراكز ومنها الشّاذلية بمصر.

علاوة على ذلك قد يعود إلى ذلك التّواؤم ما بين الخط الفقهي المالكي والتواليف الصّوفية وخصوصا الحكم العطائية، وهو ما يفسّر تبنّي كتب التّصوف وشرحها من قبل فقهاء المالكية والصوفية الفقهاء ببلاد المغرب،[2] كأمثال ابن عباد الرّندي (ت: 792هـ/1390م)[3]، وأبو عمران موسى العبدوسي (776هـ/1374م)[4].

وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الشّاذليّون كان لهم التّأثير ببلاد الغرب الإسلامي، بعدما حصل لهم الاستقرار والتّمكين بمصر، فقد كان لها "فرعان توأمان هما: الحنيفية والوفائية بقيا يتقاسمان التّأثير في مصر حتّى العهد العثماني، ولكنّ الطّريقة الشّاذلية ستكتسح أوساط العلماء"[5]، ومن

---

(1) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، ولد في مدينة مرسية في الأندلس سنة (616هـ/1219م)، يتصل نسبه بالصحابي سعد بن عبادة، كان من أكابر العارفين وكان يقال: أنه لم يرث علم الشّيخ أبي الحسن الشّاذلي غيره، وهو أجلّ من أخذ عنه الطّريق، ولم يضع شيئا من الكتب. توفي سنة (ت: 686هـ/1287م). ينظر: عبد الوهاب الشعراني، **الطّبقات الكبرى**، المصدر السّابق، ص 26.

(2) لطفي عيسى، **مغرب المتصوّفة**، المرجع السّابق، ص 160-166.

(3) هو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن عبّاد النّفري الرّندي، ولد سنة 733هـ، نشأ ببلدة رندة بالأندلس، وتنقل بين تلمسان ومراكش وسلا وطنجة ليستقر بجامع القرويين بفاس، اشتهر بأنّه إمام العالم العارف الرّبّاني المحقق ذو العلوم الباهرة. توفي سنة: (792هـ/1390م). ينظر: أحمد بن يحي الونشريسي، **وفيات الونشريسي**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ط1، القاهرة، 2009م، ص 69.

(4) أبو عمران موسى بن معطي العبدوسي، وبه عرف الفاسي، عالمها ومفتيها، الإمام الحافظ العلاّمة، كان آية في معرفة المدونة، أقرأها نحواً من أربعين سنة، وله مجلس لم يكن لغيره، يحضره الفقهاء والمدرّسون والصّلحاء، أخذ عن أئمة منهم عبد العزيز القوري وعبد الرحمن الجزولي ... له تآليف منها تقييدان على المدونة وتقييد على الرسالة. توفي سنة (776هـ/1374م). ينظر: محمّد بن محمّد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، المصدر السّابق، ص 338.

(5) محمّد بن الطّيّب، **إسلام المتصوّفة**، المرجع السّابق، ص 112.

التّلاميذ والأصحاب الذين كان لهم الفضل في نشر الشّاذليّة، اشتهر عنه أنّ له أربعين من الأصحاب[1] هم أوتاد الطريقة وبهم انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي وهم:

1- أبو العباس المرسي (686هـ/1287م): أخذ عنه ياقوت الحبشي أجلّ تلامذة المرسي، والعلاّمة الإيراني نجم الدين الأصفهاني.[2]

2- محمد الفاسي الشّاذلي شيخ الأمير عبد القادر الجزائري، أخذ عنه الطّريقة الشّاذلية بمصر عام (1284هـ).[3]

3- محمد بن سرور الشهير بابن أبي الحمائل، أستاذ العارفين كان كثير الطيران من بلد لآخر، سكن الزّاوية الحمراء بمصر.[4]

4- أبو إسحاق إبراهيم الزواوي (ت: 691هـ/1293م)؛ له مناقب سنّيّة (حفظ عليه القرآن ألف رجل، وثلاثمئة امرأة).

5- تاج الدين الصنهاجي (ت: 664هـ/1266م)؛ له مناقب عظام.

6- أبو الحسن عليّ القرجاني (ت: 681هـ/1283م)؛ له مناقب عظام في كتاب الشّرف، الدّعاء عند قبره مستجاب.

7- محمّد الريغي (ت: 661هـ/1263م)؛ من العارفين بطريقة أولياء الله تعالى.

8- أبو عبد الله محمّد الغمّاري (ت: 663هـ/1265م)؛ أوّل من صحب الشّاذلي عند دخوله تونس.

---

(1) ممّا اشتهر به الشّاذلي أن ترك أربعين صاحبا أو يزيد، كان لهم دور بارز في نشر الشّاذلية وانتشارها، ينظر: محمّد حلمي عبد الوهاب، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، المرجع السّابق، ص 301-305.

(2) عبد الوهاب الشعراني، **الطّبقات الكبرى**، المصدر السّابق، ص 26.

(3) أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النّبهاني، **جامع كرامات الأولياء**، المصدر السّابق، ج1، ص372.

(4) عبد الوهاب الشعراني، **طبقات الصوفية**، المصدر السّابق، ج1، ص 299.

9- أبو عبد الله محمّد القرطبي (ت: 661هـ/1263م)؛ حفظ عليه القرآن خمسمئة رجل.

10- أبو العزائم ماضي بن سلطان المسروقي (ت: 718هـ/1319م)؛ خادم الإمام الشّاذلي.

11- عبد المغيث الطّنجي (ت: 680هـ/1282م)؛ وقف بعرفة 37 مرّة.

12- عبد الملك الزّعزاع (ت: 681هـ/1283م)؛ له كرامات سنّيّة.

13- أبو العبّاس أحمد الغرابلي (ت: 685هـ/1287م)؛ له مناقب كثيرة.

14- أبو حفص عمر السّبتي (ت: 687هـ/1289م)؛ من أهل الكشف والكرامات.

15- أبو عبد الله محمّد الحبيبي (ت: 693هـ/1295م)؛ دفن بجبّانة مباركة اجتمع فيها أربعة أشياخ من أهل الفضل والبركة (الدعاء مستجاب عند قبره).

16- علي بن مخلوف الزّيّات (650هـ/1252م)؛

17- أبو عبد الله الصّابوني (687هـ/1289م)؛ من أهل الأسرار الغيبية.

18- أبو حفص عمر الجاسوس (687هـ/1289م)؛ له مناقب كبيرة.

19- إبراهيم المزوغي (669هـ/1271هـ)؛ له مناقب كثيرة.

20- أبو العبّاس أحمد اليمني (691هـ/1293م)؛ كان من النّاصرين للشّيخ أبي الحسن.

21- أبو النّجاة سالم الدّقي (ت: 661هـ/1263م)؛ قبره مجاب لقضاء الحوائج، بجوار قبره بالزّلاج قبر ولد القاضي عياض.

22- أبو عبد الله محمّد الفاسي (ت: 659هـ/1261م)؛ له أقاويل كثيرة ذكرت في كتاب حسن المآب.

23- أبو سالم علي المزاتي (661هـ/1263م)؛ له مناقب جليلة وأحوال سنّيّة.

24- أبو الفضل قاسم القرطبي (661هـ/1263م)؛ له في كتاب تحفة الأولياء مناقب كثيرة.

25- أبو عبد الله محمّد القطّاع (ت: 663هـ/1265م)؛ له كرامات سنّيّة.

26- أبو الذّبيح إسماعيل الهنتاتي (663هـ/1265م)؛ له ألفا منقبة.

27- أبو عبد الله محمّد الجبّاس (ت: 664هـ/1266م)؛ ذو المناقب السّنية والأسرار الرّبّانيّة.

28- أبو عطية المسروقي (ت: 664هـ/1266م)؛ آخر من دفن من أصحابه بأرض الجلاّز.

29- أبو زيّان الدّاودي (ت: 666هـ/1268م)؛ له مناقب كثيرة.

30- سعدون الأسمر (ت: 666هـ/1268م)؛ كان من أهل الكشف، وقبره بجوار قبر الشيخ القرجاني.

31- أبو الفضل قاسم الدّباغ (ت: 666هـ/1268م)؛ كان من العارفين بأحوال الغيب.

32- أبو عبد الله محمّد الشّريف (ت: 666هـ/1268م)؛ إمام جامه الهواء بتونس العاصمة وشيخ التوفيقية.

33- محمّد الغرامي (القرافي) (ت: 666هـ/1268م)؛ له كرامات سنيّة.

34- عبد الله القرطبي القريشي (ت: 667هـ/1269م)؛ قرأ عشرة آلاف ختمة عند قبر الرّسول ﷺ، حجّ عشرين مرّة.

35- أبو عبد الله محمّد التّرّاب (ت: 667هـ/1269م)؛

36- أبو العبّاس أحمد المزّوغي (ت: 667هـ/1269م)؛ له كرامات كثيرة.

37- عبد الرّحمن الشّفي (الشعيبي) (ت: 668هـ/1270م)؛ ذو الأسرار العجيبة، آخر من دفن بتونس من أصحابه.

38- أبو الحسن عليّ الحطّاب (ت: 671هـ/1273)؛ أوّل من صحبه وعرفه بتونس بحسب درّة الأسرار.

39- سالم التباسي (ت: 642هـ/1244م)؛

40- حسين السّيجومي (ت: 644هـ/1246م)؛ ذكر له التّادلي مناقب كثيرة.

41- سيدي عبد الوهّاب (ت: 675هـ/1277م)؛ ذو العلوم الوهبيّة، له مناقب كثيرة.

42- سفيان الباجي (ت: 675هـ/1277م)؛

43- عبد الرحمن الحلفاوي (ت: 676هـ/1279م)؛ قبره غرب باب السويقة.

44- خلف المسروقي (ت: 676هـ/1278م)؛ مدفون بإزاء جامع الصّفصافة غربي تونس.

45- الشّيخ محمد بن محمد وفا السّكندري المغربي (ت: 760هـ).[1]

خلاصة:

مما سبق ذكره نستنتج أن الشاذلية امتداد مدينيٌ على ساحة التّصوف الإسلامي، إذ نجدها حاكت المدينية في أسسها وقواعدها، تلك المحاكاة التي شكلت التمظهرات العامّة للطريقة الشاذلية، كما أنّها استوعبت المدينية وتتجاوز ذلك إلى الانفراد والتّميز، دون الخروج عن الخطّ العام والنهج القائم على الجمع بين الفقه والتّصوف، أو ما يعرف باتجاه التّصوّف السّنّي.

هذا الاتّجاه الذي صنّفنا فيه كلّ من الطريقة البونية والماجرية إضافة إلى الشّاذلية، وقد تمّ انتخاب هذه الطّرق لمّا أمكنها من إثبات حضورها على المشهد الصّوفي ببلاد الغرب الإسلامي ثمّ امتداداتها المشرقية، كما أنّ امتداداتها استمرت طيلة القرون الثلاثة (6-7-8هـ/12-13-14م) والتي أعقبت وفاة أبي مدين.

---

(1) أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النّبهاني، **جامع كرامات الأولياء**، المصدر السّابق، ج1، ص 237.

وكما أثبتنا نسبة هذه الطّرق للمدينية فإنّه من الأهمية بمكان أن نؤكد أنّ لها حضورا _مكانيا وزمنيا_ عبر كل أقطار العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، وقد اقتصرت دراستنا على أمثلة من عديد الامتدادات التي ألمحنا إليها بين حيثيات هذا البحث.

وممّا نراه تفرّدا للمدينية في خطابها الصّوفي العام؛ فإنّها قد اتجهت في امتداداتها ومن خلال تعدّد تلاميذ أبي مدين إلى توجّه يخالف جزئيا التّوجّه الفقهي أو ما يعرف بالتّصوّف السّنّي، وهو المنحى ذو النّزعة الصوفيّة العرفانية والذي نحاول تسليط الدراسة عليه في المبحث القادم على المدرسة الأكبرية للبحث وتقصي الخطّ العام الذي سار عليه محيي الدين بن العربي.

المبحث الثّاني:

الشّيخ محيي الدين بن العربي التّلميذ الرّوحي للشّيخ أبي مدين شعيب

المطلب الأوّل: المحطّات الأساسية في حياة الشّيخ محيي الدين بن العربي

المطلب الثّاني: علاقة الشّيخ محيي الدين بن العربي بالمدينية.

المطلب الثالث: جدلية الفقه والتّصوّف عند الشّيخ محيي الدين بن العربي

المطلب الأوّل: المحطّات الأساسية في حياة الشّيخ محيي الدين بن العربي[1]

الفرع الأوّل: نشأة الشّيخ محيي الدّين بن العربي

من الترجمة الأوفى لابن العربي ما ذكره عن نفسه في كتابه الفتوحات المكية وروح القدس، فالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين بن العربي هو محمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي، صاحب الفتوحات المكية، وفصوص الحِكم، وغيرها من الكتب التي أثرى بها التصوف الإسلامي.[2]

ولد محيي الدين بن العربي في مدينة مُرسية ببلاد الأندلس _إسبانيا حاليا_ يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة (560هـ/ 1164م)؛ قبل عام من وفاة الإمام عبد القادر الجيلاني (561هـ/ 1163م) قدّس الله سرّه. يكنّى بأبي عبد الله وأبي بكر ويلقّب بمحيي الدين بن العربي عند المغاربة، وبابن عربي عند المشارقة تمييزا له عن الفقيه أبو بكر بن العربي (468هـ/1070م-543هـ/ 1145م).

والده كان رجلا عسكريا على الأرجح ومن كبار أعيان الدّولة بمرسية وليس قرطبة،[3] وأمّه؛ الزّاهدة نور الأنصارية (ت: 590هـ/ 1194م)[4]، وأمّا خاله يحي بن يغان (ت:

---

(1) اعتمدنا في هذا البحث لقب 'ابن العربي' لمّا كانت هذه أصل شهرة الشّيخ محيي الدّين بن العربي عند المغاربة، وقد أسقط المشارقة الألف واللاّم عن اللقب ليصبح 'ابن عربي" تمييزا بين العلمين؛ الفقيهين؛ الصّوفيين: أبو بكر محمد بن العربي (ت: 543هـ/ 1145م) و الشيخ أبو بكر محيي الدّين بن العربي (ت: 638هـ/ 1241م).

(2) يحصي ابن الطّوّاح ما ينيف عن مائة وخمسين كتابا ألّفه ابن عربي في علوم التّصوّف، والتّفسير، والشّعر. ينظر: ابن الطّوّاح، **سبك المقال العقال لفك العقال**، ص 94.

(3) كلود عدّاس، **ابن عربي سيرته وفكره**، ترجمة: أحمد الصّادقي، المدار الإسلامي، ط 1، بيروت-لبنان، 2014 م، ص47.

(4) المرجع نفسه، ص46.

537هـ/1142م) فقد كان ملكا فزهد.[1]

عرفت حياة ابن العربي مرحلتين أساسيتين: **المرحلة الأندلسية**؛ ودامت من ولادته سنة: 560هـ/ 1165م إلى غاية خروجه من الأندلس والمغرب بلا رجعة في شعبان سنة: 598هـ/ 1202م، أمّا **المرحلة المشرقية**؛ فهي الفترة من خروجه إلى المشرق سنة: 598هـ/ 1202م إلى غاية وفاته (638هـ/ 1241م)، وكلا المرحلتين كانتا حافلتين بالأحداث والمحطات الفارقة في حياة الشّيخ الأكبر.

1-المرحلة الأندلسية: (560هـ/ 1165م - 598هـ/ 1202م)[2]

وتراوحت حياته فيها بين الترف والزهد في الدّنيا، أين بدأت الشخصيّة الصّوفية لابن العربي التّي أثّرت على الفكر الإنساني فلا يزال يلهج باسمه إلى اليوم، وهذه أبرز أحداث المرحلة:

- ولادته بمرسية ليلة الاثنين 17 رمضان 560هـ/ 1165م.[3]

- تعلّم فيها القرآن الكريم على يد الشّيخ أبي عبد الله ابن المجاهد (ت: 574هـ/

---

(1) كان ملكا على تلمسان فزهد؛ وصادف ذات يوم الشيخ أبا عبد الله التونسي الزاهد، وذهب إليه وسلّم عليه ثمّ قال له: "يا شيخ هذه الثّياب التي ألبسها -وكانت ثيابا فاخرة- تجوز الصلاة فيها؟ فضحك الشّيخ من كلامه، فسأله: ممّ تضحك؟ قال: من سُخف عقلك وجهلك بمكانك وحالك، وما لك تشبيه عندي إلا بالكلب يتمرّغ في دم الجيفة وأكل قذارتها، فإذا جاء يبول، يرفع رجله حتى لا يصيبه البول، وأنت وعاء ملئ حراما، تسأل عن الثياب؛ ومظالم العباد في عنقك وتسألني: تجوز الصلاة بهذه الثّياب أم لا!؟ فبكى خال الشيخ الأكبر، وخرج عن ملكه من حينه، ثمّ إنّه صاحب ولازم الشيخ ثلاثة أيام، ثم جاءه الشيخ وقال له: أيّها الملك انقضت أيّام الضيافة، قُم فاحتطب، وأعطاه حبلا فأخذ يذهب ويحتطب، يقطع الحطب من الغابة ويحمله على كتفه، ويذهب إلى الأسواق كي يبيعه، والناس ينظرون إليه ويبكون، وصار على هذه الحالة إلى أن مات". ينظر: الملا نور الدين عبد الرّحمن بن أحمد الجامي، **نفحات الأنس من حضرات القدس**، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج2، ص 735.

(2) ينظر: كلود عدّاس، **ابن عربي سيرته وفكره**، المرجع السّابق، ص 446-451.

(3) المرجع نفسه، ص 446.

1179م)، والشّيخ أبي عبد الله محمّد الخيّاط (ت: 616هـ/ 1219م).[1]

– التقى بأبي الوليد ابن رشد قاضي قرطبة –كان من أصدقاء والده– في إشبيلية سنة 575هـ؛ لمّا كان صبيّا في بدايات زهده، وحضر مراسم دفنه بقرطبة.[2]

– انتقل مع أسرته إلى إشبيلية سنة (568هـ/ 1170م)؛ واستقرّ بها الشيخ الأكبر بسبب وظيفة أبيه بإشبيلية، وبقي فيها وفي نواحيها مدة عشرين عاما، أين تلقى فيها مجموعة من العلوم إضافة إلى علم القراءات والفقه والحديث واللغة والنّحو.[3]

– اشتغل بالكتابة ثمّ الجنديّة لفائدة الأمير أبي بكر بن يوسُف بن عبد المؤمن.

– دخل حياة التّصوّف بالخلوة والانقطاع، والمجاهدات؛ كاعتكافه مدّة شهر بمسجد ابن جرّاد بمدينة إشبيلية سنة 586هـ/ 1190م مع شيخه أحمد السّلاوي (صحب وتتلمذ على أبي مدين ثماني عشرة سنة)، وغادر حياة التّرف واللهو –أيّام جاهليتي كما يصفها– وهو لم يجاوز العشرين من عمره، وكان ذلك سنة 580هـ/ 1184م.[4]

– حدثت له واقعة رؤيا جميع الأنبياء، ولقاؤه بالشّيخ موسى السّدراني تلميذ أبي مدين وواحد من الأبدال السّبعة.[5]

– تتلمذه على أغلب شيوخ الأندلس:

منهم؛ عبد الله الحجري، عبد الله التادلي، وعبد الجليل بن موسى، عبد الرحمن السّهيليّ، وأبو بكر بن حسن، وابن جمارة، وابن العاص الباجي، وابن الخرّاط الإشبيلي، وابن

---

(1) ينظر: أبو بكر محيي الدّين بن عربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السّابق، ج 2، ص 628.

(2) كلود عدّاس، **ابن عربي سيرته وفكره**، المرجع السابق، ص 446.

(3) المرجع نفسه، ص 446.

(4) المرجع نفسه، ص 446.

(5) المرجع نفسه، ص 446.

زرقون، وابن الشّرّاط، وغيرهم، وتتلمذ على يد تلاميذ أبي مدين؛ أبو يعقوب الكومي، وأحمد السّلوي، والموروي، وعبد العزيز المهدوي، وأيوب الفهري، وابن سيدبونه، والكناني [1]

– انتقل ما بين العديد من المدن الأندلسية؛ إشبيلية، وقرطبة، ومدينة الزّهراء، ومرشانة الزّيتون، والجزيرة الخضراء، ورندة، وغرناطة. وشذونة، وروطة، ومرسية، وببلاد المغرب؛ زار سبتة، وفاس، ومراكش، وسلا وإيجسيل وقصر كتامة وتلمسان وبجاية والقيروان.[2]

– بدأ بالتأليف والكتابة في الفقه والتّصوّف، أشهر مؤلّفاته في هذه المرحلة؛ مواقع النّجوم، ومشاهد الأسرار، والتدبيرات الإلهية وغيرها.[3]

2- المرحلة المشرقية: (598هـ/ 1202م - (638هـ/ 1241م)[4]

وكان أبرز أحداثها:

– بدأت هذه المرحلة سنة (598هـ/ 1200م)، حيث طوّف بكلّ من: القاهرة، والإسكندرية، والمدينة المنوّرة، ومكة، والخليل، والقدس، وبغداد، والموصل، ودمشق؛ أين توفي سنة (636هـ/1238م) 638هـ/1240م ودفن بها،[5] كان كثير الترحال والسفر فـ"المكان الذي لا يؤنّث لا يعوّل عليه"[6].

---

(1) كلود عدّاس، **ابن عربي سيرته وفكره**، المرجع السابق، ص 447-448.

(2) المرجع نفسه، ص 446-451.

(3) المرجع نفسه، ص 447-449.

(4) المرجع نفسه، ص 451-459.

(5) ابن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 96.

(6) أي المكان الذي لا يصبح مكانة لا يعوّل عليه، وبالتالي كلما ارتحل إلى مكان لم يجد هذا المكان بمثابة المكانة الروحية التي يطمح إليها، كان يرتحل إلى مكان آخر، حتى يتلقى علوم القوم ويتشرّبها ذوقا وعرفانا وشهودا، وذلك دأب الكبار في

– في سنة 598هـ/ 1202م زار كل من: القاهرة والتقى بمحمّد الخياط، وزار قبر سيدنا إبراهيم الخليل، والقدس وصلىّ بالمسجد الأقصى، وزار قبر الرّسول ﷺ بالمدينة المنوّرة، وزار مكّة.[1]

– لبس الخرقة الصّوفية من يونس بن يحي الهاشمي، ولبس الخرقة الخضرية من عليّ بن الجامي تلميذ قضيب البان.[2]

– التقى كلًّا من الأعلام والشّيوخ: موسى القرطبي محدّث الحرم ومسعود الحبشي، والشّيخ أوحد الدين كرماني، وأبي شجاع بن رستم إمام مقام إبراهيم، المؤرّخ ابن الدّبيثي، والجغرافي القزويني، والملك السلجوقي كيكاؤوس.[3]

– ألّف الفتوحات المكيّة، وروح القدس، وترجمان الأشواق، كتاب تاج المسائل، كتاب الجلالة، كتاب الهو، كتاب الألف، وكتاب الميم، تاج الرّسائل، كتاب التّنزّلات، كتاب الخرقة، ورسالة الأنوار، كتاب العظمة، كتاب الأمر المحكم، وكتاب العقد، وكتاب النّقباء، وكتاب المقنع، وكتاب اليقين، وكتاب منزل المنازل القهوانية، وكتاب الجواب المستقيم عمّا سأل عنه التّرمذي الحكيم، وكتاب التّجليّات، وشرح كتاب التّجليات، وكتاب اصطلاحات الصوفية، وكتاب مقصد الأسماء، وكتاب فصوص الحكم، وغيرها.[4]

مجاهدة مع النفس وفي مجاهدة مع العلم حتى الممات. وضمن سياق آخر؛ فالمرأة لها مكانة في كتابات الشيخ الأكبر سواء في الفتوحات أو الفصوص، من خلال ارتباطها بالوجود الإنساني، كما له حديث عن الكعبة وتأنيثها حتّى أنّه شبّهها بالمرأة، إضافة إلى إيلائه الاحترام الكبير لشيخات صوفيات درس عندهن. ينظر: محيي الدين بن العربي، **رسالة الذي لايعوّل عليه**، دار الكرامة، الشّارقة–الإمارات، 2017 م، ص 49.

(1) كلود عدّاس، **ابن عربي: سيرته وفكره**، المرجع السّابق، ص 451.

(2) المرجع نفسه، ص 452.

(3) المرجع نفسه، ص 455.

(4) المرجع نفسه، ص 452–459.

– قام بدراسة صحيح مسلم مع أبي الحسن بن علي البجائي.[1]

– كان كثير الزّيجات فأوّل زواج له كان ببجاية ثمّ تزوّج في مكّة من فاطمة بنت يونس، ابنة أمير الحرمين، وفي دمشق من ابنة قاضي قضاة دمشق آل زنكي، وفي قونية من والدة ربيبه صدر الدّين القونويّ.[2]

هذه أهم المحطّات والأحداث التي مرّ بها الشّيخ الأكبر، بدأها من الأندلس وطوّف البلاد الإسلامية حاضرة حاضرة إلى أن توفّاه الله بدمشق الشّام، وقد عرفت حياته بكثير من الإثارة والتّميز التي صنعت منه عالما ومفكّرا وفقيها ومحدّثا وفيلسوفا ومتصوّفا من كبار القوم، فكان له ذلك الشأن العظيم والمكانة الرّفيعة في التّاريخ الإسلامي والإنساني.

الفرع الثّاني: مؤلّفات وشيوخ محيي الدّين بن العربي

1- شيوخه

جلس الشّيخ الأكبر لأزيد من مائة وخمسين شيخا وعالما ذكرهم الشّيخ الأكبر في الفتوحات المكية ومنهم:

أبو الحجاج الشّبربليّ، وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي الفخّار/ القلفاظ، وابن طريف، وعبد الله الحجريّ (ت: 591هـ/ 1194م)، وابن الصّائغ السَبتيّ (ت: 600هـ/ 1203م)، وأبو الصّبر أيوب الفهريّ (ت: 609هـ/ 1212م)، وأبو القاسم عبد الرحمن غالب الشراط الأنصاريّ القرطبيّ (ت: 586هـ/ 1190م)، وأبو بكر محمّد بن خلف بن صاف اللّخميّ (ت: 585هـ/ 1189م)، والقاضي أبي محمّد عبد الله التّادليّ (ت: 597هـ/ 1200م)، والقاضي أبي بكر محمّد بن أحمد بن جمرة المرسي (ت: 599هـ/ 1202م)، والشّيخ أبو زيد عبد الرّحمن السهيليّ

(1) كلود عدّاس، **ابن عربي: سيرته وفكره**، المرجع السّابق، ص 454.

(2) محمّد حلمي عبد الوهّاب، **من ابن مسرّة إلى ابن عربي –التصوف الأندلسي؛ أصوله وامتداداته–**، كتاب مرقون.

(ت: 581هـ/ 1185م)، والشّيخ عبد الحقّ الإشبيليّ (ت: 581هـ/ 1185م)، والقاضي ابن زرقون الأنصاريّ (ت: 586هـ/ 1190م).[1]

2- مؤلّفات الشّيخ محيي الدين بن العربي

رحلة التّأليف أنتج فيها ما يزيد عن مائة وخمسين مؤلّفا ما بين كتاب ورسالة وإجازة، فكان غزير التّأليف ذا قلم سيّال، ومن أشهر مؤلّفاته:

* **الفتوحات المكيّة:** وتعدّ الفتوحات المكّية "أعظم موسوعة في التصوف في اللغة العربية"[2]، وقد ضمّنها مذهبه في وحدة الوجود، استغرقت من حياته ثلاثين عاما، حيث بدأ تأليفها بمكة سنة (599هـ/1201م)، وأتمّها في صورتها النّهائية في دمشق سنة (629هـ/1231م)،

* **فصوص الحكم:** صاغ مذهبه في وحدة الوجود بشكل مكثّف في كتابه فصوص الحِكم، "مع صغر حجمه [فهو] خلاصة مركزة لأمهات تلك المعاني"[3]، هذا الكتاب الذي تمّ تكفير ابن العربي بسببه من قبل العديد من الفقهاء.

* **روح القدس في مناصحة النّفس:** التي أهداها إلى شيخه عبد العزيز المهدوي التونسي، وقد ألّف الكتاب في إحدى عشر يوما؛ وفي سفر.

* **في التفسير:** إلى جانب الفتوحات المكّيّة التي فقد ألّف الشيخ الأكبر ثلاثة كتب، وكان أكبرها مكونا من أربع وستّين مجلّدا، انتهى فيه إلى بدايات سورة الكهف، وهذه الكتب الثلاثة للأسف في التفسير لم تصلنا.

---

(1) ينظر: محيي الدين بن عربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السّابق، ج1، ص 425، 649.

(2) وهو ما أشار إليه أبو الوفا عفيفي في مقدّمة تحقيقه لكتاب فصوص الحكم. ينظر: محيي الدين بن عربي، **فصوص الحكم**، ت: أبو العلا عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1980م، ص 7-8.

(3) محيي الدين بن عربي، **فصوص الحكم**، المصدر السّابق، ص 21.

* **في علم الحديث:** ألّف فيه اثني عشرة كتابا، وهذا ليس غريبا على الشيخ الأكبر الذي كان متمكّنا في العلوم الشرعية، كما كان موسوعة في العلوم الذوقية والعرفانية.[1]

* **في الشّعر:** كما أنّ له ما لا يعدّ من الشّعر؛ أكثر وأغزر الشعراء في تاريخ الإسلام قاطبة، فبحسب عبد الباقي مفتاح فإنّ شعره يزيد عن "**خمسين ألف بيت، وفي الفتوحات وحدها نحو سبعة آلاف ومائة بيت**"[2]، بالإضافة إلى عديد الدّواوين كديوان ترجمان الأشواق، ثمّ إنّه في أخريات حياته جمع كل أشعاره في (ديوان المعارف الإلهية واللّطائف الروحانية في بعض ما لنا من النّظم).

إضافة إلى تآليف أخرى نذكر منها:

ترجمان الأشواق، كتاب تاج المسائل، كتاب الجلالة، كتاب الهو، كتاب الألف، وكتاب الميم، تاج الرّسائل، كتاب التّنزّلات، كتاب الخرقة، ورسالة الأنوار، كتاب العظمة، كتاب الأمر المحكم، وكتاب العقد، وكتاب النّقباء، وكتاب المقنع، وكتاب اليقين، وكتاب منزل المنازل القهوانية، وكتاب الجواب المستقيم عمّا سأل عنه التّرمذي الحكيم، وكتاب التّجليّات، وشرح كتاب التّجليات، وكتاب اصطلاحات الصوفية، وكتاب مقصد الأسماء، وكتاب فصوص الحكم، وغيرها.[3]

المطلب الثّاني: علاقة الشّيخ محيي الدين بن العربي بالمدينية

لا يفتأ الشّيخ الأكبر لفت انتباهنا في كلّ مرّة والتّأكيد على سنده ومنهله في التّصوّف

---

(1) محمّد حلمي عبد الوهّاب، **من ابن مسرّة إلى ابن عربي –التصوف الأندلسي؛ أصوله وامتداداته–**، كتاب مرقون.

(2) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت–لبنان، 2011م، ص 37–38.

(3) كلود عدّاس، **ابن عربي: سيرته وفكره**، المرجع السّابق، ص 446–456.

فيقول: "**ومن شيوخنا أبو مدين رحمه الله، وكان يعرف في العالم العلوي بأبي النّجا، وبه يسمونه الروحانيون، وكان يقول رضي الله عنه: سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك، ومن أجل هذا كنّا نقول فيه إنّه أحد الإمامين**"[1].

الفرع الأوّل: اللّقاء الرّوحي

رغم أنّه لم يجلس بين يديه ولم يلتق بأبي مدين لقاء جسديا،[2] وإنما كان اللقاء روحيا كما يروي في رسالة القدس التي ألّفها في حوالي (600هـ/1202م): "**قعدت بعد صلاة المغرب بمنزلي بإشبيلية في حياة أبي مدين وتمنّيت أن لو اجتمعت به، والشيخ في ذلك الزمان ببجاية ... دخل علي: أبو عمران الصدراني فسلّم ... وقلت من أين؟ قال صلّيت معه هذا المغرب، فردّ وجهه إليّ وقال: إن محمد بن العربي بإشبيلية خطر له كذا وكذا، فسر إليه السّاعة وأخبره عنّي بكذا وكذا، وذكر لي من رغبتي في لقاء الشيخ، وقال لي: يقول لك: أمّا الاجتماع بالأرواح فقد صحّ، وأمّا الاجتماع بالأجسام في هذه الدّار فقد أبى الله ذلك فسكّن خاطرك، والموعد بيني وبينك عند الله في مستقرّ رحمته**"[3].

فقد كانت هذه الصّلة الروحية عبارة عن رياضة وتربية امتدّت من سنة 575هـ/ 1177م) إلى 589هـ/ 1192م)، فكان العام (575هـ/ 1177م) بداية سلوك ابن العربي طريق القوم،[4] وفي عالم الصوفية فهذا اللقاء ممكن الحدوث، رغم تباعد المكان والزّمان وهو ما يعرف "بالطّي"، فكلّما سمت الرّوح كان لها القدرة على خرق العادة، وهو ما اختصّ

---

(1) محيي ابن عربي، **الفتوحات المكيّة**، المصدر السّابق، ج1، ص 184.

(2) يعدّ شيوخ ابن العربي تلاميذا لأبي مدين وأشهرهم: أبو يعقوب يوسف الكومي، وأبو محمد المورويّ، وأحمد السَّلاوي، وموسى بن عمران السدراني، وأبو إسحاق القرطبي. ينظر: محمد العبدريّ البلنسيّ، **الرحلة المغربية**، تحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 1، الجزائر، 2007 م، ص 28.

(3) محيي الدين بن عربي، **رسالة روح القدس في محاسبة النفس**، ت: بدوي طه علام، مطبعة عالم الفكر، القاهرة، ط1، 1409هـ/1989م، ص 125.

(4) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 195.

به أولياء الله، ونجد دلائل على ذلك من القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، كمثل إحضار عرش ملكة سبأ أمام النبيّ سليمان عليه السّلام، وتوجيه عمر بن الخطّاب لسارية رضي الله عنهما.

رغم ذلك يشكّك العديد من الباحثين في انتماء الشّيخ الأكبر للمدينية على اعتبار عدم حدوث اللّقاء البدني بين القطبين،[1] إضافة إلى أن تركيز ابن العربي كان مهتما بالجانب النظري، فأبو مدين كان تركيزه على الجانب العملي المبسّط في تربية المريدين القائم على تهذيب السّلوك والتّربية الأخلاقية، في مقابل النّظريات الصوفية الأكبرية، فهل يكفي ذلك لنفي الانتماء والحكم بالفرادة والتّمايز بين التّجربتين؟ أم أنّ هناك روافد مدينية نهل منها الشيخ؟

ومن نافلة القول فابن العربي رغم هذا الانتساب للمدينية إلاّ أنّنا نجد اختلافا وتمايزا بينهما، فالشّيخ الأكبر قد اهتمّ بالجانب النّظري (التّأليف) على التّطبيقي (التعليم والتربية)، فله "مالا يحصى من التّواليف كلّها في علم القوم، وشعره كثير في كلّ الفنون، تواليفه تنيف عن المائة وخمسين تأليفا"[2].

الفرع الثّاني: شيوخ ابن العربي؛ تلاميذ الشّيخ أبي مدين شعيب

---

(1) في عالم المتصوّفة لا يهمّ اللّقاء البدني حتّى يحصل التّلمّذ، فالعبرة بلقاء الأرواح ولو كان الفارق الزّمني قرون عديدة، وقد تمّت الإشارة إلى تحقيق في قضية اللقاء في الفصل الأوّل وعلى أساسها اعتمدنا سنة (589هـ/1191م) تاريخا لوفاة القطب أبي مدين، وهو المرجّح عند الباحث عبد الباقي مفتاح أخذا برواية ابن العربي حين مرّ على قبره متّجها إلى تونس سنة 590هـ/1192م. ينظر: عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشّيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 189.

(2) من تآليفه ما ذكره ابن الطّوّاح وهي: رسالة القدس؛ الفتح المكي؛ في ثلاثين مجلّدا، وفصوص الحكم، ومواقع النّجوم، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح خلع النّعلين لابن قسّي، وكتاب العنقاء، والعديد من الأشعار والرّسائل. ينظر: عبد الواحد بن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 94.

في ختام كتاب كلود عداس؛ **ابن عربي سيرته وفكره**، نجد ثمانية من شيوخ ابن عربي هم تلاميذ لأبي مدين، وهم القنوات الرئيسية التي نفذ منها فكر أبي مدين لابن عربي.[1]

1 – الشيخ يوسف الكومي:

قال عنه ابن العربي: "وكان من صدقي في صحبته؛ أنّني أتمناه بالليل، لمسألةٍ تخطر، فأراه أمامي، فأسأله، ويجيبني، ثم ينصرف، فأخبره بذلك بكرة، ويتّفق لي معه هذا بالنهار في منزلي، إن اشتهيته. ومناقبه وكراماته وإشاراته أكثر من أن تحصى، فلنضرب عنها في هذه الرسالة صفحا ....وربّى وأدّب، فنِعْم المؤدّب، ونِعْم المربّي، ... وكنتُ إذا قعدتُ بين يديه –وبين يدي غيره من شيوخنا– أُرْعِدُ مثل الورقة في يوم الرّيح الشّديدة، ويتعثّر نطقي، وتتخدّر جوارحي، فيؤنسني، ويطمع أن يبسطني، فلا يزيدني ذلك إلّا مهابة وجلالا"[2].

2 – الشيخ عبد الله المؤرُورِي (458هـ/ 1065م):

هو سعيد بن عمر بن عبد النور، المورواري، أبو عثمان، من أهل قرطبة، رحل حاجًا، وكان في وقته فريد النّسّاك وبقية الصّالحين بقرطبة؛ إماما بالمسجد المنسوب إلى ابن غالب بمدينة الشرقية، وكان ابن جهور يزوره تبرّكا برؤيته وتعرّضا لدعوته، وربّما وجّهه رسولا في بعض المصالح الدّينية والدّنيوية، وحضر جنازته ودفنه في الحضير المنسوب إلى ابن وضّاح بربض شبلار، سنة: 458هـ/ 1065م.[3]

شيخ ابن العربي، وخادم الشَّيخ أبي مدين، لم من المقامات ما أبهر به "رأيت شيخنا

---

(1) كلود عدّاس، **ابن عربي: سيرته وفكره**، المرجع السّابق، ص 462.

(2) محيي الدين بن عربي، **روح القدس في مناصحة النّفس**، المصدر السابق، ص285–287.

(3) ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1989 م، ج4، ص81.

أبا عبد الله المورويّ في وسط ذلك المقام، والمقام يدور عليه كدوران الرُّحى على قطبها، وهو ثابت لا يتزلزل"[1]، وكان يقصد مقاد التّوكّل.

3 – الشّيخ أحمد السّلاوي (ت: ؟):

صحب أبا مدين شعيب البجائيّ ثمانية عشرة عامًا، وكان "كثير العبادة والاجتهاد، بتُّ معه شهرًا كاملًا بمسجد ابن جراد .... شديد البكاء إذا بكى، آخذ الدّموع – إذا سقطت من عينيه على الأرض – فأمسح بها على وجهي، فأجد فيها رائحة مسك، فاتّخذتها طيبا، يشمّها النّاس عليّ، فيقولون لي: "هذا مسك عظيم، أين اشتريته؟"[2].

4 – الشّيخ موسى السّدراني (ت: ؟):

موسى أبي عمران السدراني، أحد الأبدال وصاحب أبي مدين، الذي "وُشِيَ به إلى السلطان، فقُيّد بالحديد وسير به، فلمَّا قرُب من فاس، أُلقي في بعض المنازل، فلما أصبح الصبح، فُتح الباب، فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحًا، وما وجدوا أحدا. دخل فاس، وقصد دار أبي مدين شعيب، فخرج إليه الشيخ بنفسه، وقال له: "من أنت"؟ قال: "أنا موسى"، قال له الشيخ: "وأنا شُعيب، أدخل ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿25﴾﴾ [القصص: 25]"[3].

وهو الذي يلقّب بالطّيّار وقد كان يختلف إلى أبي مدين، فجاءه يوما ومعه آخر، فقال له: "كنت مع صاحبي هذا ببغداد، وصلينا الصبح، ثم أتينا مكَّة، فوجدناهم يصلون تلك الصلاة، فأعدناها معهم، وأقمنا بمكّة حتى صلينا الظّهر، ثم أتينا بيت المقدس، فوجدناهم يصلّون الظّهر الذي صلّينا بمكّة، فقال لي صاحبي: نعيد معهم، فقلت له: لا نعيد ... فقلت له: الصواب معك؛ لأنّكما صليتما ببغداد علم اليقين، وصلاتكما بمكّة عين اليقين،

(1) محيي الدين بن عربي، **روح القدس في مناصحة النفس**، المصدر السّابق، ص316–318.
(2) المصدر نفسه، ص349.
(3) المصدر نفسه، ص 349.

وصلاتكما لعين اليقين أولى من علم اليقين. وأيضا؛ فإنّ مكّة أمّ القرى، وما صلّي في الأمهات لا يعاد في البنات. فقنعا بذلك وانصرفا"[1].

5 – الشّيخ أبو الصّبر أيّوب الفهري (ت: 609هـ/ 1212م):

وأبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري (ت. 609هـ/ 1212م) كان من أهل الورع والزهد تلقى عليه ابن العربي الحديث، وكان صديقا لأبي يعزى وتلميذه أبي مدين، كما كان تلميذًا لابن غالب القُرشيّ (ت. 568هـ/ 1172م)؛ تلميذ ابن العَرِيف الصنهاجيّ. وقد استشهد الفهْريّ في معركة العُقاب.[2]

6 – الشّيخ عبد العزيز المهدوي (ت: 628هـ/ 1232م):

من أعلام التّصوّف في تونس والغرب الإسلامي، حضر الشّيخ محيي الدين بن العربي مجالسه عند حلوله بتونس وتتلمذ على يديه، وأقام في ضيافته تسعة أشهر، قبل أن يتوجه إلى المشرق، وقد أثنى عليه في الفتوحات المكية، وفي رسالة روح القدس،[3] وقد أهداه إياها قائلا له فيها: "وأبشّرك يا وليي، رضي الله عنك، أنّي جرّبت إخواني في هذه المطاعم، من باب المغرب إلى باب مكّة، فما دخل بطني أخلص من طعامك، كنت أجد له ما لا يمكن وصفه"[4].

ومن المعلوم أنّ الشيخ عبد العزيز المهدويّ أحد تلامذة أبي مدين شعيب

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم التميميّ الفاسي، **المستفاد في مناقب العبَّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمّد الشّريف، مطبعة طوب بريس، ط 1، المغرب، 2002 م.، ج2، ص45.

(2) ينظر: ابن الزّيات، **التشوّف إلى رجال التصوّف**، المصدر السّابق، ص228. محيي الدين بن عربي، **الفتوحات المكيّة**، المصدر السّابق، ج3، ص 334.

(3) عبد الواحد بن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 51.

(4) محيي الدين بن عربي، **روح القدس في مناصحة النّفس**، المصدر السّابق، ص 279.

المشهورين بإفريقية، وقد ارتحل إلى بجاية مع أصحابه السّتّة للأخذ عن الشّيخ أبي مدين،[1] كما كانت بينهما عديد الرسائل في التربية والسلوك، اتخذ من مقامًا له ومنقطعًا في القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ، توفّي سنة: (628هـ/ 1232م) ودفن بجبل المرسى.[2]

7 – الشّيخ ابن خميس الكناني (590هـ/ 1194م):

هو عبد الله بن خميس الكناني جرائحي مدينة تونس، كان من سادات القوم مرابط بمرسى عبدون، لقيته وزرته حافيا على قدمي، ألهمه الله بقدومي إليه قبل وصولي عنده فاستقبلني مستبشرا وهو يتوكّأ على عصا لكبر سنّه، جلست معه أيّاما نتذاكر في المعارف، وكان يجتمع بالخضر الذي لقيته أنا أيضا بتونس.[3]

توفي ابن خميس في نفس السّنة 590هـ/ 1194م التي صحبه فيها الشّيخ وكان قد سلك الطريق عند أبي مدين الذي كان يحبّه ويجلّه حتّى قال مرّة معبّرا عن شوقه له: "لو كان لي جناح لطرت إلى الجرّاح".[4]

8 – الشّيخ ابن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1228م):

كما ذكرنا في الفصل الثّالث أنّ الشيخ ابن سيدبونه من أشهر تلاميذ أبي مدين وخلفائه على الأندلس، حيث جلس يتعلّم على يديه بمرسية كما أشار إلى ذلك في الفتوحات

---

(1) أصحاب الشّيخ المهدوي السّتّة وتلامذة الشّيخ أبي مدين بإفريقية هم: الشّيخ أبو علي النّفطي، والدّهماني، وطاهر المزوغي، وابن معواس، ومحفوظ بن جعفر، وسالم التباسي. ينظر: ابن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 52–53.

(2) ينظر: ابن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 51. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزّركشيّ، **تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م، ص14، 42.

(3) محيي الدّين ابن عربي، **روح القدس في مناصحة النفس**، المصدر السّابق، ص 125.

(4) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 195.

المكية، وسمّاه الأوحدي الإمام أبي أحمد بن سيدبون (ت: 624هـ/ 1228م)، وفي آخر زيارة زاره فيها ذكر أنّه بكى لفراقه وخرج معه إلى الطّريق مشيّعا.[1]

المطلب الثالث: جدلية الفقه والتّصوّف عند الشّيخ محيي الدين بن العربي

يمكن القول أنّ ابن العربي أسّس لمدرسة صوفية فريدة من نوعها جعلت منها عابرة للزّمان والمكان، فقد طرق مباحث القوم بنظرة جديدة أبهرت جميع من تناول فكره بالتنقيب والدراسة، وإلى "مصطلحات الفصوص خاصة يرجع فضل تأثير ابن عربي فيمن توسم خطاه في الطريق الصوفي"[2].

والحال هذه؛ فالمدرسة الأكبرية لم تتشكّل معالمها إلّا بعد استقرار ابن العربي بالمشرق والانتهاء من مؤلَّف الفتوحات المكّيّة، هل يمكن القول أنّ الشّيخ الأكبر كان فقيها صوفيا أم صوفيا فقيها؟

الفرع الأوّل: موقف ابن العربي من الفقه والتّصوّف

لم يفت الشيخ الأكبر أن ينتقد في مؤلّفاته علماء الظاهر من الفقهاء وغيرهم، كان يقول عن الفقهاء: "إنّهم من الأولياء بمنزلة الفراعنة من النبيّين"[3]، فهل كان ابن العربي والصوفية عموما ناكرين للشريعة مخالفين للأحكام الفقهية؟

في هذا الشأن يقول الجنيد: "فكلّ صوفيّ فقيه ولا عكس"[4]، فلا يمكن للصّوفي أن يرتقي مراتب التّصوّف دون التّمكّن من علم الفقه، وليس من الضّروري أن يبلغ الفقيه مقام التّصوّف، الذي هو في مقابل مقام الإحسان؛ إذ أنّ طريق "الوصول إلى علم القوم؛ الإيمان

---

(1) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 194.

(2) محيي الدين ابن عربي، **فصوص الحكم**، المصدر السّابق، ص 8.

(3) محيي الدّين ابن عربي، **روح القدس**، المصدر السّابق، ص 90.

(4) طه عبد الباقي سرور، **التّصوّف الإسلامي والإمام الشّعراني**، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 2017م، ص 69.

والتّقوى"[1]، فكيف لنا أن نوفّق بين هذه الأقوال؟ إذا ما أدركنا أنّ كبار المتصوّفة يؤكّدون في أكثر من مناسبة "أنّ علم التّصوّف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسّنّة"[2].

بالعودة إلى نشأة ابن العربي فإنّنا نجده ابن عائلة مازجت بين السّياسة والصّلاح فأبوه كان نافذا في الدّولة، وأمّه تقية ورعة، وعمّه كان متصوّفا، وخاله كان ملكا فزهد، "وما من شكّ في أنّ ابن العربي لم يكن قليل الاكتراث بالدروس المذهبية التي لم يَألُ معلّموه جهدا في تلقينه إياها"[3]، فكان بارعا في كلّ هذه الفنون والعلوم، ولم يلج علم التّصوّف إلّا بعد أن نهل منها ليفتح الله عليه مفاتيح علوم القوم، وورث مقامات الأولياء وأقطاب زمانه.

ثمّ إنّه في كلّ مرّة يؤكّد على أصول ومنطلقات فكره ومذهبه، ومكانة القرآن الكريم في بيان معالم الطريق الصّحيح والمنهج القويم لطالب العلم المبتدئ، فهو المصدر الأوّل المعتمد عنده قبل إعمال العقل في المسائل العارضة، فقبل ذلك _حسب ابن العربي_ "يأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز، وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة؛ إذ هو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلا يحتاج المتأهب مع ثبوت هذا الأصل إلى أدلة العقول، إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلّق، والاتّفاق عليه عنده محقّق"[4].

في مقابل ذلك كان ابن العربي ينتقد مدّعي التّصوف، فيقول _رضي الله عنه_ في مستهلّ رسالته؛ روح القدس في مناصحة النفس، والّتي أهداها إلى شيخه عبد العزيز المهدوي، "فالزّمان يا ولّيّي اليوم شديد، شيطانه مريد، وجباره عتيد، علماء سوء يطلبون ما

---

(1) محيي الدّين ابن عربي، **الفتوحات المكيّة**، المصدر السّابق، ج3، ص 236.

(2) عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى**، المصدر السّابق، ج1، ص 4.

(3) كلود عداس، **ابن عربي: سيرته وفكره**، المرجع السابق، ص 1288.

(4) محيي الدّين ابن عربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السّابق، ج1، ص 155.

يأخذون، وأمراء جور يحكمون بما لا يعلمون، وصوفية صوف بأغراض الدنيا موشّحون، عظمت الدّنيا في قلوبهم، فلا يرون فوقها مطلبا، وصغر الحقّ في نفوسهم، لا علم بالحرام يردّهم ولا زهد عن الرغبة في الدّنيا يصدّهم"[1]، يقول ذلك رضي الله عنه عن صوفية عصره، فما بالك بما نعيشه اليوم من دروشة وخرافات المبتدعة.

فابن العربي ومن نحا نحوه، يصرّح في غير ما مواربة ولا خداع بتمسكهم بالعقيدة السنّيّة، القائمة أصولها على الكتاب والسّنّة فلا يضع قبلهما عقلا ولا اجتهاداً "ففي القرآن العزيز للعاقل عنه غنية كبيرة، ولصاحب الداء العضال دواء وشفاء"[2]، وما عرف عنهم سوى ممارسة العبادات الإسلاميّة، والحرص على أداء الفرائض والنّوافل طوال حياتهم، على أساس أنّ "من رمى ميزان الشّريعة من يده لحظة هلك"[3].

وعليه فابن العربي كما أنكر على دراويش التّصوف وما ابتدعوه، انتقد علماء الظاهر الذين أنكروا على المتصوّفة أحوالهم وأذواقهم، لهذا فإنّه يقصد بالعبارة السّابقة مدّعي الفقه والتّصوّف معا، وهو بذلك لا يقصد الصّوفيّ الحقيقي الذي لا يتجاوز الشريعة، كما لا يمكن للفقيه الحقيقي أن ينكر على المتصوّفة مقاماتهم.

الفرع الثاني: الشّيخ الأكبر في ميزان القدح والمنافحة.

هناك تياران يتنازعان ابن العربي في تاريخ الإسلام؛ التّيار الذي يقول بكفره وزندقته ويحكم عليه بالخروج عن دائرة الإسلام، ويمثّل هذا التّيار البِقاعي الذي ألّف "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، وتيار نافح عن الشيخ الأكبر ودافع عنه، وليس أدلّ على ذلك؛ من

---

(1) محمود محمود الغراب، **شرح رسالة روح القدس في محاسبة النّفس**، مطبعة نظر، ط2، 1985م، ص 13-14.

(2) محيي الدين بن عربي، **الفتوحات المكية**، المصدر السّابق، ج1، ص 161.

(3) جودة محمّد أبو اليزيد مهدي، **بحار الولاية المحمّدية في مناقب كبار الصّوفيّة**، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، القاهرة-مصر، 1418هـ/1998م، ص 17.

شروحات كتاب "فصوص الحكم" وحدها التي قاربت مائة وخمسين شرحا، وقد أشار عبد الوهاب الشعراني _الإمام الرّبّاني_ إلى أن ابن عربي قد دُسَّ عليه في كتبه ما لم يقل به، ولعلّ الطّبعة الأخيرة من الفتوحات المكّية، التي حُقِّقت وطبعت في مصر عن طريق عبد العزيز المنصور، تؤكّد ذلك فمن قبيل ما أُخِذَ على الشيخ الأكبر أنّه قال في أحد كتبه:

عَقد الخَلائقُ في الإله عَقائدًا *** وأنا اعْتقدتُ جميع ما اعتقدُوه[1]

بينما هذا البيت الشعري في الطبعة التي حُقِّقت وكانت بخط الشيخ الأكبر نفسه يأتي البيت على النّحو التالي:

عَقدَ الخَلائقُ في الإله عقائدا *** وأنا شَهدْتُ جميع ما اعْتقدُوه[2]

وشتّان بين اعْتقَدتُ وشَهِدتُ.

ومن أقوال الشّيخ الأكبر التي جلبت عليه الإنكار:

يا مَنْ يراني ولا أراه **** كم ذا أراه ولا يراني

وقد أعاب عليه واستنكره بعض إخوانه لما سمع البيت؛ كيف له أن يقول: أنّه لا يراه وأنت تعلم أنّه يراك؟ فأجابه:

يا مَنْ يراني مجرمًا *** ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعمًا *** ولا يراني لائذا

وهو ما حذا بالمؤرّخ والفقيه المَقَّري أن يعقّب بأنّ "من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ — رحمه الله — مؤوَّل وأنه لا يقصد ظاهره؛ وإنما له مَحَامِل تليق به؛ فأحسِن الظن به، بل

(1) محيي الدّين بن عربي، **فصوص الحكم**، المصدر السّابق، ص 263.

(2) محيي الدّين بن عربي، **الفتوحات المكّيّة**، المصدر السّابق، ج 1، ص 175.

اعتقد، وللناس في هذا المعنى كلام كثير، والتسليم أولى، والله بكلام أوليائه أعلم"[1].

وما يُؤاخَذ على ابن العربي في نظرياته حول الإشراق ووحدة الوجود هو الابتعاد عن القرآن والسّنّة في جعلها منبعا ومنطلقا لأفكاره، وأنّ منبعها فلسفات يونانية ومعتقدات صابئة لديانات شركية وثنية.

لكن لو كلّف قادحوه النّظر إلى كلامه الموثّق دون المزوّر، فإنّهم يجدونه يصرّح بعكس ما يرمونه به، فضمن هذا السّياق يقول: "يا نفسي، وعزة من جبلك على المخالفة، وجعلك محلاّ لكلّ وصف مذموم، لا تركتك على دعواك، حتى أعرض أحوالك كلّها على كتاب الله، وسنّة رسوله، فإن وافقت ذلك، ولم أجد خللا؛ سلّمت لك فيما أردتِ" ((2)).

وبحسب الشيخ عبد الباقي مفتاح فإنّ سبب الفهم السيّء للشّيخ الأكبر هي تلك الدراسات المناقضة لما يطرحه في كتاباته، وذكر أسباب سوء الفهم وهي:[3]

1 – ضعف الكفاءة العلمية الذي يبدي نصوص الشّيخ وكأنّها مجموعات من الألغاز المطلسمة التي لا جدوى من محاولة حلذها، أو الأقوال المتناقضة والشّاطحة.

2 – ضعف الكفاءة الرّوحية الذي يتسبّب في سوء الفهم للمفاهيم الأكبرية نتيجة ضيق الإدراك أحيانا، أو عدم القدرة عن التّجرّد من الأفكار والمواقف المسبقة، وحتّى سوء النّيّة والتّعصّب أحيانا أخرى. ... لاعلاقة له بالفرع .. من الأفضل التوزيع على الفروع

ولا يتوقف الشّيخ عند ذكر أسباب سوء الفهم فقط بل إنّه يضع مفاتيح لفهم الشّيخ

---

(1) أحمد بن محمّد المقّري التلمساني، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، المصدر السّابق، ص 168.

(2) محيي الدين بن عربي، **روح القدس في مناصحة النفس**، المصدر السابق، ص 217. وكان ذلك في سياق نقده الذاتي لمتصوفة عصره؛ فقد أكّد على ضرورة الجمع بين الشريعة والحقيقة. ينظر: محمد حلمي عبد الوهاب، **التصوف المغربي وامتداداته المشرقية؛ الإمداد والاستمداد**، المصدر السابق، ص 32.

(3) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 45.

الأكبر؛ فعن معالجة ضعف الكفاءة العلمية لا بدّ من: (التمكن من اللغة العربية، والرسوخ الممتاز في القرآن العظيم حفظا وفهما، ومعرفة الأحاديث النّبوية والأحكام الشّرعية، ومعرفة العلوم الفلكية القديمة الأصلية، ومعرفة علم أعداد الحروف ورموزها وما يناسبها من بروج ومنازل فلكية، والاطلاع على الفلسفة).[1]

وعن معالجة ضعف الكفاءة الروحية على الدارس أن يتوفّر على شروط حتّى يتسنّى له فهم تراث ابن العربي، فلا بدّ من اكتساب أدوات الفهم، وإخلاص القصد في كشف الحق، والاعتقاد بأنّ كلامه من معين أهل القرآن والسّنّة النّبويّة فلا تناقض فيه، كما يجب معرفة المقام الذي ينطق منه، ووجوب الالتزام بالأدب معه.[2]

في الأحوال كلّها ومن خلال الأثر الكبير للشّيخ الأكبر على السّاحة الفكرية الإسلامية، وما خلّفته آثاره من صدى سواء بين المنافحين أم القادحين، لا يمكن القطع ببطلان ما أتى به والدّراسات حوله لا يتوقّف عدّادها، بل وإنّه كلّما صدرت دراسة إلاّ وكانت مصحّحة لما كان قبلها من تضليل لآرائه وتلبيس عليه.

خلاصة:

في سياق ما سبق عرضه فإنّ الشّيخ الأكبر قد طرح منهجا جديدا لعلم التّصوّف، بثّ نظرياته وأفكاره مجتزأة في كتب متفرقة، تجعل خواص الصوفية وحدهم المؤهّلون لجمعها وإدراك معانيها، فيعتقد أنّ الشيخ الأكبر قام بالتمويه على أفكاره حتى لا يتعرض لمضايقات الفقهاء، فقد اتهم بالكفر والزندقة بسبب كتابه فصوص الحكم، الذي صاغ فيه مذهبه في وحدة الوجود، بعد أن ألمح إليها في الفتوحات المكية.

---

(1) عبد الباقي مفتاح، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، المرجع السّابق، ص 45-55.

(2) المرجع نفسه، ص 55-61.

وفي ذات السّياق يمكن القول أنّ المدرسة الأكبريّة لا تزال قائمة إلى اليوم، على امتداد مشارق الأرض ومغاربها، ما بين عرب ومسلمين وعجم وغيرهم من معتنقي الدّيانات وناكريها، ولا أدلّ على ذلك تلك الدراسات[1] المستفيضة المستمرة ما بين القادحين والمادحين لتراثه وفكره. فقد اعتمد تجزئة أفكاره وبثّها بين ثنايا مؤلّفاته، والتّمويه بإعطاء الفكرة أكثر من معنى ومحمل، فلا يمكن فهم الفكرة العامة إلاّ بعد دراسة تلك المؤلّفات مجتمعة، تجنّبا لشرّ التّعرّض للإنكار ومضايقة السّلطة والفقهاء والمتصوّفة.

وفي الأحوال كلها فإنّه من الضّرورة بمكان القول:

- يعدُّ ابن العربي أحد تلامذة أبي مدين غير المباشرين، ومن تلاميذه المباشرين روحيا، ممّا يثبت الصّلة بين بن العربي والمدرسة المدينية؛ وهو ما نلمسه في كثير من آرائه وأفكاره.
- تعدُّ التجربة الصوفية الأكبرية مزيج من تراث صوفي أندلسي ومغربي بتوابل مشرقية، أضف إلى ذلك الفتوحات التي فتح الله عليه وما خلّفه من أفكار جديدة تضاهي كلّ أساطين التّصوّف قديما وحديثا.
- يصعب علينا إصدار الأحكام النّهائية على التجربة الأكبرية والشّيخ الأكبر محيي الدين بن عربيا؛ وذلك لسعة تآليفه الهائلة والتي من الصّعوبة بمكان أن يحاط بها من طرفنا، لأسباب عديدة.
- حجم الدراسات حول ابن العربي سيرة ومسيرة وإنتاجا الضخم، والمتنوّع بين القادحين والمنافحين عنه، يزيد من صعوبة الإحاطة بها والتوفيق بين كلا الاتّجاهين، على النّقيض ممّا هو مأمول له من تيسير وتبسيط مفاهيم الشّيخ الأكبر.

(1) إذا ما أحصينا هذه الدراسات فإنّنا نجد ما يزيد عن 150 دراسة وبحث حول كتاب فصوص الحكم فقط.

خاتمة

خاتمة

حاولنا؛ عبر محطات البحث وفصوله الأربعة، أن نتلمّس تلك العلاقة الجدلية ما بين الفقه والتّصوّف في التّجربة الصّوفية المدينية بالمغرب الأوسط –مرحلة التأسيس– خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وفي المرحلة التي تلتها والمتمثلة في امتدادات المدرسة المدينية؛ الأندلسية، والمغربية، والإفريقية، والمشرقية، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، واقتصرنا في هذه الدّراسة على أربعة أمثلة عن تلك الامتدادات.

وعليه؛ كانت النّتائج التالية:

أوّلا: إنّ ظهور التّصوف كان بالتّزامن مع ظهور الفقه الإسلامي، إذ أنّ بواكير التّصوّف بزغت مع الزّهد والتّقشف والتّقلّل من الدّنيا، وهي السّمات الغالبة على متصوّفة القرنين الثاني والثّالث الهجريين/ السّابع والثّامن الميلاديين، وهي المرحلة التّي عرف فيها الفقه الإسلامي ظهور المذاهب الفقهية الأربعة التي لا تختلف مع التّصوّف في مسألة الزّهد والتقشّف.

ثانيا: إنّ التداخل بين الفقه والتّصوف، لم يكن يعرف فرقا بينهما في القرون الأولى من ظهور الإسلام، وهو الظاهر بوضوح في كثير من كتب علماء الصوفية، في سياق بيانهم لحقيقة التّصوّف، فالجنيد (ت: 298هـ/ 910م) يبيّن أنّ أصل التّصوف وقاعدته الصّلبة هي أصول الدين الإسلامي، فهو **مقيّد بأصول الكتاب والسنة** وعليه؛ فعلم التّصوّف يهدف إلى إصلاح الباطن وتطهيره، انطلاقا من ظاهر الفقه الذي يعنى بضبط الجوارح وما فرض على المسلم من العبادات.

ثالثا: انتبه صوفية الغرب الإسلامي إلى النّهج القائم على ثنائية الظاهر والباطن، الذي تمكّنوا من خلاله تجاوز التّصادم ما بين أطراف الفعاليات الاجتماعية؛ **السلطة** –

والفقهاء – العامّة، وهو ما يدلّ على **دهاء** الصّوفيّة الذي أمكنهم من عدم الوقوع في ذلك الصراع، الذي أودى بالعديد منهم إلى الإنكار والإشخاص والتنكيل والقتل.

رابعا: وجود علاقة تكاملية تناسبية بين **الفقه والتّصوف،** فهما وجهان لعملة واحدة؛ وجهها الأول الفقه والثاني التصوف، فإذا تمزقت ذهبا معا، وإذا حُفظت بقيا معا، فهما **شقيقان في الدّلالة على أحكام الله تعالى وحقوقه.**

خامسا: إذا كان الفقه قاعدة أساسية للتّصوّف، فالتّصوّف يعدّ الملاذ الأخير للفقيه؛ ويكمن ذلك في كون التّصوف غير مختص بمذهب فقهي معين لا نقول التّصوّف الحنبلي أو التّصوّف المالكي، بل نقول تصوّفاً إسلاميًّا، على عكس الفقه فإنّنا نقول فقه حنبليّ وفقه مالكيّ، وقد جمع التّصوّف ما بين الفقيه عبد القادر الجيلاني الحنبلي (ت: 561هـ/ 1165م)، وبين الفقيه أبي مدين شعيب المالكي (ت: 589هـ/ 1193م).

سادسا: استطاع التّصوّف المغربي والأندلسي أن يصنع لنفسه هوية خاصة به، وهو ما يمكن ملاحظته في طبيعة التّصوف الجنيدي المعتمد عند المغاربة، البعيد عن الشطح والمسائل الفلسفية المتأثرة بالتراث اليوناني، واعتبارا لذلك فالتّصوّف المغربي أخذ من التّصوف المشرقي ما يوافق المرجعية **الأشعرية عقائديا، والمالكية مذهبيا،** إضافة **للجنيدية سلوكا وتصوّفا.**

سابعا: تبنّت المدرسة المدينية المرجعية الفكرية المغاربية بين الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية، والتّصوّف الجنيدي، في أعقاب احتضان السّاكنة لها، واعتمادها في الغالب الأعمّ لدى الفعاليات الاجتماعية (السلطة–الفقهاء–والسّاكنة) منذ الفتح الإسلامي إلى يوم النّاس هذا، إذ نلتمس نوعًا من الوحدة لم تتوفّر لبلدان المشرق المعاصرة التي لا زال الصراع محتدما بين مختلف فرق السّنّة والشّيعة.

ثامنا: آلت للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) مشيخة التّصوّف بالغرب الإسلامي، خلال النّصف الثّاني من القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي، فكان

شيخا في الفقه وقطبا في التّصوّف، بعد أن اجتمعت عنده ثلاث روافد نهل منها: بدءا **بالرّافد المغربي**: من طريق الشيخ أبي يعزى يلنور (ت: 572هـ/ 1177م)، والشّيخ أبي عبد الله الدّقاق (ت: أواخر ق6هـ/ 12م). ثمّ **الرّافد القادري**: حين التقى أبو مدين (ت: 589هـ/ 1193م) بالشيخ عبد القادر الجيلاني (561هـ/ 1165م) في رحلة الحجّ، وألبسه خرقة التّصوّف بمكّة المكرّمة، ثمّ **الرّافد الغزالي**: من طريق الشّيخ أبي الحسن علي بن حرزهم (ت: 569هـ/ 1173م).

تاسعا: يعدّ كتاب **الإحياء للغزالي** المرجع الأساسيّ للمدرسة المدينية، وقد بلغ ذروة انتشاره ببجاية، نظرا لبساطة تقديمه للتّصوّف أو لنقل مزاوجته بين الفقه والتّصوّف، خاصّة بإعطائه تفسيرا جديدا للعبادات والنّظر في أسرارها وحكمها، هذا ما جعل طلبة العلم يقبلون عليه.

عاشرا: إضافة لكتاب الإحياء فإنّ كتاب الرّسالة للقشيري والرّعاية للمحاسبي وسنن التّرمذي والفقه المالكي، تعدّ أهم مناهل أبي مدين شعيب الفقهية والصّوفية، والتي أسهمت في بناء المدرسة المدينية الجامعة بين كلّ المدارس المغربية والأندلسية والمشرقية، فكان مجتمع بلاد الغرب الإسلامي أمام رؤية جديدة للتّصوّف، تتّسم بالبساطة والعموم، متمسّكة بالكتاب والسنّة، وبعيدا عن الإشراق والحلول.

أحد عشر: كانت المدرسة المدينية جامعة بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، فأبو مدين شعيب كان ضليعا بالفقه والتّصوف، ولم نجد له إنكارا من طرف الفقهاء أو المتصوّفة، فما ورد ذكرٌ لأبي مدين إلا ونجد الإشادة والإطراء من كبار الفقهاء والمتصوّفة.

إثنا عشر: كان للمدينية امتدادات في أقطار العالم الإسلامي؛ فنجد لها امتدادات أندلسية، ومغربية، وإفريقية، ومشرقية؛ في كل من مصر والشّام واليمن والهند، أطّرها تلاميذ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) وظهرت على أيديهم الكرامات كما يذكر مترجموه،

فقد اشتهر عن الشّيخ أنّه خرّج ألف تلميذ، وقد ذكر ابن عطاء الله السّكندري أنّ له اثنا عشر ألف تلميذ ومريد.

ثلاثة عشر: يعدّ الشّيخ ابن سيدبونه أحد أشهر تلاميذ شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)، حتّى أنّه ارتقى المشيخة في حياة شيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، ولا غرابة إذًا من الكرامات والصفات التي كانت تنبع من الشيخ، أو عن الأصداء الحسنة التي قيلت في حقه، وأستاذه وشيخه أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) الذي شهد له بأحقية الشّياخة والإمامة وأجازه فيهما. وهذا الأمر يتقاطع مع عديد الحالات التي كان فيها أولياء الأندلس، الأمر الذي يجعل الطّريقة البونية أحد أهمّ الامتدادات المدينية بالأندلس، والتي سارت على النهج المديني الجامع بين الشّريعة والحقيقة.

أربعة عشر: برزت الطريقة الماجرية من رحم المدينية، وقد كان أبو محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) من بين أقرب وأشهر تلاميذ القطب أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م)، حيث فرضت الطريقة الماجرية وجودها على السّاحة الصوفية لأقطار بلاد الغرب الإسلامي قرونا عديدة، فلا يزال أثرها إلى يوم النّاس هذا، وكانت الطريقة الماجرية لا تخرج عن الجمع بين الفقه والتّصوف، بالاستناد على الكتاب والسّنة ابتداء، قبل الخوض في الأحوال والعلوم الصوفية، فلا نجد شيخا أو مريدا من هذه الطريقة إلا وكان بارعا متضلّعا في الفقه والحديث والتّفسير.

خمسة عشر: تعدّ الشاذلية امتداد مديّنيٌ على ساحة التّصوف الإسلامي، إذ نجدها حاكت المدينية في أسسها وقواعدها، تلك المحاكاة التي شكلت التمظهرات العامّة للطريقة الشاذلية، كما أنّها استوعبت المدينية وتجاوزتها إلى الانفراد والتّميز، دون الخروج عن الخطّ العام والنهج القائم على الجمع بين الفقه والتّصوف، أو ما يعرف باتجاه التّصوّف السّنّي.

ستّة عشر: يعدُّ ابن العربي أحد تلامذة أبي مدين غير المباشرين، ومن تلاميذه المباشرين روحيا، ممّا يثبت الصّلة بين بن العربي والمدرسة المدينية؛ وهو ما نلمسه في

كثير من آرائه وأفكاره، كما تعدُّ التجربة الصوفية الأكبرية مزيج من تراث صوفي أندلسي ومغربي بتوابل مشرقية، أضف إلى ذلك الفتوحات التي فتح الله عليه وما خلّفه من أفكار جديدة تضاهي كلّ أساطين التّصوّف قديما وحديثا.

سبعة عشر: من الأهمية بمكان التّأكيد على أنّ امتدادات المدرسة المدينية كان لها حضورا عبر كل أقطار العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، من خلال خطابها الصّوفي العام؛ الذي جمع بين الفقه والتّصوّف، والمحقّق للمراتب الإسلام، والإيمان والإحسان، الموصل لحقيقة التّوحيد.

ثمانية عشر: وعلى الرّغم من ذلك؛ فإنّنا نجد من ينكر على الشّيخ الأكبر ويرميه بالزّندقة والكفر، إلّا أنّنا وجدنا أنّ بعضا من التدليسات التي تعرّضت له مؤلّفات الشّيخ الأكبر، غيّرت من معاني ومحامل مقصوده، وما التحقيقات الأخيرة لمخطوطاته لأكبر دليل على حجم المغالطات التي يرميه بها أعداؤه وهو ما تمّ بيانه في البحث.

تسعة عشر: اللافت في ختام بحثنا هذا؛ أنّه يصعب علينا إصدار الأحكام النّهائية على التّجارب الصّوفية عموما، فمن الصّعوبة بمكان أن يحاط بدراستها وتفكيكها، دون التّعمّق في أحوالها وأذواقها، والاطّلاع على كنه لغتها الرّمزية وفهم معانيها الاصطلاحية، ولا يتأتّى ذلك – حسب رأينا– دون تكاثف جهود فرق بحثية تتناولها من عديد الجوانب.

عشرون: يعدّ الخطاب الفقهي والخطاب الصّوفي من بين أهمّ الفاعلين في التّاريخ الإسلامي، فهما حدّا السلطة الدينيّة التّي تقود المجتمع وتوجّهه، لما تحمله من القيم والمبادئ والمثل العليا في أحكامها وأخلاقها وسلوكها، الأمر الذي يدعونا إلى توجيه البحوث والدّراسات التّاريخية نحوهما، بحثا عن تلك المبادئ القِيَمِيَّة المغيّبة، واستعادةً للمُقَدَّس المُسْتلَب.

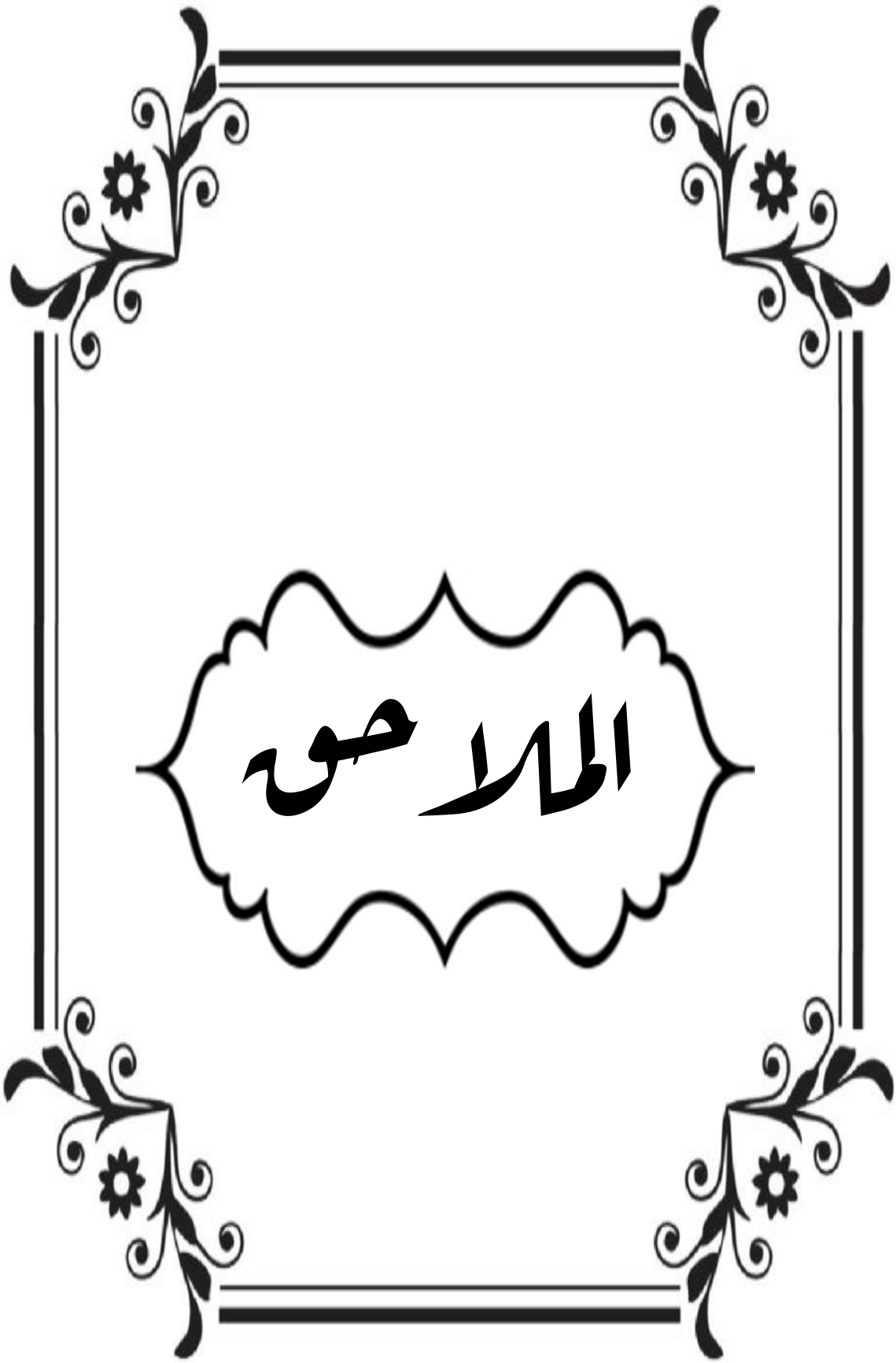
الملاحق

الملاحق

ملحق رقم: 01

تفسير أبي مدين شعيب لآية: [سورة يوسف: 24]

"قلت رأيت له كلاما على قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [سورة يوسف: 24]، يقصر عن كتبه النّضار، وتحار في معانيه القلوب والأبصار، كلام من أدرك وحقّق ووافق المفصّل لما دقق، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ [سورة يوسف: 24]، فقال رضي الله عنه: "اعلم أنّ الأنبياء عليهم السّلام منزّهون عن الفواحش، معصومون من الكبائر، وعندنا عالمان عالم الملك والإرادة، وهو المعبّر عنه بالعالم السفلي، والعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي التّرتيب ولا الزّمان ولا المكان، وإنّما هو أمر ربّاني، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿40﴾ ﴾ [سورة النحل: 40]، إذ ليس في وجوده تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان، فهذا عبارة عن العالم الملكوتي المستمر على حقيقته، وهو الأزلي الذي لا كسب فيه، وإنّما الكسب في عالم الملك والشّهادة، المضافة إليه القدرة والمصرفة المحكمة، وفيه التّرتيب والكسب والزّمان والمكان والأكوان والأحكام، فعبّر عمّا ظهر في اختراع القدرة المصرفة بالحكمة المسمّى بعالم الملك والشّهادة بالأبد، إذ في تباينهما ظهر التّرتيب؛ وشرعت الشّرائع، وخرجت لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، على هذه النّسبة من معنى العالمية اللّذين هما عالم الملك والشّهادة، وعالم الملكوت والأزل والأبد. فلا إله إلّا الله أزليّة لفراغ الخلق منها، وهي من صفة عالم الملكوت، ومحمّد رسول الله أبدية، وهي من صفة عالم الملك، فما يظهر من الكسب يعزى إلى الأزل، وما نزل مع ترتيب الأحكام بالكسب يعزى إلى الأبد، ولهذا المعنى لمّا شاهد الخضر موسى عليه السّلام الضّائع في دائرة العلم والإرادة التي هي ملكوتية، وعلم أنّه سيكون منه ما قصّ الله علينا فقتله؛ فأنكر عليه موسى عليه السّلام لأنّه حكم على الغلام بحكم عالم الملك والشّهادة،

فقال له: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿74﴾ ﴾ [سورة الكهف: 74]؛ **أي لا تقتله حتّى يبلغ الزّمن الذي يخرج فيه الفعل ويفعله، وحينئذ تعاقبه عليه بالقتل؛ فهذا حكم الشّرائع المسطورة، والأخبار المأثورة، فقال له:** ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ ﴾ [سورة الكهف: 75]، ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿76﴾ ﴾ [سورة الكهف: 76]، **وليس هذا من موسى إنكار علم، وإنّما هو إنكار اختلاف تباين الأحكام، إذ أحكام عالم الملكوت تباين أحكام عالم الملك والشّهادة، من جهة الشّرط والمشروط، لأنّ حكم عالم الملكوت لا يقام حتّى يبلغ الوقت، ويظهر مشروطه، فمن هنا كان إنكاره، وإنمّا أسّست لك هذا لأعرفّك من أين كانت همّة يوسف عليه السّلام، وهمّة زليخا، وأنّ الأنبياء عليهم السّلام إنّما نزلوا إلى الخلق من دائرة العلم والإرادة التي هي من عالم الملكوت؛ لأنّه عاين في تلك الدّائرة ملكا له، وبقي الوقت مرتبطا بعالم الملك والشّهادة، الذي لم يبلغ وقته؛ فظهر له جبريل عليه السّلام الذي هو من ظاهر الملكوت في صورة والده الذي هو من عالم الملك عاضّا على إصبعه برهانا، ليقع التّناسب بين العوالم بعضها ببعض؛ فسجن في دائرة العلم والإرادة حتّى يبلغ الوقت في عالم دائرة الملك والشّهادة، ولمّا وقع في السّجن بالأمر الإلهي في دائرة الملكوت، نسي يوسف السّجن هنا في دائرة الملك والشّهادة على مقتضى التّرتيب الحكمي، والأمر الشّرعي، وليس من شأن الأنبياء التّعرّض للبلاء، وإنّما شأنهم طلب العافية والرّضى، وهمّة زليخا إنّما كان باطنها محبّة أزلية، وظاهرها شهوانية، فانحجبت عن المحبّة الأزلية بالشّهوة الطّبيعية، ولذلك قالت:** ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿25﴾ ﴾ [سورة يوسف: 25]، **فكلاهما ظاهر وباطن، فظاهره خطاب للعزيز لأنّها من أهله، وأنّ يوسف عليه السّلام أراد بها السّوء، وباطنه في الحقيقة خطاب للحقّ، وكأنّها قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلّا أن يسجن؛ لأنّ يوسف عليه السّلام في الحقيقة من أهل الله، وهي التي أرادت به السّوء لغلبة محبّة الطّبيعة على المحبّة الأزلية، فسجن العزيز يوسف، وسجن الحقّ زليخا في سجن**

العمى، إذ حقيقة السّجن عدم التّصرّف في الأشياء، إلّا أنّه لمّا كان الأصل صحيحا في العالم الملكوتي خرج يوسف من سجن الحبس، وخرجت زليخا من سجن العمى، وعادت إلى صورتها التي رآها عليها، ووقع الاتّفاق بين دائرة العلم والإرادة، ودائرة الملك والشّهادة، ودخل بها وطلبها في نفسها فأبت، وفرّت بين يديه حتّى جذبها وقدّ القميص عليها من دبر، ونودي يا يوسف جذبة بجذبة وهرب بهرب، وتمزيق بتمزيق، وكان سبب نفورها منه أنّها رأت برهان ربّها، وهو رجوعها إلى صورتها الأولى، البصر بعد العمى والغنى بعد الفقر؛ فهوت إلى محبّة الله عزّ وجلّ عن غيره، ولم تزل كذلك حتّى نودي يا يوسف أخبرها أنّ رضا الله في رضاك، فعند ذلك سكنت وطابت نفسها، وتزوّجت وولدت اثني عشر ولدا كلّهم أنبياء مرسلون، ومن هذا المعنى يفهم ((مَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كُتِبَتْ له حَسَنَةً ...)) [صحيح البخاري: رقاق 31]"[1]

(1) عبد الواحد محمد بن الطّوّاح، **سبك المقال لفكّ العقال**، المصدر السّابق، ص 65-67.

ملحق رقم: 02

عقيدة سيدي أبي مدين الغوث[1]

1- عقيدة أبي مدين (*):

هَذِهِ عَقِيدَةٌ مُبَارَكَةٌ لِلشَّيْخِ الكَامِلِ سَيِّدِي أَبِي مَدْيَنَ رضي الله عنه وَنَفَعَنَا بِهِ:

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنِ الحَدِّ [1] والأَيْنِ وَالكَيْفِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ. المُتَكَلِّمُ بِكَلاَمٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ، صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِه قَائِمٌ بِذَاتِه لاَ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ وَلاَ عَائِدٌ إِلَيْه، وَلاَ يَحِلُّ فِي المُحْدَثَاتِ، وَلاَ يُجَانِسُ المَخْلُوقَاتِ، وَلاَ يُوصَفُ بِالحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ. تَنَزَّهَتْ[2] صِفَاتُ رَبِّنَا عَنِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُوَحِّدُكَ وَلاَ نُحَدُّكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَلاَ نُكَيِّفُكَ[3]، وَنَعْبُدُكَ وَلاَ نُشَبِّهُكَ. وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِخَلْقِكَ لَمْ يَعْرِفِ الخَالِقَ مِنَ المَخْلُوقِ.

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» [الإخلاص: 1-4] صَدَقَ اللَّهُ الَّذِي تَقَدَّسَتْ عَنْ سِمَةِ الحُدُوثِ ذَاتُهُ، وَتَنَزَّهَتْ عَنِ التَّشْبِيهِ بِصِفَةِ الجُثَثِ صِفَاتُهُ، وَشَهِدَتْ بِوَحْدَانِيَّتِه آيَاتُهُ. الأَوَّلُ الَّذِي لاَ بِدَايَةَ لأَوَّلِيَّتِه. الآخِرُ الَّذِي لاَ نِهَايَةَ لأَبَدِيَّتِه. الظَّاهِرُ الَّذِي لاَ شَكَّ فِيه. البَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ. الحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَلاَ يَفْنَى. القَادِرُ الَّذِي لاَ يَعْجِزُ وَلاَ يَعْنَى[4]. المُرِيدُ الَّذِي أَضَلَّ وَهَدَى وَأَفْقَرَ وَأَغْنَى. السَّمِيعُ الَّذِي يَسْمَعُ السِّرَّ وَالأَخْفَى. البَصِيرُ الَّذِي يُدْرِكُ دَبِيبَ النَّمْلِ عَلَى السُّفْلَى. العَالِمُ الَّذِي لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَنْسَى. المُتَكَلِّمُ الَّذِي لاَ يُشْبِهُ كَلاَمُهُ كَلاَمَ مُوسَى عليه السلام. كَلَّمَ مُوسَى بِكَلاَمِهِ القَدِيمِ. هُوَ المُنَزَّهُ عَنِ التَّأَخُّرِ

(1) ينظر: محمّد الطّاهر علاوي، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، المرجع السّابق، 112.

وَالتَّقْدِيمِ. لاَ بِصَوْتٍ يُقْرَعُ، وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَلاَ بِحُرُوفٍ تُرْجَعُ، كُلُّ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ وَالنِّدَاءِ مُحْدَثَةٌ بِالنِّهَايَةِ وَالابْتِدَاءِ. جَلَّ[1] رَبُّنَا وَعَلاَ وَتَبَارَكَ[2] وَتَعَالَى. لَهُ العَظَمَةُ وَالكِبرِيَاءُ، وَالقُدْرَةُ وَالسَّنَاءُ، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلْيَا.

حَيَاتُهُ لَيْسَتْ لَهَا بِدَايَةٌ؛ فَالبِدَايَةُ بِالعَدَمِ مَسْبُوقَةٌ. قُدْرَتُهُ لَيْسَتْ لَهَا نِهَايَةٌ؛ فَالنِّهَايَةُ بِالتَّخْصِيصِ مَلْحُوقَةٌ. إِرَادَتُهُ لَيْسَتْ بِحَادِثَةٍ؛ فَالحَوَادِثُ بِالأَضْدَادِ مَطْرُوقَةٌ. سَمْعُهُ لَيْسَ بِجَارِحَةٍ؛ فَالجَارِحَةُ مَخْرُوقَةٌ. بَصَرُهُ لَيْسَ بِحَدَقَةٍ[3]؛ فَالحَدَقَةُ مَشْقُوقَةٌ. عِلْمُهُ لَيْسَ بِكَسْبِيٍّ؛ فَالكَسْبِيُّ بِالتَّأَمُّلِ وَالاسْتِدْلاَلِ يُعْلَمُ، وَلاَ بِضَرُورِيٍّ؛ فَالضَّرُورِيُّ عَلَى الإِرَادَةِ وَالانْحِرَافِ يُلْزَمُ. كَلاَمُهُ لَيْسَ بِصَوْتٍ؛ فَالأَصْوَاتُ تُوجَدُ وَتُعْدَمُ، وَلاَ بِحَرْفٍ؛ فَالحُرُوفُ تَتَأَخَّرُ وَتَتَقَدَّمُ. جَلَّ رَبُّنَا عَنِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ وَعَنْ كُلِّ خَلْقِهِ وَعَنِ القِيَامِ بِكُنْهِهِ[4] حَقِّهِ. بَلْ هُوَ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ الدَّائِمُ الأَبَدِيُّ الَّذِي لَيْسَ لِذَاتِهِ قَدٌّ، وَلاَ لِيَدِهِ زَنْدٌ، وَلاَ لِوَجْهِهِ خَلَلٌ، وَلاَ لَهُ قَبْلٌ وَلاَ بَعْدٌ.

لَيْسَ بِجَوْهَرٍ[5]؛ فَالجَوْهَرُ بِالتَّحَيُّزِ مَعْرُوفٌ، وَلاَ بِعَرَضٍ؛ فَالعَرَضُ بِاسْتِحَالَةِ البَقَاءِ مَوْصُوفٌ، وَلاَ بِجِسْمٍ؛ فَالجِسْمُ بِالجِهَةِ مَحْفُوفٌ. فَهُوَ خَالِقُ الأَجْسَامِ وَالنُّفُوسِ، وَرَازِقُ أَهْلِ الجُودِ وَالبُؤْسِ، وَمُقَدِّرُ السُّعُودِ وَالنُّحُوسِ، وَمُدَبِّرُ الأَفْلاَكِ وَالشُّمُوسِ، هُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى، مِنْ غَيْرِ تَمَكُّنٍ وَلاَ جُلُوسٍ. لاَ العَرْشُ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ القَرَارُ، وَلاَ التَّمَكُّنُ لَهُ مِنْ جِهَةٍ، وَلاَ الاسْتِقْرَارُ. العَرْشُ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدَارٌ، وَالرَّبُّ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. العَرْشُ تُكَيِّفُهُ خَوَاطِرُ العُقُولِ، وَتَصِفُهُ بِالعَرَضِ وَالطُّولِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَحْمُولٌ، وَهُوَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ. العَرْشُ بِنَفْسِهِ هُوَ المَكَانُ، وَلَهُ جَوَانِبُ أَرْكَانٌ، وَكَانَ إِلَيْهِ وَلاَ مَكَانَ، وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. لَيْسَ لَهُ تَحْتٌ فَيُقِلَّهُ، وَلاَ فَوْقٌ فَيُظِلَّهُ، وَلاَ جَوَانِبُ فَتَعْدِلَهُ. وَلاَ خَلْفٌ فَيُسْنِدَهُ، وَلاَ أَمَامٌ فَيَحُدَّهُ. جَلَّ عَنِ التَّجْرِيدِ وَالتَّقْرِيرِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّشْبِيهِ وَالنَّظِيرِ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ» [الشورى: 9].

ملحق رقم: 04

صفحات من مخطوط الطَّبَّاق

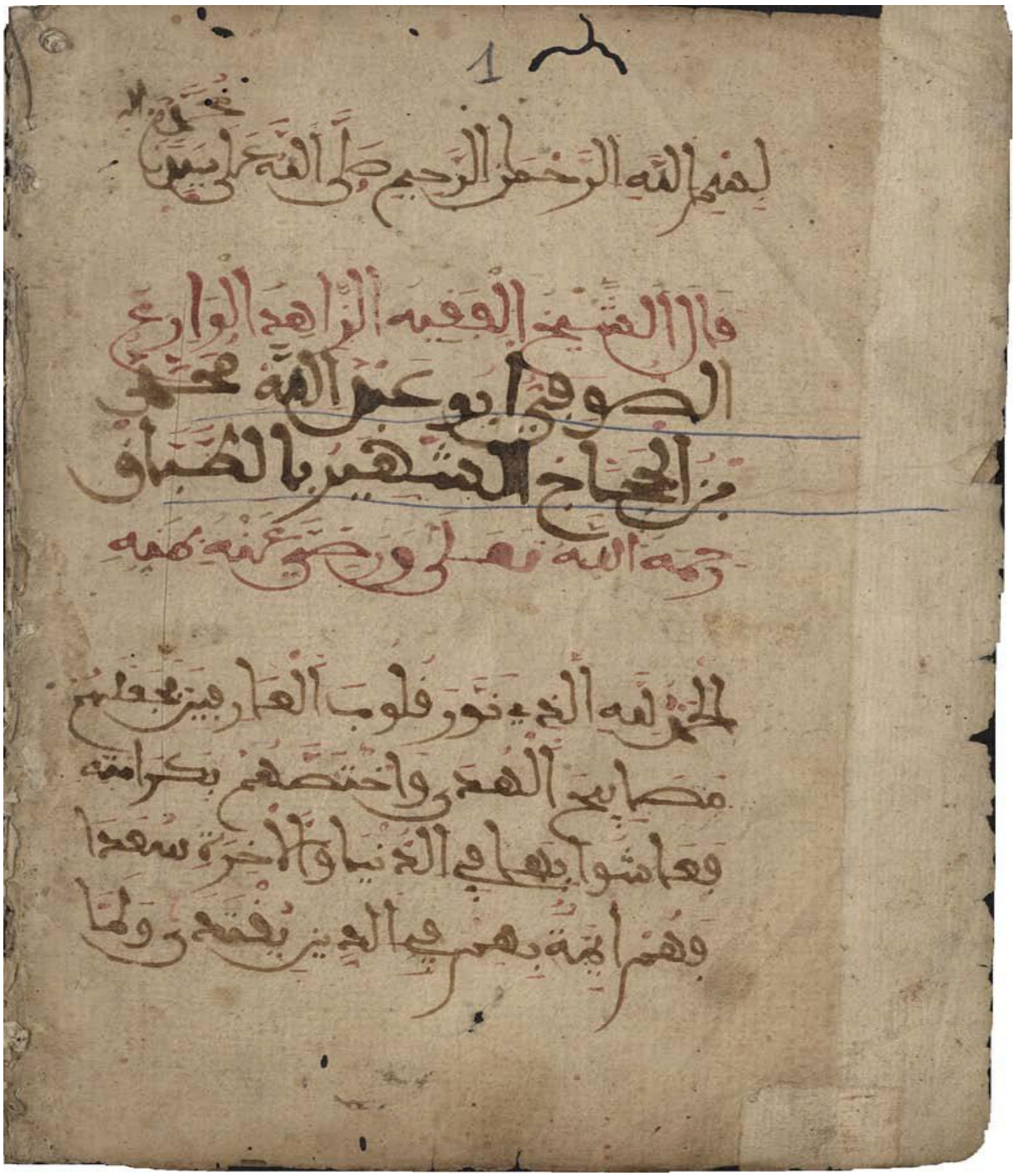

صفحة رقم: 01 من مخطوط الطّبّاق.

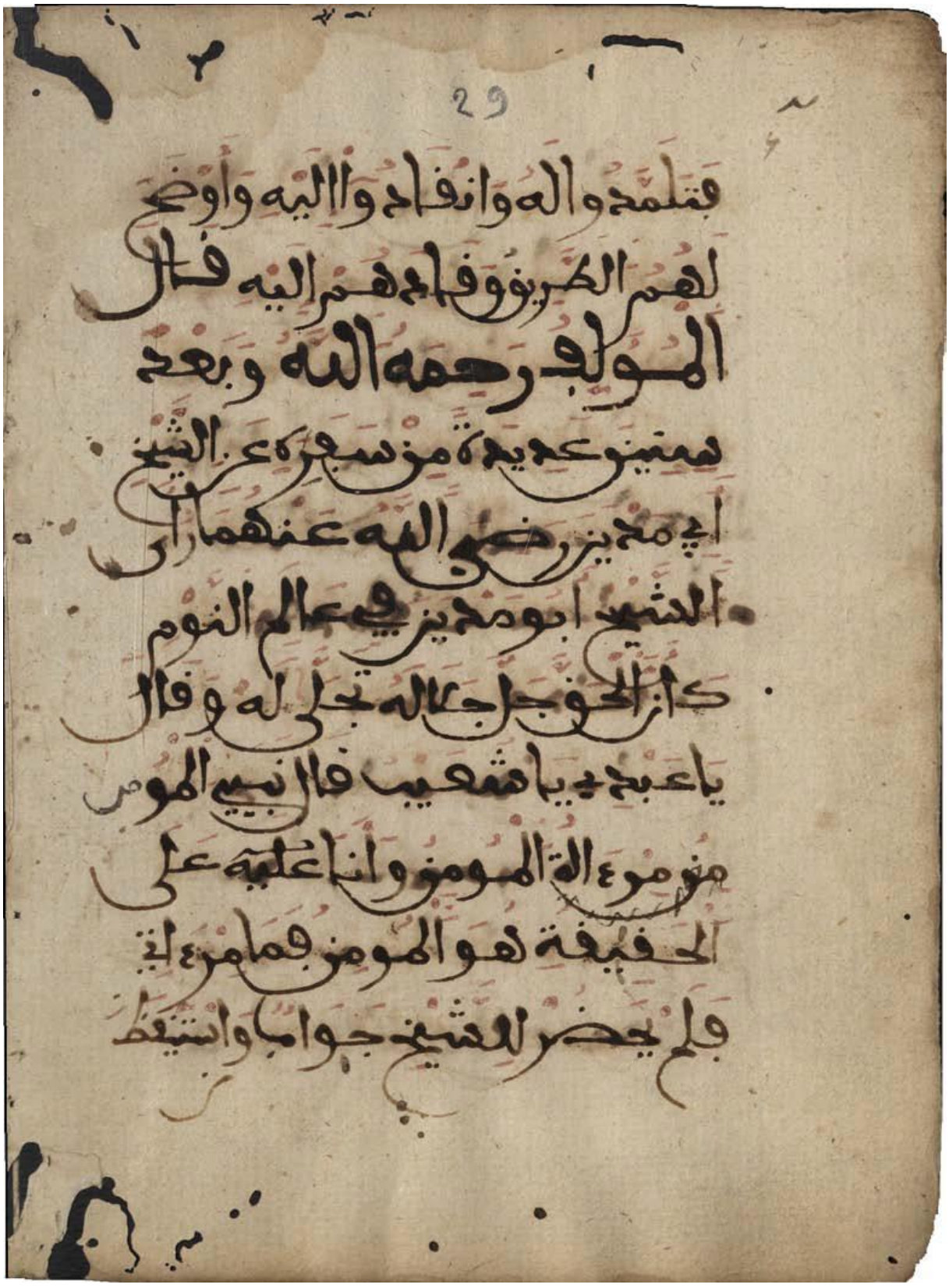

صفحة رقم: 29 من مخطوط الطّبّاق.

....

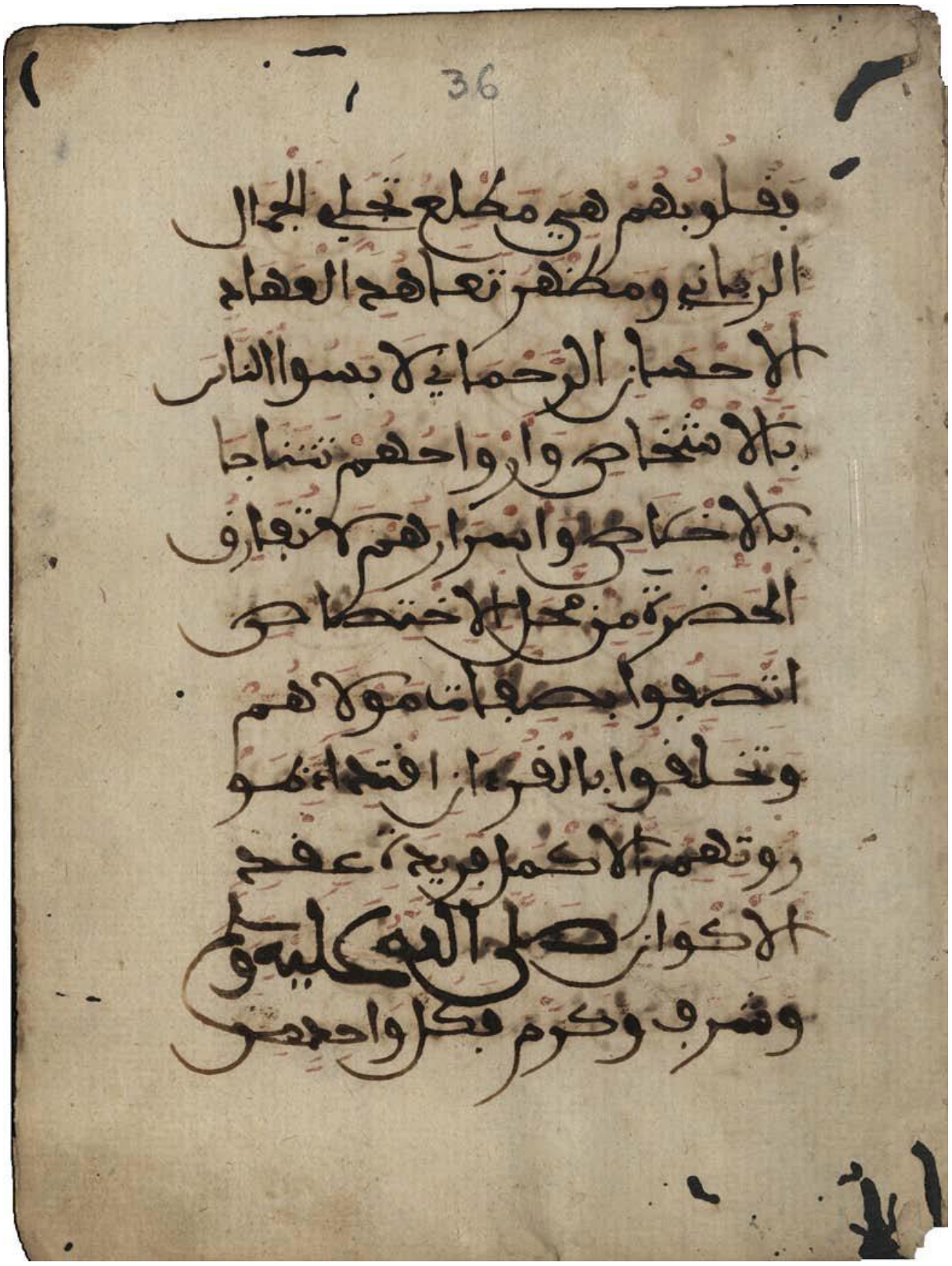

صفحة رقم: 36 من مخطوط الطّبّاق.

...

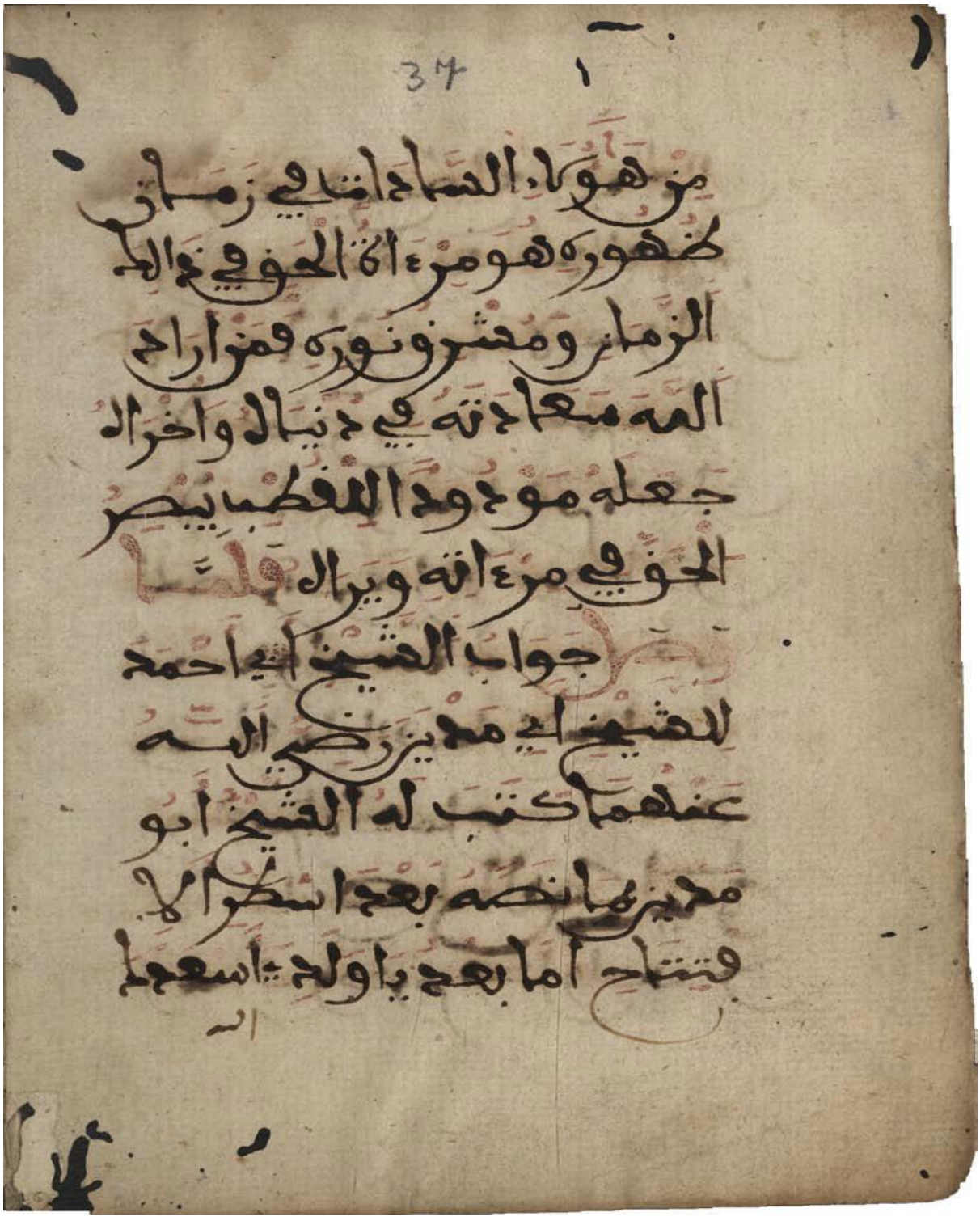

صفحة رقم: 37 من مخطوط الطّبّاق.

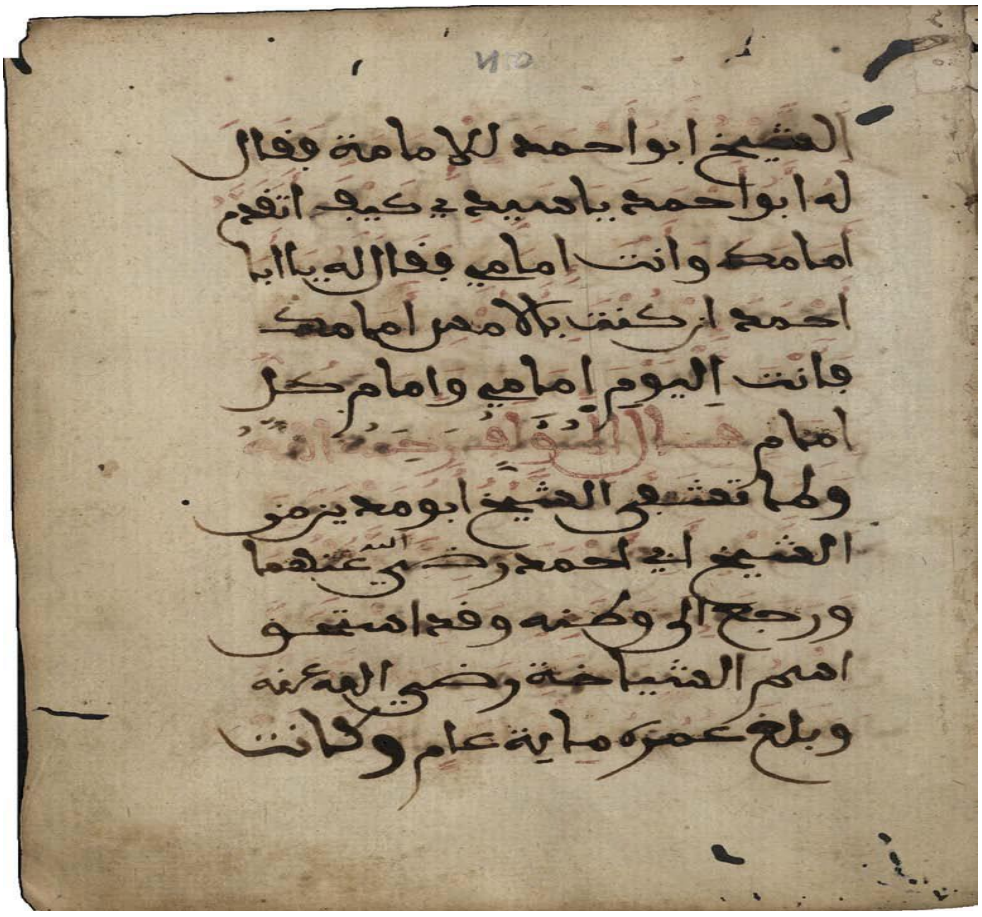

الشيخ ابو احمد للامامة فقال
له ابو احمد يا سيدي كيف اتقدم
امامك وانت امامي فقال له يا ابا
احمد اذا كنت بالامر امامك
فانت اليوم امامي وامام كل
امام
ولما توفي الشيخ ابو محمد يزمن
الشيخ ابي احمد رضي الله عنهما
ورجع الى وطنه وقد اشتهر
امر الشياخة رضي الله عنه
وبلغ عمره مائة عام وكانت

صفحة رقم: 40 من مخطوط الطّباق.

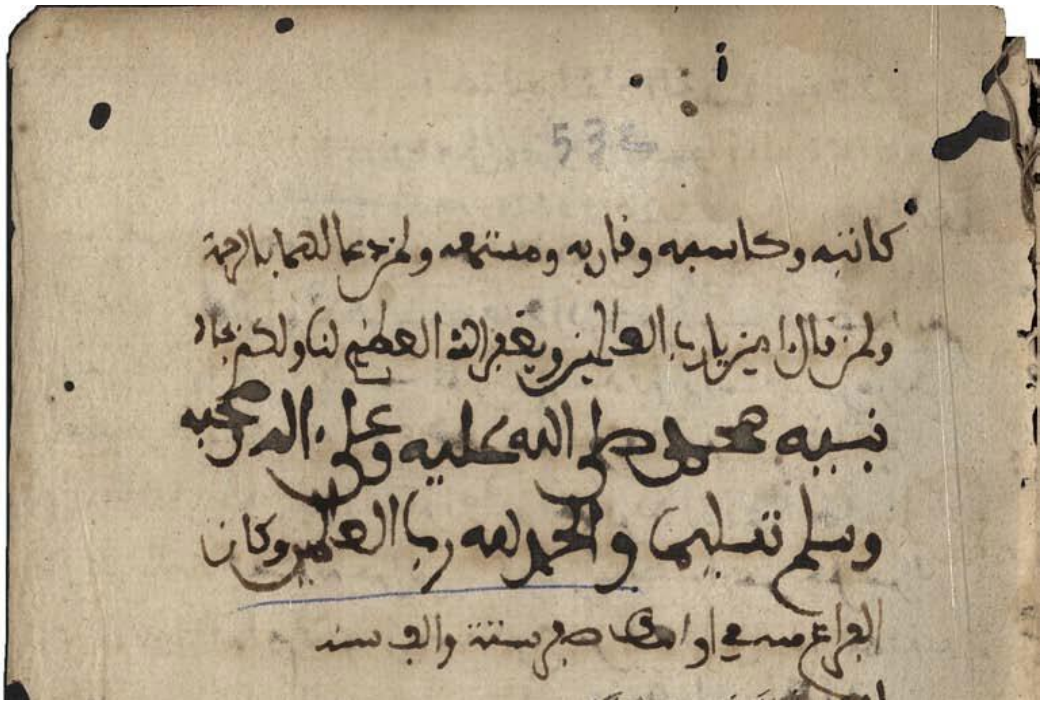

كاتبه وكاسبه وقاريه ومستمعه ولمن دعا لهما بالرحمة
ولمن قال امين يا رب العالمين وبقرابة العلم لنا ولكم يا
نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين وكان
الفراغ منه في اواخر صفر سنة والف سنة

الصفحة رقم: 532 (الأخيرة) من مخطوط الطّباق.

فهرس الآيات والأحاديث

فهرس الآيات والأحاديث

أ- فهرس الآيات

الآية: رقم الصفحة:

- قال تعالى: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿93﴾ ﴾ [يوسف: 93]. **94**
- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: 96]. **94**
- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿40﴾ ﴾ [سورة النحل: 40] **106**
- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ [سورة يوسف: 24]. **106**
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [سورة الكهف: 74]. **106**
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿75﴾ ﴾ [سورة الكهف: 75]. **106**
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿76﴾ ﴾ [سورة الكهف: 76]. **106**
- قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾ [المائدة: 97]. **150**
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [الروم: 27] **131**

- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ ﴾ [المائدة: 03] **150**
- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب: 59] **151**
- قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨ ﴾ [طه: 18] **151**
- قوله تعالى: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ ﴾ [الفتح:27] **152**
- قال تعالى: ﴿ لَا تَخَفۡ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ ﴾ [القصص: 25] **195**

ب- فهرس الأحاديث:

الحديث: **رقم الصفحة:**

- قال ﷺ: **((لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف))**" صحيح البخاري (7145). **131**
- قال النبيُّ ﷺ: ((**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**)) – متفق عليه– **132**
- قوله ﷺ: "**هذا رجل من قوم يتألّهون ويعظمون الحرمة، فابعثوا الهدي في وجهه حتّى يراه**" ––رواه الطبري– **150**
- حديث جابر رضي الله عنه قال: **((عطش النّاس يوم الحديبية والنّبيّ صلى الله عليه وسلّم بين يديه ركوة يتوضأ ...))** –رواه البخاري ومسلم– **151**
- قوله ﷺ: **((غفر الله للمحلّقين مرّتين أو ثلاثا))** –رواه الإمام أحمد– **152**

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

(حرف الألف)

- إبراهيم المزوغي 181.
- إبراهيم بن الحسن بن محمد القصري 45.
- ابن أشرس 31، 37.
- ابن الخرّاط الإشبيلي 187.
- ابن الدّبيثي 189.
- ابن الشّرّاط 188.
- ابن الصّائغ السَبتيّ 190.
- ابن العاص الباجي 187.
- ابن زرقون الأنصاريّ 191.
- ابن سبعين 108، 111.
- ابن غالب القُرشيّ 197.
- ابن فروخ الفاسي 31.
- ابن محمد الأصيلي 35.
- أبو إسحاق إبراهيم الزواوي 62، 180.
- أبو الحجاج الشّبربليّ 190.
- أبو الحسن النوري 80، 95.
- أبو الحسن عليّ الحطّاب 182.
- أبو الحسن عليّ القرجاني 180.
- أبو الحسن علي بن محمد القرشي 80، 99.
- أبو الحسن محمد الفرّاء الحنبلي 97.

- أبو الحكم ابن برجان 93.
- أبو الخطاب محفوظ الكلوذاتي الحنبلي 97.
- أبو الخير المباحي 59، 94.
- أبو الذّبيح إسماعيل الهنتاتي 181.
- أبو الرّبيع سليمان بن ينصارن 157.
- أبو الصّبر أيوب الفهريّ 190.
- أبو العبّاس أحمد الغرابلي 180.
- أبو العباس أحمد الماسي 157.
- أبو العبّاس أحمد المزّوغي 182.
- أبو العبّاس أحمد اليمني 181.
- أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم 155.
- أبو الفرج الطرسوسي 80، 99.
- أبو الفضل قاسم الدّباغ 181.
- أبو الفضل قاسم القرطبي 181.
- أبو النّجاة سالم الدّقي 181.
- أبو الوفا علي بن عقيل الحنبلي 97.
- أبو بكر الحدّاد الآسفي 157.
- أبو بكر الشّبلي 80، 99.
- أبو بكر اللباد 38.
- أبو بكر بن حسن 187.
- أبو تمّام غالب 137، 138.
- أبو حفص عمر الجاسوس 180.

- أبو حفص عمر السّبتي 180.
- أبو حنيفة 22.
- أبو زكرياء يحي الزواوي الحسني 108.
- أبو زكرياء يحي بن محمّد 155.
- أبو زيّان الدّاودي 181.
- أبو زيد عبد الرحمن السهيلي 190.
- أبو سالم علي المزاتي 181.
- أبو سعد بن جعثل بن هاعان 42.
- أبو سعيد الباجي 60، 118، 119، 167.
- أبو سعيد المبارك المخرمي 80، 97، 99.

(حرف الباء)

- باحمران 115، 117، 119
- بامعبد 115، 117، 119
- بكر بن سوادة 42

(حرف التاء)

- تاج الدين الصنهاجي 180

(حرف الجيم)

- جاك كريت 41.
- جوهر العدني 115، 117، 119.

(حرف الحاء)

- الحاج سليمان بن أبي بكر بن أبي عمر المسيلي 61، 157.

- حبان بن أبي جبلة 41
- حجاج بن أبي يعقوب السري 45
- حسين السّيجومي 182

(حرف الخاء)

- خلف المسروقي 181

(حرف الراء)

- رباح بن يزيد اللخمي 43
- صدر الدّين القونويّ 190

(حرف السين)

- سعدون الأسمر 181
- سعيد أحنصال 159
- سعيد العمودي 117، 119.

(حرف الضاد)

- ضياء الدين الجويني 83

(حرف الطاء)

- طلق بن حبان 42

(حرف العين)

- عبد الرحيم بن عبد ربه المريعي 44
- عبد القادر أوردو 97

(حرف الفاء)

- فاطمة بنت يونس 190

(حرف الميم)

- محمّد الريغي 180
- موسى السّدراني 117، 187، 196.

(حرف النون)

- نور الأنصارية 185

(حرف الياء)

- يحي بن يغان 185
- يعقوب المنصور الموحّدي 72
- يوسف بن تاشفين 47، 54، 85.
- يونس بن يحي الهاشمي 189

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

(حرف الألف)

- أقبو 158.
- إيروجان 74، 94.

(حرف الباء)

- بلنسية 126، 129، 130، 133.
- بني سميح 163.

(حرف الجيم)

- جرجان 83
- الجزيرة الخضراء 69، 188.

(حرف الحاء)

- حميثرة 165.

(حرف الخاء)

- خراسان 83.
- خزاعة 125.
- الخليل 188.

(حرف الراء)

- رندة 188.
- روطة 188.

(حرف الزاي)

- زناتة 125، 128.

(حرف السين)

- سبتة 68، 69، 91، 188.

(حرف الشين)

- شاذلة 120، 164.
- شذونة 188.
- شريش 69.

(حرف الطاء)

- طنجة 68، 178.

(حرف العين)

- العراق 22، 35، 38، 167.
- عيذاب 165.

(حرف الغين)

- غمّارة 163.

(حرف القاف)

- القاهرة 188، 189.
- القدس 83، 188، 189.
- قرطبة 35، 185، 187، 188، 195.
- قطنيانة 66.
- قونية 190.
- القيروان 36، 38، 41، 45، 50، 52، 188.

(حرف الكاف)

- كتامة 168، 188.

(حرف الميم)

- مدينة الزهراء 188.
- المدينة المنورة 188، 189.
- مراكش 69، 70، 72، 188.
- مرسى عبدون 198.
- مرسية 185، 186، 178، 198.
- مرشانة الزيتون 188.
- الموصل 188.

(حرف النون)

- نيسابور 83، 84، 85.

(حرف الهاء)

- الهند 115، 118، 119.

(حرف الياء)

- يسّر 72.
- اليمن 114، 118، 119.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الحديث الشّريف.**

(حرف الألف)

- ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 4، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1989 م.
- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، ج 3، دار التراث العربي، لبنان، 1963 م.
- الأحمد نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 م.
- إدريس الهادي روجي، **الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م)**، ترجمة: حمادي الساحلي، 2 ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م.
- إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، ج2، ت: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م.
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشّريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج 1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة– مصر، 2002 م.
- أدونيس علي أحمد سعيد إسبر، **الصوفية والسوريالية**، دار الساقي، ط1، لبنان، 1992 م.

- الأزدي أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، **بهجة النّفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري**، ج1، مطبعة الصدق الخيرية، ط1، مصر، 1348هـ.
- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج 10، دار الفكر، لبروت–لبنان، 1997 م.
- الإفراني محمد الصغير، **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، تحقيق: حسن جلاب. ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش–المغرب، 2000 م.
- الأنصاري زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، 1991 م.

○ **(حرف الباء)**

- بالتثيا أنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955 م.
- البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل ابن إبراهيم، **الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمر رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه الشّهير بـ: صحيح البخاري**، مطبعة البشرى، باكستان، 2016 م.
- بركة عبد الفتاح، **الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته**، منشورات جامعة قطر، 1406هـ.
- بروفنصال ليفي، **مؤرّخو الشّرفاء**، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1977 م.
- ابن بطّوطة أبو عبد الله محمّد، **رحلة ابن بطوطة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وغرائب الأمصار**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، ج 1، دار إحياء العلوم، بيروت–لبنان، ط 1، 1987 م.

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، **تاريخ مدينة السّلام وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت–لبنان، 2001 م.
- بلاثيوس أسين، **ابن عربي؛ حياته ومذهبه**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة–مصر، 1965 م.
- بلغيث محمد الأمين، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، 1986م.
- بوتشيش إبراهيم القادري، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع–الذهنيات–الأولياء)**، دار الطّليعة، ط 1، بيروت–لبنان، 1993م.
- بوتشيش إبراهيم القادري، **تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة في بعض قضايا التاريخ والمجتمع**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994 م.
- بوتشيش إبراهيم القادري، **واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات**، ضمن كتاب: **الإسطوغرافيا والأزمة –دراسات في الكتابة التّاريخية والثّقافة**، تنسيق: عبد الأحد السّبتي، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1994 م.
- بولطيف لخضر، **الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي –مقاربات منهجية–**، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، وهران، 2014 م.
- بولطيف لخضر، **جدلية الشريعة والحقيقة وإرهاصات الطريقة في التجربة الصوفية المغربية**، ضمن أعمال الندوة الدولية: عبد السلام بن مشيش من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، المغرب، 2016م.

- بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (12 و13) الميلاديين نشأته . تياراته . دوره الاجتماعي والفكري والثقافي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.
- بونابي الطاهر، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط ق 8-9 هـ/14 – 15م**، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008 م-2009 م.
- البيلي محمد البركات، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1992م.

○ **(حرف التّاء)**

- التاذفي محمد بن يحي الحلبي، **قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر**، ط 3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1956 م.
- التميميّ أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم الفاسي، **المستفاد في مناقب العبَّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمّد الشّريف، مطبعة طوب بريس، ط 1، 2 ج، المغرب، 2002 م.
- التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد الهرامة، 2 ج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 1989 م.
- التهانوي محمد بن علي بن القاضي محمد، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: علي دحروج وآخرون، ط 1، 2 ج، لبنان، 1996 م.
- ابن تيمية أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام، **مجموعة الرسائل الكبرى**، دار إحياء التّراث العربي، ط 2، بيروت-لبنان، 1972 م.
- ابن تيمية أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام، **الصوفية والفقراء**، تقديم: محمد جميل غازي، دار المدني، القاهرة-مصر، د ت.

- ابن تيمية أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام، **فقه التصوف**، تح: زهير شفيق الكبي، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- ابن تيمية أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام، **مجموعة الفتاوى**، تخريج: عامر الجزّار وأنور الباز، دار الوفاء، ط 3، مصر، 2005 م.

○ **(حرف الثّاء)**

- الثّعالبي محمد بن الحسن الحجوي، **الفكر السّامي في تاريخ الفقه المالكي**، تحقيق: أيمن صالح عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2007 م.

○ **(حرف الجيم)**

- الجامي الملا نور الدين عبد الرّحمن بن أحمد، **نفحات الأنس من حضرات القدس**، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت).
- الجرجاني علي بن محمد الشّريف، **كتاب التّعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1985 م.
- الجفري العلوي شيخ بن محمد، **كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطّريقة العلوية الحسينية والسّعيبية**، دار نزيم للدراسات والنّشر، 1281هـ.
- الجوهري إسماعيل بن حماد، **الصّحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة–مصر، 2009 م.
- الجيدي عمر، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرّباط، 2018 م.
- الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة، الجزائر، 2010 م.

○ **(حرف الحاء)**

- الحاج فائز علي، **من أعلام التربية العربية الإسلامية _ أبو حامد الغزالي _**، ج 3، مطبوعات مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1409هـ.

- حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 1999 م.
- حركات إبراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن (9هـ/ 15م)**، دار الرّشاد الحديثة، ط 1، ج 3، الدار البيضاء–المغرب، 2000 م.
- حركات إبراهيم، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 15/9م**.
- حسين علي صافي، **الأدب الصوفي في مصر ابن الصّباغ القوصي شيخ التصوف في مصر في القرن السّابع الهجري**، مكتبة الدراسات الأدبية، مصر، (د.ت).
- الحفناوي أبو القاسم محمّد، **تعريف الخلف برجال السّلف**، ج 2، مطبعة بيير فونتانة الشّرقية، الجزائر، 1906 م.
- الحكيم سعاد، **تاج العارفين الجنيد البغدادي**، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط 3، 2007م.
- الحميري أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: ليفي بروفنصال، دار الجيل، ط 2، بيروت–لبنان، 1408هـ/1988م.
- الحنفي إبراهيم بن الحلبي، **نعمة الذريعة في نصرة الشريعة**، تحقيق: علي رضا، دار المسير، ط1، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1998م.

○ **(حرف الخاء)**

- ابن الخطيب أبو عبد الله بن سعيد بن أحمد لسان الدّين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تقديم: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ت).
- ابن خلدون ابن عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الفكر، بيروت–لبنان، 2002م.

- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **مقدّمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الواحد وافي، دار النهضة، ط 7، مصر، 2014 م.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1419هـ/1998م.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عباس، 5 ج، دار صادر، بيروت–لبنان، 1977 م.

○ **(حرف الدّال)**

- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تصحيح وتعليق: إبراهيم شيوخ، القاهرة، مصر، 1968م.
- دحمور منصور بختي، **ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (06 و09 للهجرة/12 و15 للميلاد)**، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق–سورية، 2017 م.
- أبو الدهاج زاير، **العقيدة والدولة في المغرب الوسيط –فلسفة السلطة وحركة التاريخ–**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان–الجزائر، 2012 م.

○ **(حرف الذّال)**

- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، **سير أعلام النّبلاء**، بيت الأفكار الدولية، بيروت–لبنان، 2004 م.
- الذهبي نفيسة، **أبو محمد صالح الشيخ والتجربة**، مطابع الرباط نت، الرباط–المغرب، 2016 م.

▪ **(حرف الرّاء)**

- الرّازي محمد بن عمر بن الحسين، **المحصول في علم الأصول**، تحقيق: طه جابر العلواني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1999 م.
- رشدي أحمد شفيق، **أبو مدين شيخ الشيوخ؛ حياته، وأصحابه وآثاره**، مجلة الحضارة الخضراء، العلوم العربية، ع 1، إسبانيا، 2015 م.
- الرفاعي أحمد بن علي، **حالة أهل الحقيقة مع الله**، تحقيق: عبد الغني نكدهي، دار القلم العربي، ط، 1، 1407هـ.
- الريسوني أحمد، **الاختيارات المغربية في التدين والتمذهب**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2018 م.

○ **(حرف الزّاي)**

- الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط 7، بيروت – لبنان، 1986 م.
- ابن أبي زرع الفاسي علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972 م.
- الزّركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.
- زروق أبو العباس أحمد، **قواعد التصوّف**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت–لبنان، 2005 م.
- زروق أبو العباس أحمد، **قواعد التّصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة**، تحقيق: محمود إدريس طيّب، كتاب ناشرون.
- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

- زهري خالد، **الرسالة التوحيدية والروحية لدى فقهاء المغرب "أبو مدين الغوث أنموذجا"**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008م.
- زهري خالد، **الرسالة التوحيدية والروحية لدى فقهاء المغرب "أبو مدين الغوث أنموذجا"**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008م.
- زوانات زكية، **ابن مشيش شيخ الشّاذلي**، ترجمة: أحمد التّوفيق، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، الدّار البيضاء–المغرب، 2006 م.
- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف التّادلي، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد فؤاد، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط 2، 1997م.
- زيغور علي، **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم**، دار الطليعة، ط 1، بيروت، لبنان، 1977 م.

- **(حرف السّين)**

- السبتي أبو الفضل عياض بن موسى عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، ط 2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م.
- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، ط 1، مصر، 1964م.
- سرور طه عبد الباقي، **التّصوّف الإسلامي والإمام الشّعراني**، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 2017م.

- سرور طه عبد الباقي، **من أعلام التّصوف الإسلامي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، (د، ط)، (د، ت).
- سعيد علي بن موسى ابن، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ج 2، القاهرة، 1955 م.
- السّكندري ابن عطاء الله، **عنوان الطريق في آداب الطّريق**، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط 1، 2004 م.
- السّكندري ابن عطاء الله، **لطائف المنن**، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط3، دار المعارف، القاهرة–مصر، 2006 م.
- السلاوي أحمد، **علم الكلام ونظريات الغزالي**، المعهد التربوي الوطني، الرباط – المغرب، 1403 هـ.
- السّلمي أبو عبد الرحمن، **الطبقات الصّوفيّة**، تحقيق: أحمد الشرباصي، كتاب الشعب، ط 2، 1998م.
- السّملالي العبّاس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حلّ بمرّاكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، ج 10، الرباط–المغرب، 1993 م.
- السُّهْرَوَرْدي أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري، **عوارف المعارف**، تحقيق: توفيق علي وهبة، أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة المعاصرة، القاهرة، مصر، 2019م.
- ابن سيدبونه أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمّد، **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، تحقيق: عبد الإله بن عرفة، مركز التراث الثّقافي المغربي، الدار البيضاء–المغرب، 2005 م.

- السّيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الحاوي للفتاوي**، تحقيق: عبد الله حسن عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1421هـ/2000م.
- السيوطي جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر الخضيري، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة–مصر (د.ت).

- **(حرف الشّين)**

- الشّاذلي عبد اللطيف، **أبو محمد صالح بن ينصارن الماجري**، ضمن أعمال ملتقى أبو محمد صالح: المناقب والتاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، النّشر العربي الإفريقي، 1990م.
- الشّرقاوي عبد الله بن حجازي بن إبراهيم، **حاشية الشّيخ الشّرقاوي على شرح الهدهدي على أمّ البراهين للسنوسي**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2017 م.
- الشّريف محمّد، **قضايا في تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات الجمعية المغربية الأندلسية، ط 2، تطوان–المغرب، 2016 م.
- الشعراني عبد الوهاب، **الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة–مصر، 2005م.
- شكيب أرسلان الأمير، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، (د.ت).
- شوديكفيتش علي، **الولاية والنّبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي**، تحقيق: أحمد الطّيّب، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 2004م.

- **(حرف الصّاد)**

- ابن الصّبّاغ محمّد بن أبي القاسم الحميري، **درّة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأحوال ومقامات وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشّاذلي**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة–مصر، 2001 م.
- ابن الصّبّاغ محمّد بن أبي القاسم الحميري، **مناقب أبي علي التّباسّي**، تحقيق: أحمد الباهي، مطبعة كونتراست، تونس، 2011 م.
- الصّومعي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1996م.
- الصّيادي أبو الهدى، **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرّفاعي وأتباعه الأكابر**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1420هـ/1999 م.

○ **(حرف الطّاء)**

- الطَّبَّاقْ أبو عبد الله محمّد بن الحجّاج، **كتاب في التّصوّف**، مخ رقم: 556 ك، المكتبة الوطنية، الرباط–المغرب.
- ابن الطّوّاح عبد الواحد محمد، **سبك المقال لفكّ العقال**، تحقيق: محمّد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت–لبنان، 1995 م.
- ابن الطّيّب محمّد، **إسلام المتصوّفة**، دار الطليعة، ط 1، بيروت–لبنان، 2007 م.
-

○ **(حرف الظّاء)**

- ظهير إحسان إلهي، **التصوف؛ المنشأ والمصدر**، ط 1، دار السنة، باكستان، 1936م.

○ **(حرف العين)**

- عابد يوسف، **الموحدين في بلاد المغرب (515 _595هـ/1120 _1199م) دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2006م.
- عبّاد أحمد بن محمّد بن، **العليّة في المآثر الشّاذلية**، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، 2004 م.
- ابن عبد الله عبد العزيز، **معلمة التصوف المغربي**، دار نشر المعرفة، ط 1، الرباط-المغرب، 2001 م.
- عبد الوهّاب محمد حلمي، **الأخلاق العملية عند صوفية القرنين الثّاني والثّالث الهجريين -قراءة أخلاقية-**، دار المنهاج، السعودية، دار طوق النجاة، لبنان، ط 1، 2020 م.
- عبد الوهاب محمّد حلمي، **التّصوف المغربي وامتداداته المشرقية الإمداد والاستمداد**، دار أبي رقراق، ط1، الرباط-المغرب، 2019 م.
- عبد الوهّاب محمّد حلمي، من ابن مسرَّة إلى ابن عربي -التصوف الأندلسي؛ أصوله وامتداداته-، كتاب مرقون.
- عبد الوهاب محمد حلمي، **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت-لبنان، (ط1)، 2009 م.
- العبدريّ محمد البلنسيّ، **الرحلة المغربية**، تحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 1، الجزائر، 2007 م.
- ابن عجيبة أحمد بن محمّد، **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، تقديم: محمّد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة-مصر، (د.ت).

- ابن عجيبة عبد الله أحمد، **معراج التّشوف إلى حقائق التّصوّف ويليه كتاب كشف النقاب عن سرّ لبّ الألباب**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثّقافي المغربي، ط 1، الدّار البيضاء، 2004 م.
- عدّاس كلود، **ابن عربي سيرته وفكره**، ترجمة: أحمد الصّادقي، المدار الإسلامي، ط 1، بيروت–لبنان، 2014 م.
- أبو العرب محمد بن أحمد المغربي الإفريقي، **طبقات علماء إفريقيا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ابن عربي محيي الدين، **رسالة روح القدس في محاسبة النفس**، ت: بدوي طه علام، مطبعة عالم الفكر، القاهرة، ط1، 1409هـ/1989 م.
- ابن عربي محيي الدّين، **فصوص الحكم**، تحقيق: أبو العلا عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1980م.
- ابن عربي محيي الدّين، **كتاب التراجم**، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1، 1948م.
- ابن عربي محيي الدّين، **كتاب إنشاء الدوائر**، مطبعة بريل، ليدن، ط 1، 1336 هـ.
- ابن عربي محيي الدين، **الفتوحات المكية**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت–لبنان، 1420هـ/1999م.
- ابن عربي محيي الدّين، **تهذيب الأخلاق**، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة عالم الفكر، القاهرة – مصر، ط 1، 1990 م.
- ابن عربي محيي الدين، **رسالة الذي لايعوّل عليه**، دار الكرامة، الشّارقة–الإمارات، 2017 م.
- العروسي مصطفى، **نتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2007 م.

- عكاش حسين علي، **علاقة التوازن والتكامل بين الفقه والتّصوّف**، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، مجلد 1، ديسمبر 2016م.
- علاوي محمّد الطّاهر، **العالم الرّبّاني سيدي أبو مدين شعيب**، دار الأمّة، ط 1، الجزائر، 2004 م.
- العلمي ربيعة سحنون وطارق، **منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط –المغرب، ط 1، 1433هـ/2012 م.
- العلمي عبد الجليل، **في أصول التّصوّف بالمغرب (القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي**، دار أبي رقراق، ط 1، الرّباط–المغرب، 2014 م.
- عمارة علاوة، **دراسات في التّاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 2017 م.
- العمري مرزوق، **أبو مدين الغوث ورسالته في العقيدة الشّهيرة بـ"عقيدة سيدي أبي مدين"**، مجلة الإبانة، ع 4، المغرب، سبتمبر 2016 م.
- بن عومر رزقي، **مقام الحقيقة المحمّدية وأدوارها في كتابات الشّيخ أحمد علّاوي**، مجلّة أبعاد، مشورات الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر–جامعة وهران 2، الجزائر، ع 07، ديسمبر 2018 م.
- عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة مشرقة من التاريخ الجزائري**، سوزلر للنشر، (ط2)، القاهرة، مصر، 1991، ص 258.
- ابن عباد أحمد بن محمّد المحلى الشّافعي، **المفاخر العليّة في المآثر الشّاذلية**، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2004 م.
- عيسى لطفي، مغرب المتصوّفة، مجمع الأطرش، ط 2، تونس، 2018 م.

- ابن عيشون أبو عبد الله محمد الشّراط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصّالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النّظّام، مطبة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، 1997 م.

- **(حرف الغين)**

- الغبريني أحمد بن أحمد، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1970 م.
- الغراب محمود محمود، **شرح رسالة روح القدس في محاسبة النّفس**، مطبعة نظر، ط2، 1985 م.
- غرميني عبد السلام، **المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء–المغرب، 1420هـ/2000م.
- الغزالي أبو حامد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق: ناجي السّويد، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، (د.ت).
- الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، ط 1، بيروت – لبنان، 2005 م.
- الغزالي أبو حامد، **الأربعين في أصول الدّين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق**، دار القلم، ط1، دمشق–سوريا، 1424هـ/2003 م.
- الغزالي أبو حامد، **الفصول في الأسئلة وأجوبتها**، تحقيق: أحمد السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 1411هـ/1991 م.
- الغزالي أبو حامد، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال**، تحقيق: جميل صليبا و كامل عياد، دار الأندلس، ط 7، بيروت–لبنان، 1967 م.

- الغماري علي بن ميمون، **رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن**، تحقيق: خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2003 م.

○ **(حرف الفاء)**

- الفاسي علال، **التّصوّف الإسلامي في الغرب الإسلامي**، منشورات مؤسّسة علال الفاسي، ط 2، المغرب، 2014 م.
- الفاسي علال، **التصوف الإسلامي في المغرب**، مجلة الثقافة المغربية، ع 1، يناير – فبراير 1970 م.
- فرحات عبد الحكيم، **التّصوّف العالمي قراءة تحليلية نقدية**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الحادي عشر: التّصوّف في الإسلام والتّحدّيات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار–الجزائر، 2008 م.
- ابن فرحون أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار التراث للطبع والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2005 م.
- فيلالي الطاهر مختار، **نشأة الصوفية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الكرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، (ط1)، 1976 م.
- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002 م.

○ **(حرف القاف)**

- ابن القاضي، **ذيل وفيات الأعيان المسمى درّة الحجّال في أسماء الرّجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النّور، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ج3، رقم الترجمة: 1470.

- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1965م.
- القبلي محمد، **حول تاريخ المجتمع المغربي –الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل–**، دار توبقال، المغرب، 1998 م.
- القبلي محمد، **قراءة في زمن أبي محمد صالح: المناقب والتاريخ**، ضمن أعمال ندوة: أبي محمد صالح الماجري، الدار البيضاء–المغرب، 1990م.
- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: معروف مصطفى، ط 1، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، 1973 م.
- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، ت: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م.
- القنّوجي أبو الطّيب محمّد صدّيق حسن خان البخاري، **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطّراز الآخر والأوّل**، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، ط 2، قطر، 2007م.

○ **(حرف الكاف)**

- الكانوني محمد بن أحمد العبدي، **البدر اللائح والمتجر الرابح في مآثر آل أبي صالح**، منضورات جمعية البحق والتوثيق والنّشر، ط 1، المغرب،2011 م.
- الكانوني محمّد بن أحمد العبدي، **جواهر الكمال**، تحقيق علال ركوك وآخران، ربانيت، ط 1، الرباط–المغرب، 2004 م.
- الكتّاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتّاني وآخران، دار الثّقافة، الدار البيضاء–المغرب، 2004م.

- الكلاباذي أبو بكر محمد إسحاق، **التعرّف لأهل التصوف**، تحقيق، أحمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م، ص 11-12.
- الكوهن أبو علي الحسن بن محمّد بن القاسم الفاسي، **طبقات الشّاذلية الكبرى المسمّى: جامع الكرامات العلية في طبقات الشّاذلية**، تحقيق: مرسي محمد علي، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت-لبنان، 2005 م.

○ **(حرف الميم)**

- الماجري أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمّد صالح ابن ينصارن المغربي، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تخريج: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م.
- ماكدونالد دانكن بلاك، **تطوّر الدّولة والفقه والكلام في الإسلام**، ترجمة: محمّد سعد كامل، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط 1، بيروت-لبنان، 2018 م.
- المالكي أبو بكر بن عبد الله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق: رشيد البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1983م.
- المالكي محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، **طبقات علماء أفريقية وتونس**، تح: حسن موسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.
- المامي محمّد المختار محمد، **المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته، خصائصه وسماته)**، مركز زايد للتراث والتّاريخ، ط 1، الإمارات، 2002 م.
- مجهول، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 م.
- مخلوف محمد بن محمد بن عمر ابن قاسم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010 م.

- المراكشي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، ج 5، دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1965 م.
- مروّة حسين، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية؛ المعتزلة–الأشعرية–المنطق**، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط 2، 2008 م.
- ابن مريم أبو عبد الله أحمد بن محمد التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد ابن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 م.
- المزي أبو الحجاج، **تهذيب الكمال**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت–لبنان، 1400هـ/ 1980م.
- المزيدي أحمد فريد، **شيخ شيوخ الأمصار: أبو مدين الغوث ترجمته وشيوخه وتلامذته وأصحابه ونصوصه**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2010 م.
- مزين محمّد، **الأدب الفقهي والأزمة، ضمن كتاب: الإسطوغرافيا والأزمة –دراسات في الكتابة التّاريخية والثّقافة**، تنسيق: عبد الأحد السّبتي، مطبعة النّجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1994 م.
- مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطلعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1955 م.
- معاذ خالد، **دمشق أيام الغزالي**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق – سوريا، د.ت.
- المعجم رفيق، **موسوعة مصطلحات التّصوّف الإسلامي**، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت–لبنان، 1999 م.

- مغزاوي مصطفى، **التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي (6_8هـ/11_13م)**، إشراف: خالد كبير علال، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012/2011م.
- مغيزيل أبو الفضل عبد القادر ابن، **الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيّد الدّنيا والآخرة**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السّايح، توفيق علي وهبة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط 1، القاهرة–مصر، 2010 م.
- مفتاح عبد الباقي، **بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت–لبنان، 2011 م.
- مفتاح محمد، **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي –مقاربات منهجية–**، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2014 م.
- المقري أحمد بن محمّد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت–لبنان، 1968 م.
- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.
- المناوي زين الدين محمد، **التوقيف على مهمات التعريف**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.
- بن منصور الصّبحي، **الموجز في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية التّونسية**، مجمّع الأطرش، ط 1، تونس، 2018 م.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
- مهدي جودة محمّد أبو اليزيد، **بحار الولاية المحمّدية في مناقب كبار الصّوفيّة**، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، القاهرة–مصر، 1418هـ/1998 م.

- **موطأ الإمام مالك برواية بن زياد**، تحقيق: محمد النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1980 م.

○ **(حرف النّون)**

- النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، **تاريخ قضاة الأندلس: المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا**، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط 5، بيروت–لبنان، 1983 م.
- النّبهاني أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل، **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة–مصر، 1381هـ/1962م.
- النحوي الخليل، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م.
- النّشّار علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الزهد والتّصوف في القرنين الأوّل والثّاني الهجريين**، دار المعارف، ط 8، القاهرة–مصر، 1980 م.
- النووي، **صحيح مسلم**، ج 3، حديث عائشة أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب صلاة الليل.

○ **(حرف الواو)**

- الورثيلاني الحسين بن محمّد، **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار**، ت: محمّد ابن أبي شنب، ط 1، مكتبة الثّقافة الدينية، القاهرة، 2008 م.
- الونشريسي أحمد بن يحي، **وفيات الونشريسي**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ط1، القاهرة، 2009م.

○ **(حرف الياء)**

- ياسين مريم، **التّصوّف السّنّي دراسة في إحداثيات الإصلاح النّفسي والاجتماعي والسّياسي**، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء–المغرب، 2018 م.
- يوسف دالي عثمان، **الحركة الفكرية الصوفية على عهد بني زيان (633 هـ/957 هـ)**، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، مجلد 1، ع 1، تلمسان – الجزائر، 2008 م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

صفحة الغلاف

إهداء ----------

شكر وعرفان ----------

مقدّمة ---------- **07**

الفصل الأول: البيئة المغربية؛ الفقه والتصوف أيّة علاقة؟ **20**

المبحث الأول: الفقه والتّصوف ببلاد الغرب الإسلامي - **21**

المطلب الأول: التأسيس المفاهيمي للفقه والتصوف - **21**

الفرع الأول: الدلالات اللّغوية والاصطلاحية للمفردة: الفقه **21**

الفرع الثاني: الدلالات اللّغوية والاصطلاحية للمفردة: التّصوّف **23**

الفرع الثالث: علاقة الفقه بالتّصوّف -دراسة في مختلف النصوص المعرفية- **27**

المطلب الثاني: انتقال الفقه المالكي لبلاد الغرب الإسلامي **31**

الفرع الأول: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي؛ الأطراف الفاعلة والسياقات المختلفة ---------- **31**

الفرع الثّاني: المدرسة المغربيّة المالكيّة وأهمّ أعلامها **33**

المبحث الثاني: انتشار التّصوّف بالغرب الإسلامي --- **40**

المطلب الأوّل: ظهور التّصوّف ومعابر انتقاله إلى بلاد المغرب الإسلامي **41**

الفرع الأول: ظهور التصّوف بظهور الشّخصيات المتصوّفة الزّاهدة **43**

الفرع الثاني: طرق انتشار التصوف في مجال المغرب الإسلامي ---------- **45**

المطلب الثّاني: تيارات ومدارس التّصوّف بالغرب الإسلامي 50

الفرع الأول: المرحلة الفردية لتصوّف الغرب الإسلامي ما قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ---------- **51**

الفرع الثاني: واقع الحركة الصّوفية ببلاد الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي **55**

الفرع الثّالث: مرحلة الطرق والمدارس الصوفية بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ---------- **57**

الفصل الثّاني: الرجل المؤسس فقيه صوفي أم متصوف فقيه؟ 64

المبحث الأوّل: شيخ الشّيوخ الغوث أبو مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) 65

المطلب الأوّل: نشأة وتكوين أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) 66

الفرع الأوّل: نشأة ووفاة أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) **66**

الفرع الثّاني: تكوين أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) **73**

المطلب الثّاني: السّند الجنيدي لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) 75

الفرع الأوّل: الإمام أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت: 298هـ/ 910م) **75**

الفرع الثّاني: سلسلة السند الجنيدي ---------- **78**

المبحث الثاني: الروافد الفقهية والصوفية لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

---------- **82**

المطلب الأوّل: الرافد الغزالي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) 83

الفرع الأول: الشيخ أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ/ 1111م) **83**

الفرع الثّاني: كتاب الإحياء ---------- **87**

المطلب الثاني: الرافد المغربي للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

---------- **91**

الفرع الأول: الشّيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت: 559هـ/ 1163م)

---------- **92**

الفرع الثّاني: الشّيخ أبو يعزى (ت: 572هـ/ 1177م) - **93**

المطلب الثالث: الرافد القادري للشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

---------- **96**

الفرع الأول: الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 567هـ/ 1171م) **96**

الفرع الثّاني: لقاء الشّيخ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) بالشّيخ عبد القادر الجيلاني (ت: 567هـ/ 1170م) **98**

المبحث الثالث: أثر المناهل الفقهية والمنازع الصوفية لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) في تأسيس المدرسة المدينية ---------- **101**

المطلب الأوّل: المناهل الفقهية والمنازع الصّوفية للشيخ أبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) ---------- **103**

الفرع الأوّل: المناهل المغربية لأبي مدين (ت: 589هـ/ 1193م) **103**

الفرع الثّاني: الحضور الفقهي والمنزع الصّوفي لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م)

---------- **105**

الفرع الثّالث: المنازع الصّوفيّة لأبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) **108**

المطلب الثّاني: امتدادات المدرسة المدينية وانتشارها - **114**

الفرع الأوّل: تلاميذ أبي مدين شعيب (ت: 589هـ/ 1193م) **114**

الفرع الثّاني: امتدادات المدينيّة في العالم الإسلامي -- **118**

الفصل الثّالث: الامتدادات المغربية والأندلسية للمدرسة المدينية **123**

المبحث الأوّل: الطريقة البونية في الغرب الإسلامي خلال القرنين(7-8هـ/13-14م)

---------- **124**

المطلب الأوّل: الرجل المؤسّس؛ الشّيخ أحمد بن سيدبونه **125**

الفرع الأوّل: نشأة ووفاة الشيخ أبو أحمد بن سيدبونه -- **125**

الفرع الثّاني: مناقب الشيخ أبي أحمد بن سيدبونه (ت: 624هـ/ 1227م)

---------- **128**

الفرع الثّالث: شيوخ أبي أحمد بن سيدبونه -------- **129**

المطلب الثّاني: مذهب بن سيدبونه في التّصوّف --- **132**

الفرع الأوّل: الحضور الفقهي في الطّريقة البونية ---- **133**

الفرع الثّاني: الحضور الصوفي في الطريقة البونية -- **134**

الفرع الثّالث: امتدادات الطريقة البونية خلال ق(7-8هـ/13-14م) **137**

المبحث الثاني: الطريقة الماجرية في الغرب الإسلامي **140**

المطلب الأوّل: نشأة أبو محمد صالح الماجري------- **140**

الفرع الأوّل: مولد ونسب الشّيخ أبي محمّد صالح الماجري **140**

الفرع الثّاني: التّحقيق الواضح في نسبة الشّيخ أبي محمّد صالح للمدينية **143**

المطلب الثّاني: الخصائص السّلوكية والسّمات المظهرية للطريقة الماجرية **147**

الفرع الأوّل: الخصائص السّلوكية للطّريقة الماجريّة -- **148**

الفرع الثّاني: السّمات المظهرية للطّريقة الماجرية ---- **150**

المطلب الثّالث: امتدادات وطوائف الطّريقة الماجرية بالغرب الإسلامي **154**

الفرع الأوّل: تلاميذ وأصحاب الشيخ أبي محمّد صالح (ت: 631هـ/ 1234م) **154**

الفرع الثاني: طوائف وامتدادات الطّريقة الماجرية ما بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ---------- 157

الفصل الرّابع: الامتدادات الإفريقية والمشرقية للمدرسة المدينية 160

المبحث الأوّل: الطّريقة الشّاذلية؛ شجرة القطب عبد السّلام ابن مشيش المصونة

---------- 162

المطلب الأول: أبو الحسن الشّاذلي مؤسّس الطريقة -- 162

الفرع الأوّل: نسب ونشأة الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي -- 162

الفرع الثّاني: وفاة الشّيخ أبي الحسن الشاذلي (ت: 656هـ/1258م) 164

المطلب الثّاني: الرّوافد الصّوفية المدينيّة للطريقة الشّاذلية 165

الفرع الأوّل: الشّيخ أبو عبد الله محمّد ابن حرزهم (ت: 611هـ/1214م) 165

الفرع الثّاني: الشّيخ أبو سعيد الباجي (ت: 628هـ/ 1231م) 165

الفرع الثّالث: القطب عبد السّلام بن مشيش (ت:625هـ/1228م) 167

المطلب الثالث: أسس الطريقة الشاذلية وعلاقتها بالحقيقة المحمدية 171

الفرع الأوّل: قواعد وأسس الطريقة الشّاذلية -------- 170

الفرع الثّاني: الطريقة الشاذلية وعلاقتها بالحقيقة المحمّدية 174

الفرع الثّالث: امتدادات الطّريقة الشاذلية --------- 176

المبحث الثّاني: الشيخ محيي الدين بن العربي التّلميذ الروّحي للشّيخ أبي مدين شعيب

---------- 184

المطلب الأوّل: المحطّات الأساسية في حياة الشّيخ محيي الدين بن العربي **184**
الفرع الأوّل: نشأة الشّيخ محيي الدّين بن العربي ---- **184**
الفرع الثّاني: مؤلّفات وشيوخ محيي الدين بن العربي -- **189**
المطلب الثّاني: علاقة الشّيخ محيي الدين بن العربي بالمدينية **191**
الفرع الأوّل: اللّقاء الرّوحي ---------- **192**
الفرع الثّاني: شيوخ ابن العربي؛ تلاميذ الشّيخ أبي مدين شعيب **193**
المطلب الثالث: جدلية الفقه والتّصوّف عند الشّيخ محيي الدين بن العربي **198**
الفرع الأوّل: موقف ابن العربي من الفقه والتّصوّف --- **198**
الفرع الثّاني: الشّيخ الأكبر في ميزان القدح والمنافحة -- **200**

خاتمة ---------- **206**
الملاحق ---------- **211**
فهرس الآيات والأحاديث ---------- **222**
فهرس الأعلام ---------- **126**
فهرس الأماكن والبلدان ---------- **232**
فهرس المصادر والمراجع ---------- **236**
فهرس الموضوعات ---------- **260**
الملخص---------- **267**

الملخص

تهدف الدّراسة إلى بحث العلاقة الجدليّة بين الفقه والتّصوّف، ضمن إطار المدرسة المَدْيَنِيَّة التي تعدّ النّموذج الأمثل لتشوّف مثل هذه العلاقات، في محاولة لمقاربة رصيد التّجربة المَدْيَنِيَّة بين حدّي الفقه والتّصوّف، من حيث إمكانيّة التّضاد والتّكامل، وصولا إلى فهم أثرها ضمن التّقاطعات والتّجاذبات المشكّلة للتاريخ الديني، والاجتماعي، والسياسي، عن طريق ربط التّاريخ بالواقع من خلال معالجة مفارقات الحاضر على ضوء خبرات الماضي، والسّعي إلى إثراء جانب من تاريخ المغرب الأوسط، الذي كثيرا ما ارتبط بالدراسات العامة غير المتخصصّة في التّاريخ الديني والفكري.

وقد تمّ تسليط البحث حول سيرة القطب أبي مدين شعيب (ت 589هـ/ 1193م)، وطبيعة تكوينه الفقهي والصّوفي وأثر ذلك في وضع الإطار الفكري للمدرسة المدينية وامتداداتها الأندلسية، والمغربية، والإفريقية، والمشرقية، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حيث كان للمدينية الأهلية الكاملة في قيادة السّلطة الدينية وتوجيه الحراك الاجتماعي العام.

كما يعدّ الخطاب الفقهي والخطاب الصّوفي من أهمّ الخطابات الحاملة للمبادئ والمثل العليا الإسلامية؛ في أحكامها وأخلاقها وسلوكها، الأمر الذي يدفع بنا إلى توجيه البحث عن تلك المبادئ القِيَمِيَّة المغيّبة، في محاولات لاستعادة ذلك المُقَدَّس المُسْتلَب.

Summary:

The study aims to examine the dialectical relationship between jurisprudence and mysticism within the framework of the Madianya, which is the ideal model for the development of such relationships, in an attempt to approach the balance of the Madianya experience between the limits of jurisprudence and mysticism in terms of the possibility of contradiction and complementarity, in order to understand its impact within the intersections and tensions that constitute religious, social, and political history. By linking history to reality by addressing the paradoxes of the present in light of the experiences of the past, and seeking to enrich a part of the history of the Middle Maghreb, which has often been associated with general studies that are not specialized in religious and intellectual history .

The research focuses on the biography of Abu Madyan Shuaib (d. 589 AD / 1193 AD), the nature of his jurisprudential and mystical training, and the impact of this on the intellectual framework of the Medina school and its Andalusian, Moroccan, African, and Levantine extensions during the seventh and eighth centuries AH / 13-14 AD, when Medina had full capacity to lead the religious authority and direct the general social movement.

Jurisprudential discourse and Sufi discourse are among the most important discourses that carry Islamic principles and ideals in their rulings, morals, and behavior, which prompts us to direct the search for these absent value principles in attempts to recover the sacred that has been usurped.